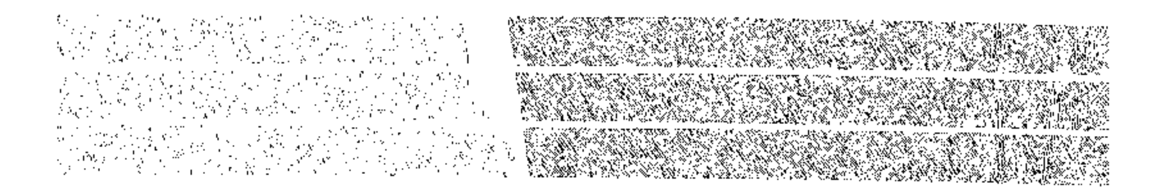
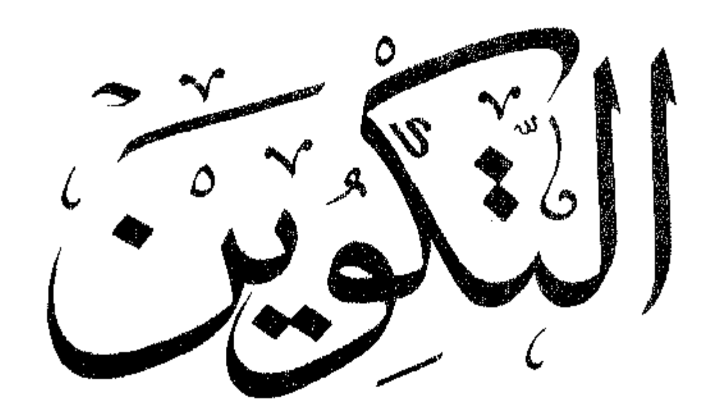
دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس



العهد القديم

سفر



التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

سفر التكوين

بقلم

ديريك كدنر

نقله إلى العربية

القس بخيت متى

المحرر المسئول

جوزيف صابر



Genesis
An Introduction and Commentary
By : Rev. Derek KIDNER
This book was first published by Inter - Varsity press.

Translated by permission and published in Arabic 1995

طبعة أولى

سفر التكوين

صدر عن دار الثقافة – ص. ب ١٢٩٨ – القاهرة

١٠ / ٦٣٩ ط١ / ٢ – ٢ / ٩٥
رقم الإيداع بدار الكتاب : ٢٥٤٦ / ٩٥
I . S . B . N 977 - 213 - 263 - X
جمع وطبع بسيويرس

مقدمـــة الـــدار

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله للقارىء العربى . فإن العالم العربى لا يوجد به تفسير واحد حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقارىء العربى مرجعاً كاملا للكلمة المقدسة .

وقد اختارت دار الثقافة Tyndale Commentaries وهى تشمل العهدين القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالاتفاق مع الناشر الأصلى وهو Inter-Varsity Press وكان سبب الاختيار أنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتيا ، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذى يعاون الدارس على الدراسة ، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية .

قد جاء هذا التفسير ، رغم اهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التى صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية . وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعانى ، ليكتشف القارىء ما هو المقصود بالمعنى .

قد اهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات ، ليوضح المعانى العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية ، وفى حالة وجود مشكلات معينة حاول الإسهاب فى شرحها .

كما اهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، وتاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

اشترك فى كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة ، بعمق وبأمانة . كما أشرف على تحرير العهد القديم D. J. Wiseman والعهد الجديد R.V.G. Tasker & Leon Morris .

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارىء فى هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً ، يعاونهم على التعمق فى كلمة الله ، وإدراك المعانى العظيمة من خلالها ، فيعاونهم فى التعمق فى المعرفة والفهم الروحى .

دار الثقافة

مقدمة عامة

تهدف مجموعة التفسير الحديث للكتاب المقدس (تندال) للعهد القديم إلى أن تقدم لدارس الكتاب المقدس تفسيرا حديثا لكل سفر ، مع التركيز على التفسير الاستدلالي أساسا . أما المسائل النقدية الكبرى فستناقش في المقدمات وفي الملاحظات الإضافية . وسنتجنب بقدر الإمكان استخدام الاصطلاحات الفنية غير اللازمة .

وبينما يجمع كل مؤلفي أجزاء هذا التفسير على إيمانهم بالوحي الإلهي للأسفار المقدسة ، وأنها مصدر أساسي يعتمد عليه كما أن لها تطبيقاتها العملية ـــ فإن كل مؤلف حر في التعبير عن وجهة نظره في كل المباحثات الجدلية . وبقدر ما تسمح به المساحة المتاحة لهم ، فإنهم كثيرا ما يوجهون النظر إلى تفاسير لا يأخذون هم أنفسهم بها ولكنها تمثل نتائج ما ذهب إليه مسيحيون آخرون عن إخلاص وولاء . وسفر كسفر التكوين ، موضوع جدل كثير يمكن تخصيص مساحة أكبر لمثل هذه المناقشات . والهدف من أول التفسير إلى آخره هو أن يصل بالقارىء إلى أقرب ما يمكن من معنى النص لا إلى الآراء عنه .

ولا توجد ـــ بصفة خاصة في العهد القديم ـــ ترجمة واحدة تعكس النص الأصلي بكيفية مناسبة . لهذا فقد استخدم مؤلفو هذه التفاسير حريتهم لأن يقتبسوا من مختلف الترجمات أو أن يقدموا ترجمتهم شخصيا ، وذلك في محاولة منهم لفهم الفصول أو الكلمات الصعبة بمعناها في وقتنا الحاضر . وحيث تقتضي الضرورة فإنهم ينقلون بعض الكلمات العبرية والآرامية من النص الماسوري . وهذا يساعد القارىء الذي قد لا يكون له المام باللغات السامية لأن يتفهم الكلمة موضوع المناقشة وهكذا يتابع البحث . والمفروض دائما أن تتوافر للقارىء ترجمة أو أكثر يعتمد عليها .

وهناك علامات على الاهتمام المتجدد بمعنى ورسالة العهد القديم . ولهذا فإننا نأمل أن تعطي هذه المجموعة من التفاسير دفعة إلى الأمام لدراسة نظامية

لإعلان الله ومشيئته وطرقه كما تبدو فى هذه السجلات . ويصلى المحرر والناشر والمؤلفون ، حتى تعين هذه الكتب الكثيرين نحو فهم كلمة الله والاستجابة لها فى الآونة الحاضرة .

د . ج . وايزمان

مقدمة المؤلف

مرة دمر ناقد موسيقى اسطوانة مسجل عليها نشيد ذو لحن عظيم ووصفه بأنه قد حط من قدر التآلف الموسيقى الرائع والإيقاع الثابت الرصين . وأى كاتب يكتب تفسيرا لسفر التكوين ، وخاصة مثل هذا التفسير الصغير يستحق مثل هذا الوصف ـــ بالرغم من أن النقاد اللاهوتيين غالبا لا يحبون استعمال صيغة لاذعة كهذه .

كذلك هناك العثرة التى لا يمكن تجنبها ـــ من نقطة أو أخرى ـــ عند مناقشة القضايا الهائلة التى يثيرها سفرُ التكوين مهما كان الكاتب . ونادرا ما نجد جزءا آخر من الكتب المقدسة دارت حوله المعارك الكثيرة لاهوتيا وعلميا وتاريخيا وأدبيا ، وفى نفس الوقت وجدت الآراء القوية تعززها الأسانيد . وهذه الحقيقة بينة على عظمة وقوة السفر ، وعلى ضيق أفقنا ، سواء بالنسبة لمقدار معرفتنا بالحقائق أو لمدى مداركنا الروحية . وإذا وجد نقص وعدم عصمة فى التفاسير والمناقشات المقدمة هنا ، فإن أول من يحس به هو كاتب هذا التفسير . لكنه يقدم هذه الدراسة برجاء أن تثير الحاجة للدرس للوصول إلى أقرب معنى للنص الموحى به .

وحيث أن المقدمة تتيح فرصة للشكر ، فيلذ لى أن أشكر أولا أولئك الذين وجهوا نظرى إلى عديد من الحفريات والمصادر اللغوية خاصة البروفسور د . ج . وايزمان المحرر العام لهذه المجموعة .. والمستر أ . ر . ميلاد أمين مكتبة دار تندال ، كذلك للقس ج . أ . موتير الذى كانت بصيرته اللاهوتية فى عدة نقاط « عيونا للعمى » ، ودكتور ر . إ . د . كلارك الذى تعطف جدا فقرأ الجزء من المخطوطة الخاص بالكوزمولوجيا وقدم فى ذلك نقدا واقتراحات ثمينة . إن مساعدات هؤلاء جميعا قد قللت متاعبى ولو لم تكن تخلصنى تماما من أخطائى وإغفالى . ومن سوء الطالع أن مؤلَّف مستر لا . أ . كتشنز : الشرق القديم والعهد القديم (ونشرة مطبعة تندال ١٩٦٦) قد نشر مؤخرا جدا فلم أتمكن من الاستئناس برأيه فى هذا التفسير . ولكن من الصالح أن تعلم أنه متاح لك بمعلوماته الغنية عن عالم

سفر التكوين وهذا يسد العجز (وبلاشك) يصحح الصوزة التى وصفتها باختصار فى الكتاب الحالى .

وأخيرا يسرنى أن أشكر الناشرين لتشجيعهم وخبرتهم ، وكذلك الآنسة ج . م . بلميريدج التى طبعت المخطوطة ويسَّرت أسلوبها إلى حد غير عادى من الصحة والبهجة .

وأرجو أن يكون هذا التفسير خادما للنص أمينا وقويما ، كما كان وكيل إبراهيم لسيده .

ديريك كدنر

المحتويات

مقدمة الدار ٥
مقدمة عامة ٧
مقدمة المؤلف ٩
المدخل ١٣
١ – نموذج سفر التكوين ومكانه ١٣
٢ – تاريخ كتابة السفر وكاتبه ١٤
٣ – البداءات البشرية ٢٥
٤ – لاهوت سفر التكوين ٣٠
التحليل ٤١
التفسير ٤٣
ملاحظات الإضافية عن :
– أيام الخليقة ٥٧
– الخطية والألم ٧٥
– أهل قايين ٨٢
– طول عمر سابقى الطوفان ٨٦
– الطوفان ٩٩
– خطية سدوم ١٤٨
ملاحظة إضافية على :
– الأصحاح ٣٧ .... ٢١٠
– الأصحاح ٣٩ .... ٢١٨
– الأصحاح ٤٢ .... ٢٢٩

المدخل

١ - نموذج التكوين ومكانه

لا يمكننا أن نقارن مجال فكر سفر التكوين بأى عمل معروف لدينا ، وصلنا من الشرق الأدنى القديم من حيث نوع ما كتبت تلك الأعمال ـــ فقد وصلنا من بابل بعض الشعر القصصى عن الخليقة ، وغيره عن الطوفان ، ومن هناك جاء أكمل الشعر القصصى عن أتراهازس الذى يقع فى ١٢٠٠ سطر ، والذى يربط الحادثتين ليكون منهما قصة متكاملة ، ويكون نظيرا لتكوين ١ ـــ ٨ بطريقة ما . ولكن هذه تنتهى حيث بدايات سفر التكوين . بل إن قصة سفر التكوين تبدأ فى نقطة متقدمة عنهم (إذ أننا نجد فى هذه الكتابات المياه وكأنها شخص ، كما نجد أن نسلها من الآلهة يتغلبون عليها) ، ولا تنتهى قصة التكوين حتى تتأصل كنيسة العهد القديم ، وحتى يعيش أربعة أجيال من الآباء حياتهم المليئة بالأحداث مقابل خلفية من حضارتين مختلفتين .

ويقع السفر فى جزئين غير متساويين ثانيهما يبدأ بهجرة أبرام عند نقطة اتصال أصحاح ١١ بأصحاح ١٢ . وتصف الأصحاحات من ١ ـــ ١١ مجموعتين من الأحداث المتوالية ـــ إحداهما تسير فى اتجاه مضاد للأخرى . الأولى تصور الخليقة وهى تتصاعد حتى تصل إلى قمتها فى الإنسان ككائن مسئول مبارك .. والثانية عمل الخطية المخرب التي تسببت فى تردى العالم فى الفساد والطوفان أولا ثم ثانيا فى حماقة بابل .

وفى الأصحاح ١٢ يقدم التاريخ العام انطلاقة قصة « نسل إبراهيم » ومعها عهد الله الذى لم يعد عهدا عاما لكل البشر كما فى ص ٩ بل حدده بأسرة واحدة فيها تتبارك « كل قبائل الأرض » (١٢ : ٣) وقد علّم الله أبرام ، حال كونه بلا مأوى وبلا ولد ، أن ـــ الوعد العظيم ـــ يجب أن يتم بقدرة إلهية ومعجزية ، أو لا يتم إطلاقا . ويقف على النقيض من طريق الإيمان المثمر ، اختيار ابن أخيه الصلب الرأى لمدن السهل وكذا محاولاته اليائسة لحماية نفسه أو المحافظة على أسرته . وتوضح القصة أنه لا مستقبل فى سدوم أو مصر عن

طريق اسماعيل ، بل هو فى كنعان الموعودة وفى إسحق . وتستمر هذه الدروس فى باقى السفر حتى نرى حال الناس عند قبول إرادة الله أو مقاومتها ، ويتضح ذلك عند اختيار يعقوب دون عيسو فى الجيل الثانى ، ويوسف دون إخوته فى الجيل الثالث ، وأفرايم يقدم على منسى فى الرابع . وبنهاية سفر التكوين نرى الشعب المختار — وقد صار له طابعه بين أولاد عمومتهم وجيرانهم — قد استقروا على حدودهم ولهم طريقة حياتهم . على أن الشعب هاجر من أرض الموعد ولا يمكن أن تنتهى القصة عند هذه النقطة .

وهكذا لم يفقد السفر شيئا من قوة اندفاعة بنهايته . فإن الخمسين أصحاحا التى يتكون منها هى بمثابة الدافع لمعرفة الأشياء الأعظم فى سفر الخروج كما تتطلبها الأحداث النهائية فى سفر التكوين وتتوقعها الكلمات الأخيرة . وكما أن الناموس بذرة إلى حصاد أكبر فكذلك السفرٓ الأول بالنسبة لأسفار الناموس الخمسة . إن إحدى الحقائق الثابتة عن العهد القديم بما فيه سفر التكوين هى هذه الدفعة للأمام نحو الإنجاز المنبأ به بالتفصيل — وتحقيق الغير المنظور .

وفى الحقيقة يعتبر سفر التكوين سفراً أقرب إلى العهد الجديد منه إلى القديم ، وبالكاد نسمع عن بعض مواضيعه ثانية حتى يتم اتمامها كاملا فى الإنجيل . فإن تقنين الزواج ، وسقوط الإنسان ، وغيرة قايين ، ودينونة الطوفان ، بر المؤمنين ، ابن الموعد وابن الجسد المتنافسان ، استباحة عيسو ، حالة غربة شعب الله . كل هذه موضوعات سائدة فى العهد الجديد . وأخيرا هناك التناسق فى بعض المناظر والشخصيات فى الأصحاحات الأولى فى التكوين تظهر ثانية فى سفر الرؤيا ، حيث بابل ، والحية القديمة (إبليس) .. الذى يضل العالم كله ، يصلان إلى سقوطهما ، والمفديون بعد أن حنكتهم الحياة يسيرون ثانية فى الفردوس بجانب النهر وشجرة الحياة بدلا من الأبرار الذين بلا خبرة .

٢ - تاريخ كتابة السفر وكاتبه

(أ) الأدلة من المكتوب :

بينما يتكلم العهد الجديد عن الأسفار الخمسة عموما تحت عنوان « موسى » أو « كتاب موسى » أو « ناموس موسى » ، فلا يشير فى أى مكان إلى سفر

التكوين بذاته بهذه الألفاظ . وتروى الأسفار الخمسة من جهتها عن دور موسى الحتمى فى كتابتها من أول سجل كتبه عن لعنة عماليق (خر ١٧ : ١٤) وسفر عهد سيناء (خر ٢٤ : ٣ ـــ ٧) إلى كتابة وحفظ تفسيره النهائى للناموس (تث ٣١ : ٢٤ ـــ ٢٦) . فتحت سلطان الله ، كتب موسى مادته ـــ لبًا ومادة ـــ من الخروج إلى التثنية بالضبط مثلما كانت تحت سلطان الله أحداث قصة حياته .

ومع ذلك فدائماً ما يعبر عن موسى بـ « هو » وليس « أنا » فى هذه الأحداث . حتى « سجل المسيرة » فى عد ٣٣ فى ضمير الغائب (أى كتبت من سجله ولم تحشر حشراً) . وعندما يتحدث فى ضمير المتكلم كما فى التثنية فإن كلماته توضع فى إطار من مقدمة وخاتمة فيصير تاريخا مرويا وليس كتابة من موسى لسيرة حياته . ولا يوجد شيء أشبه بيوميات تحميا أو سجل الأعمال فى ضمير المتكلم (الجمع) بلا مقدمات .

وإذ ينسب العهد الجديد الأسفار الخمسة لموسى ككل ، فهذا يشمل التكوين ، والعلاقة بين المادة المكتوبة وصورتها النهائية : أى أن المادة مادة موسى وليكن كاتب السيرة أو المحرر من يكون . مثلا يبدو مفتعلا أن نستثنى التكوين من قول الرب المأثور « ... موسى .. كتب عنى » (يو ٥ : ٤٦) ، ومن تفسيره لتلميذى عمواس ابتداء « من موسى » (لو ٢٤ : ٢٧ ـــ الخ قارن ٤٤) فإن هذا الاستثناء لا يمكن أن يكون قد ورد على خاطر أى من القراء الأصليين للأناجيل .

إن هذا التقدير لعلاقة موسى بالأسفار التى تحمل اسمه يبدو موافقا لبعض الأدلة الصغيرة الظاهرية بالنسبة لسفر التكوين ، مع أنه يجب أن يؤكد على أنها غير نهائية ـــ فمثلا من جهة تك ٤٧ : ١١ يستخدم التعبير « أرض رعمسيس » بالنسبة لحدود إسرائيل وهو تعبير يمكن أن يذكره موسى بكل سهولة إذا كان معاصرا لرمسيس الثانى . ومن الجهة الأخرى ٣٦ : ٣١ وما بعده التى تذكر عن ملوك حاكمين فى أدوم « قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل » تضع هذا الكلام بشكل عادى فى وقت شاول أو بعده . على أن قائمة الملوك هذه يمكن أن تكون ملحقا لسفر قديم لتحديث السفر لكى يكون متمشيا مع العصر ، كما يمكن أن يكون إشارة إلى الزمان الذى كتب فيه ، وليس لدينا شيء مؤكد . وهناك تعبيرات ثانوية أخرى يحتمل أنها تدل على التاريخ . ١٢ :

٦ (انظر ١٣ : ٧) « وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض » ، (١٤ : ١٤) « إلى دان » (قارن قضاة ١٨ : ٢٩) ، والشاهد الأول ليس نهائيا حيث « حينئذ » يمكن أن تعنى « فى ذلك الوقت أو الآن » (قارن يش ١٤ : ١١) بينما الثانى مثل ٣٦ : ٣١ الخ المقتبس أعلاه يمكن أن يدل على زمان الكاتب للسفر أو كاتبا أبدل اسما مستعملا بدلا من اسم مهجور لقدمه .

لذلك فالدليل الكتابى من داخل السفر ومن خارجه يترك السؤال معلقا بالنسبة لتضمين سفر التكوين بين كتابات موسى : أيعنى هذا ببساطة أنه أساس للأسفار الخمسة أو أن موسى نفسه كتبه ؟ ويمكن أن نزيد فى هذه النقطة أن السفر يظهر اتساع مدارك واطلاع ، كما أن العمل الفنى والبصيرة السيكولوجية والروحية تجعل السفر متميزا فى العهد القديم وذلك باجماع الكل . فإن لم يكن موسى هو المهندس فلا بد من وجود رجل آخر مشابه له نفس الإمكانات .

(ب) نقد أسفار موسى الخمسة :

من المعروف أن سفر التكوين يقدم أدلة كثيرة على طريقة كتابته أكثر مما ذكر من قبل . وأول ما يسترعى النظر فيها هو الاختلاف فى استخدام الأسماء الإلهية والتكرارات الظاهرة فى رواية الأحداث . وفى سنة ١٧٥٣ حاول ج . أسترك عن طريق هذا أن يستخلص عدة وثائق استخدمها موسى . وبنهاية القرن الثامن عشر تقلص اسم موسى فى نظر الباحثين ليحل محله محرر اسمه مجهول . فالمواضع التى يستخدم فيها الاسم الوهيم **Elohim** نسبت إلى « الالوهى » **Elohist** واختصروا ذلك إلى[E] . والأجزاء الأخرى التى تكلمت عن الرب (يهوه أو جيهوفا) نسبت إلى « اليهوى » **Yahwist** [J] . وحالا بعد ذلك تقرر أنه هناك أكثر من « الوهى » واحد فأضيف الحرف [P] (Priestly Source) (المصدر الكهنوتى) إلى J,E لكى تميز بين الالوهى الأول والثانى ثم حدثت ثورة أبعد من ذلك فى ستينات القرن التاسع عشر وسبعيناته عندما قام ك . هـ جراف ومن بعده ج . فلهاوزن فأنتجوا أدلة ليعكسوا بها الترتيب التاريخى من PEJ إلى JEP وقد كان هذا الانقلاب أكثر تطرفا بالنسبة لبقية الأسفار الخمسة بالمقارنة مع التكوين ؛ حيث وضع الناموس اللاوى قرب نهاية التاريخ الإسرائيلى بدلا من بدئه . وفيما يختص بسفر التكوين

كان هذا يعنى أن P ، والذى يظن أنه فى زمن السبى أو بعد السبى ، قدم الإطار النهائى وقد خلط روايته الخاصة للأحداث مع J فى الجزء المبكر من السفر ومع E من ص ١٥ وما بعد ذلك .

وبمجرد أن ثبتت هذه الطريقة من الدرس نفسها ، رويت علامات مميزة أخرى للوثائق فى أعداد كبيرة ، وفى نهاية القرن التاسع عشر شرَّحوا الأسفار الخمسة بعنف ، حتى لم يكن بمستغرب أن نجد عددا واحدا ، قد وزعوه بين مصدرين أو ثلاثة ، إذ اعتقدوا أن كل جزء من العدد الواحد له خواصه اللغوية واللاهوتية . فإن وجد هناك مرادفان لاسم أو فعل أو ضمير فأحدهما ربما يكون فعليا حاملا لبصمات J أو E ، والآخر من P . وإن وجدت سلاسل أنساب أو تواريخ فالأغلب أن هذه أشياء يهتم بها P . وإن ركز الاهتمام على الأسباط الشمالية فالأرجح أن هذا عمل E . ويظهر لاهوتيا أنه فى J يتكلم الله مع الناس مباشرة ، فإنه شخصية واضحة جدا ، أما فى E فإن رسائله تميل أن تأتى عن طريق الأحلام أو عن طريق ملائكة يتكلمون من السماء . وفى P الله جليل ومتباعد يخطط مجرى الأحداث نحو تأسيس وضع كنسى .

وقد استمر اعتبار أن أعمدة هذه النظرية هى فى وجود ازدواج فى الرواية أو تركيبها . والقصص التى تروى على أنها مستقلة أخذت على أنها اختلافات لذات الحادثة ، بينما الروايات الفريدة أخذت بتعنت وشطروها بذكاء وأعادوا بناءها حتى صار عاديا أن نجد واقعتين قائمتين فى حين ظهرت واحدة من قبل . وإزاء هذه المعجزات الجراحية ، نادرا ما نجد آدم ، تعوزه حواء مصنوعة من عظامه ، لتعارضه . والأمثلة القديمة لهذه الصياغة هى تحليل قصص الطوفان ويوسف . وهذه سنناقشها فى الملاحظات الإضافية لأصحاحات ٨ ، ٣٧ ، ٤٢ .

ومنذ ذلك الحين تفرعت دراسة الأسفار الخمسة إلى اتجاهات مختلفة ، مع اهتمام متزايد فى السنوات الأخيرة بالنقد الشكلى ، الذى يبحث فى الوحدات الحرفية التى يتكون منها العمل الموحد ومحاولة فهمها كنتيجة لنماذج مختلفة من الموقف . والتنبير الدائم على حياة المجتمع الذى نشأت فيه الكتابات عدلت مفهوم JEP التى لم تعد تصور على أنها ناتج مباشر من القرون التاسع والثامن والسادس على الترتيب . ولكن كجماعات ذات تقاليد حفظت وتطورت فى

دوائر إسرائيلية مختلفة عبر القرون ، وكل منها يحتوى نصيبه من مادة قديمة .

وبينما هذا الاتجاه كواحد من الاتجاهات الأخرى — قد حطم صرامة النقد السابق له حتى أن أ . بنتزن مثلا استطاع أن يقول مؤكدا « أفتكر أننا يجب أن نوقف التحدث عن الوثائق » ولكن الحروف JEP لازالت سائدة فى استخدامها ، ولازالت بالرغم من بنتزن ، تعتبر أنها تشتمل على تقاليد خاصة . وحتى التواريخ المقترحة لهذه الوثائق لم تتغير وبعض الأفراد من الدارسين استمروا يقسمونها كما فى القديم ، أو يكتشفون مصادر غير مشكوك فيها حتى الآن . مثلا س . أ . سمسون ، الذى تبع إ . ماير وآخرين فى تقسيم J إلى j[1] ، j[2] وكذا ر . هـ . فايفر يزيد إلى JEP المصدر الأدومى [S] ثم أ . أيسفلدت الذى استخلص مصدرا علمانيا قديما (lay) [L] لكى يصل بالوثائق الخاصة بالأسفار الخمسة إلى سلسلة (LJEBDHP) .

إن التحليل التحريرى القديم للأسفار الخمسة معتبر أنه لازال ذا فاعلية قوية ويجعلونه أساس معظم الأعمال التالية حتى لو أن الاهتمام المبدئى قد تحول الآن إلى دوائر أخرى . لذلك يظهر أنه يليق بنا أن نبين أن معظمه يعوزه الدليل .

١ — الأسماء الإلهية : ليست دليلا سليما فيما يختص بالكاتب حتى (عمليا) للناقد الأدبى كما تظهر لأول وهلة . مثلا يسود اعتقاد كبير بأن وثيقة E تبدأ من تك ١٥ مؤلفة من قطع صغيرة . ومع ذلك فإن ذلك الأصحاح يختفى فيه الاسم الوهيم ، ويرد يهوه سبع مرات . على أن بعض المفسرين مستعدون عند الضرورة لأن ينسبوا أعدادا تحتوى يهوه إلى « الإلوهى » مع فرض أن يداً متأخرةً قد أضاعت الدليل الذى كان فى يوم ما قائما هناك . وفى ٢٢ : ١ — ١٤ (فصل ينسب بشدة إلى E) هناك يرد يهوه ثلاث مرات وخمس مرات إلوهيم ، التى يجب أن يفسروها بنفس الطريقة . وكذا فى ١٧ : ١ ؛ ٢١ : ١ (ب) يتحدث «P» عن « يهوه » . فإن كنا نتغاضى عن هذه وغيرها من أمثلة الشذوذ عن قاعدتهم بمثل هذه الملاحظة « لابد أن كذا كان هنا فى الأصل » — فإن هذا معناه أننا ننكر الدليل القائم لأنه ببساطة لا يناسبنا ! .

مثل هذه الحالة تتطلب بشدة مدخلا أكثر مرونة حتى يدع المرء مجالا ليس فقط لمصادر ممكنة ، بل لكاتب يختار عن قصد أو عن غير قصد بين اسم

يهوه ، والاسم العمومى إلوهيم فى قرينة ما بحسب دوافعه وذوقه ، حيث الاختيار متاح لاهوتيا ، لأن يستخدم تعبيرا أو آخر : أو أن له الحرية لأن يغيرهما كليهما . ويؤيد هذا استعمال شعوب قديمة أخرى . قارن مثلا الاستعمال المتبادل للكلمتين بعل ، هداد فى لوحات هداد اليوغاريتية أو الدلالات المركبة لأزوريس على نقوش إخرنوفرت ولا حاجة بنا لأمثلة أكثر .

ومما يخالف هذه الحرية فى استعمال الأسماء المختلفة يقتبسون خر ٣ : ١٣ — ١٥ ، ٦ : ٣ كنص يدلل على أنه فى تكوين لا يمكن أن يستعمل P،E اسم يهوه حيث أنه لم يكن قد سمع عنه ، قبل دعوة موسى . ولكن هذا جهل لسياق هذه الآيات . ففى خر ٣ :١٤ التفسير الإلهى ، « أهيه » يقدم ويلقى ضوءا على الاسم المعطى فى ٣ : ١٥ . وهو ذات القرينة بالنسبة لـ ٦ : ٣ كذلك وباختصار ، فإن الاسم صار معروفا لأول مرة بكل معنى الكلمة عند تفسيره ، ولكن اسم أم موسى ذاته يوكابد (خر ٦ : ٢٠) اسم مركب فيه يهوه . وهذا دليل كاف على أن الاسم كان **مستعملا** من قبل ، بحسب P ذاته . قارن إ . جاكوب (الذى يقبل التحليل JEP) إذ يقول « ... فى رواية الخروج ليس لدينا إعلان اسم جديد ، ولكن تفسير اسم كان معروفا لموسى ، الذى اكتشف تلك الساعة المهيبة أن الاسم مشحون بمحتويات كان موسى أبعد ما يمكن فكرا عن معرفة مدى غناها » .

٢ — معايير لغوية أخرى : وهذه أيضا غير نهائية . أما أولا فلأنه — كما بين كاسوتو — إن كنا نعامل التعبيرات المتعددة عن أى فكرة ببساطة — على أنها علامات مميزة لكتبة مختلفين فهذا يعنى غالبا أننا نفوت على أنفسنا تمييز الفروق الدقيقة لمعنى الكلمة . مثلا « قطع »[١] عهد يبرز اللحظة التاريخية للعهد . أما « تقديم »[٢] العهد فينبر على سلطان ونعمة منشئه . و « إقامة »[٣] العهد ينبر على أمانة الله الذى يضمن تنفيذه (وقد تواجد عرضيا الاثنان الأخيران فى P أفلا يكون ذلك داعيا لتقسيمه ؟) كذلك « إخراج » إسرائيل من مصر [J] ينبر على الحرية ، بينما إصعادهم (E) فيجذب انتباهنا

(١) يزعم أنها كلمة JE فى ١٥ : ١٨ ، ٢١ : ٢٧ و٣٢ ، ٢٦ : ٢٨ ، ٣١ : ٤٤ .

(٢) منسوبة إلى P فى ٩ : ١٢ ، ١٧ : ٢ .

(٣) كذلك منسوبة إلى D فى ٦ : ١٨ ، ٩ : ٩ و١١ و١٧ ، ١٧ : ٧ و١٩ و٢١ .

إلى جهة وصولهم ، أرض الموعد . هاتان فكرتان مختلفتان اختلافا يستحق التأمل . أو تتشابه كلمتان فى ظلال المعنى من حيث الوزن والتأثير ، ولكن ليس فى المبادىء التى تحكم اختيار أى من الضميرين « أنا » «anoki» المنسوبة نقدياً إلى «JE» أو «ani» التى يزعم بأنها من خواص P) . والغريب أن يتصادف فى اليوغاريتية أن يكون التعبيران المقابلان لهذين جنبا إلى جنب ، فيردان مثلا فى سطرين فى أقهات الجزء الثالث ٦ : ٢١ و ٢٣ حيث لا توجد مسألة ازدواج الكتبة .

وثانيا : إن معظم هذه الاستعمالات أقل من أن تقدم إحصائية ذات مغزى أو أن الإحاطة به ضئيلة لدرجة تسمح للكاتب بالحرية . يورد أيسفيلدت مثالين من كلمات E'J وهاتان توضحان هذا المعنى . الأول استعمال E للاسم « أمورى » حيث J يستعمل « كنعانى » وهذا بالنسبة للمواطنين الأصليين لأرض الموعد .

هذا لا ينطبق إلا على موضعين من E بينما ١٥ : ٢١ حيث يذكر فيه كلاهما الأمورى والكنعانى فقد تجاهله بالرغم من مجاورته لـ ١٥ : ١٦ التى أوردها . ومثال أيسفيلدت الثانى هو الكلمتان Sipha و ama (أمة) اللتان تعنيان جارية ، اللتان تنسبان إلى E, J على الترتيب . وقد أتعب هؤلاء القوم أنفسهم عبثا عندما فكروا فى راحيل وهى تقدم أمتها إلى يعقوب فإن هذا يظهر فى E (٣٠ : ٣) وإذا بها تستمر فى تقديمها فى j كذلك (٣٠ : ٤) وقد فشل ايسفيلدت فى استعادة الثقة بتلك النظرية حتى فى الملحق الذى عمله الذى أتى بمصدر آخر يختلف عن J وقد ضيع وجودها فى اسم ثالث «Pileges» للتعبير عن هؤلاء الزوجات الثانويات .

٣ ـــ **الازدواج** : وهذا أيضا يعوزه الدليل ، إذ يفترض وجود الازدواج بطبيعة الحال عندما ترد قصتان تماثل احداهما الأخرى . فإذا كانت الأحداث قريبة الشبه فلا نشعر بأن الأمر يدعو للجدل ، وإذا لم يكونا متشابهين ، فإنهما يظهران فقط كيف تختلف التقاليد . ويمكننا أن نتتبع هذه الافتراضات مثلا فى تحليل مغادرة هاجر المكان فى المرتين . هذا G.von Rad وتبعه معظم النقاد يعامل ص ١٦ ، ص ٢١ باعتبارهما روايتان من E, J لحادثة واحدة مع حشو بواسطة P ، ويبدى ملاحظاته عن الاختلافات بين القصتين فى أن إبراهيم

كان سلبيا لينا فى ص ١٦ ، مسئولا فى ص ٢١ ، وكانت هاجر متكبرة غير متأثرة فى القصة الأولى ، أما فى القصة الثانية فيبدو عليها أنها ضحية بريئة . وفى ١٦ : ٧ يبحث الملاك عنها . أما فى ٢١ : ١٧ فيناديها من السماء ؛ وهكذا .

هذه الاختلافات صحيحة ومثيرة . إن ما رفضوه ضمنا هو إمكانة أن تعكس القصتان مناسبتين مختلفتين كما يظهر منهما . إلا أن هاجر التى احتقرت سارة العاقر فى ص ١٦ ، وأما فى ص ٢١ فيظهر ابنها مشاغبا يضرب الصبى الذى جرده من امتيازه ، فهنا لا نرى مانعا ممكنا من أن نعتبرهما نتيجة منطقية تتفق مع التوتر الذى حدث فى الأسرة على مدى أربعة عشر سنة . وذات الشىء يمكن أن يقال عن موقف إبراهيم فى الأزمتين ، ففى المناسبة الثانية كان لإبراهيم سابقة قوية تجعله يقف وقفة ؛ إذ أن هاجر تلقت أمرا إلهيا بالعودة إلى الديار فى المرة الأولى التى حدث فيها هذا الحدث (١٦ : ٩) . (ونستطيع أن نلاحظ علامات مماثلة للنتائج فى محاولات كل من إبراهيم وإسحق أن يدعيا بأن زوجاتهما أخوات : انظر التفسير الافتتاحى عن ص ٢٦ .

إنه بالتأكيد تحامل وليس فكرا ، ذاك الذى يترك الرواية الكتابية ـــ للأحداث باتساقها وتماسكها ـــ يتركها إما دون مناقشة أو يتركها على اعتبار أنها توفيق مصطنع فى تفسيرهم (مثلما فعلوا فى ٢٦ : ١ (أ)) .

٤ ـــ **الرواية المركبة** : إن وجود الرواية المركبة ذات الخلط المعقد مثار التساؤل . لا توجد كتابة مماثلة لكى يثبت هذا الفكر . أما التحليل الذى يشوش على نظام الكتاب فهذا مبنى على الفكرة المتعنتة غير المحتملة عن الأسلوب الحرفى الذى كتب به الكتاب والذى رأيناه فى الفقرتين ١ و ٢ أعلاه . ويمكنك أن تجد مزيدا من الأمثلة ، ونقد النظرية فى الملاحظات الإضافية على الأصحاحات ٨ ، ٣٧ ، ٤٢ .

(جـ) بعض النتائج :

عندما ندرس سفر التكوين كما هو أى كوحدة حية وليس كجسد يراد تشريحه ، نخرج بانطباع لا مهرب منه هو أن شخصياته بشر من لحم ودم ، وأحداثه واقعية ، وأن السفر ذاته وحدة واحدة . فإن صح هذا ، فإن آلية التركيب مسألة ليست ذات بال ، حيث أن أجزاء هذا الكل لا تتعارض

كمعتقد وتقليد ، ولا يوجه الكاتب الانتباه — كما يفعل كتبة الملوك وأخبار الأيام — إلى مصادر استقى منها معلوماته .

على أنه لم يعدم مثل هذه المصادر شفوية أو تحريرية ، ولا يمكن أن نفرض فرضا كهذا بالنسبة لكاتب الفترة المبينة فيما ذكر عن الأدلة من المكتوب . إذ أن أبرام هاجر من بلاد غنية بتقاليدها وأنسابها . كما أن يوسف — وموسى من بعده — عاش لعدة سنين فى الجو الفكرى فى البلاط المصرى ، هذا من جهة (كما يبدو من الوصف المفصل للسلالات البشرية الذى ينعكس على تك ١٠) ، ومن جهة أخرى ، الفرص التى أتاحها له مجتمع الآباء الذى حفظ له مخزونا كبيرا من المعلومات . وعليه فقد قامت بعض المحاولات لاكتشاف آثار مواد جمعت فى أزمنة مبكرة عما زعموه عملا كاملا فى P, E, J. وهنا وصف موجز لاثنين من هذه المصادر :

أولا فى كتابه : « الاكتشافات الحديثة فى بابل عن سفر التكوين » فحص ب . ج . وايزمان معنى العبارة المتكررة فى سفر التكوين والتى تحدد فيه ١١ جزءا وهى « هذه مواليد .. » ، فرأى فيها أن الأسر حفظت سجلا لها عن طريق الآباء المتعاقبين ، ويفسر هذا النص على أنه دليل على نهاية فقرة ، ويمكن أن يترجم « هذه هى الأصول التاريخية لـ .. » أو فى كلمات أخرى فى رأيه أنها دائما تعين خلاصة جزء يلخص كل ما حفظ مكتوبا أو معروفا عبر السنين بدءا بآدم (تك ٥ : ٦) أو نوح (٦ : ٩) أو أولاد نوح (١٠ : ١) وهكذا : سلسلة استؤمن عليها رؤساء العائلات .

ويسند الكاتب هذا الدليل بأن أى جزء منها لا يتجاوز مدة حياة الشخص المذكور بالاسم حتى أن ذلك القدر من المعلومات يعكس بدقة المراحل المختلفة التى يسجلها (أى فى الكلمات وفى أسماء الأماكن) ، كذلك يدلل بأن فن الكتابة كان شائعا من قبل إبراهيم بقرون كما هو ثابت فى الآثار . كذلك يورد عدة صور طبق الأصل من جمل تذكر فى نهاية كل قسم والتى يمكن أن تكون عبارات ربط اعتادوا أن يستخدموها لوصل اللوحات بعضها ببعض وفى ترتيبها المتسلسل الصحيح .

إلا أن قصر استعمال الكلمة « مواليد » Toledot على ما سبقها فيها نقاط ضعف . واضح أنه على سبيل المثال لا ينطبق هذا على راعوث (٤ : ١٨)

حيث ترد « وهذه مواليد .. » بالضبط كما فى التكوين ، ولكنها لا يمكن أن تعنى إلا ما يلحقها . وفى التكوين أيضا تتمشى كذلك وعلى قدم المساواة مع الكلام التالى لها كما تناسب الماضى (بل وأحيانا تكون أنسب بالنسبة للتالى) ومن (٢ : ٤) فصاعدا ، كل مرة وردت كانت متبوعة بما نشأ عن النقطة المذكورة سواء كانت تلك النقطة عن العالم العادى (٢ : ٥ الخ) أو آدم (٥ : ٣ الخ) أو نوح (٦ : ٩ الخ) الخ . وهكذا من تارح لا يذكر إبراهيم فقط (١١ : ٢٧) الذى سيسود المشهد ، بل أقرباء إبراهيم ، الذين منهم لابد أن تختار عروس اسحق فيما بعد ؛ ومن يعقوب يأتى الأسباط الاثنا عشر (الذين سنتتبع) مصيرهم إلى المستقبل البعيد فى الأصحاح ٤٩) وليس فقط يوسف البطل . إن جعل العبارة خاتمة بدلا من افتتاحية هو الشذوذ وليس القاعدة ، خاصة إذا طبقناها بشدة على تاريخ إبراهيم الذى حفظه اسماعيل (١١ : ٢٧ ب — ٢٥ : ١٢) بينما يحفظ اسحق سجلا لاسماعيل (٢٥ : ١٣ — ١٩ أ) وعيسو ليعقوب (٢٥ : ١٦(ب) — ٣٦ : ١) ، ويعقوب لعيسو — الأمر الذى هو فى غاية التعقيد ، وينتج نتيجة مفتعلة يريد الكاتب أن يتجنبها .

زد على ذلك أن الإصرار على التتابع الكامل لألواح الأسماء ، يؤدى بنا إلى نظرية مفادها أن الكتابة قديمة قدم الإنسان نفسه تقريبا . على أن سفر التكوين ذاته لا يتطلب ذلك حتى لو قرأته بأى طريقة كانت . فيوجد به ما يجعلنا نجزم بأنه بينما قوائم المواليد كانت مكتوبة وفى زمن مبكر غير معين[1] فإن بقية تاريخ الأسرة ربما انتقل من جيل إلى آخر شفويا ، وذلك كما تدل دلائله الداخلية . إن بعض خواص التقليد الشفهى التى سجلها إ . نيلسن تذكرنا بما فى سفر التكوين مثل « التعبيرات المتكررة ، والأسلوب السلس الجامع المانع ، وشيء من الإيقاع والترخيم ، الأشياء التى نلاحظها بصفة خاصة عندما نسمع الرواية.. » والجدير بالذكر أن هذا النوع من الأخبار يمكن أن يكون دقيقا إلى أبعد حد عندما يستخدم فى استعماله الصحيح .

ثانيا : أما المدخل الثانى فينشأ عن افتراض مختلف تماما ، وذلك هو الذى جاء به إ . روبرتسون ، وأشار إلى الفرصة التى كانت مواتية لصموئيل لكى

---

(١) انظر تفسير ص ٥ .

يجمع تقاليد إسرائيل ويسجلها عند زياراته لبيت إيل وباقى المراكز (١ صم ٧ : ١٦) فى جولاته النظامية كقاض . ويستعيد روبرتسون حالة إسرائيل الحرجة فى ذلك الوقت ــ النظام القديم المحطم ، والمقدس الخرب ، وطلب الشعب مسح ملك مما يهدد المملكة الإلهية بالوثنية . لهذا ففى ذلك الوقت كان أمرا حيويا أن يستعيدوا ناموس موسى . وقد أشار روبرتسون إلى مناسبة سفر التثنية للمقام ، وبحسب (١ صم ١٠ : ٢٥) أبرز روبرتسون بشىء من التفصيل الأمر الهام الذى قام به صموئيل «فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه فى السفر ، ووضعه أمام الرب » . وبحسب رأيه هذا هو تاج جهود صموئيل الذى انتهى إلى تحرير كل أسفار موسى الخمسة ربما بمعونة الكتبة الباحثين ، وتحت إرشاده الكنسى . وبالنسبة لرأى روبرتسون ، فإن « الكتبة المختلفين أو قل الجامعين للتوراة جميعا عاشوا فى ذات الزمان ، وجميعهم اشتغلوا بالعمل العظيم فى ذات الوقت » .

وينسب روبرتسون إلى صموئيل دورا خلاقاً فى كتابة الأسفار الخمسة أكثر مما يقول به الكتاب المقدس نفسه [قارن الفقرة (أ) الأدلة من المكتوب] ولكنه ربما يوجه الأنظار إلى الاتجاه الصحيح . وبالتأكيد فإن مقام صموئيل الروحى ، وخبرته فى مجال الحكم ، والكهنوت والنبوة كفيلة بأن ترجح احتمال أن يكون المهندس النهائى لأسفار موسى الخمسة بالنسبة لكل من نعرفهم قبل عزرا . وإذا كان هو الراوى الذى روى عن موسى ، وحرر كتاباته ، فإن الإشارات الواردة من آن لآخر عن أسماء بعد موسى ، والأحوال المشار إليها فى الفقرة (أ) ، تصير جميعا مناسبة للمقام .

على أن كل هذه المحاولات ، فى درجاتها المختلفة ، نظرية ، وثانوية فى أهميتها وينتابنى شعور أنه لو أنه أقحم فى مثل هذه المناقشة لقال عاجلا أو آجلا « أقول ولو كغبى » مع أنه ربما يضيف « أنتم ألزمتمونى » ــ لأن النقاش الذى بدأ يجب أن يستمر . وربما مرة أخرى تأتى الكلمة المناسبة من العهد الجديد لسمعان بطرس فوق الجبل عندما انفعل جدا بوجود موسى وإيليا ، وتذكيره بلطف بسبب وجودهما . وسواء تجربنا فى دراستنا للأسفار الخمسة أن نصنع مظالاً كثيرة أو قليلة لموسى أو لكثيرين ، فإن جواب السماء « هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا » .

٣ — البداءات البشرية

بصفة عامة يواجه المسيحى المعاصر مخططين عن بداءة عمر الانسان. فيرسم سفر التكوين فى خطوط قليلة ، مخلوقا مهيئا من مادة أرضية — فيه نسمة الله ، وعلى صورة الله ، يتجه تاريخه الروحى من البراءة إلى العصيان ، ويواصل المسيرة إلى التدنى الأخلاق الذى لا تستطيع بداءة الحضارة أن توقفه.

والصورة الثانية ، هى صورة تتكون من جزئيات كثيرة ، تصور جنسا تشكل على مدى ربما مليون سنة أو أكثر فى شكله البشرى الحالى ، يظهر الخواص الخارجية الخاصة بالإنسان الحديث ، وله خبرة تزيد عن عشرين الف سنة مضت ؛ ليس فقط بالنسبة لكيانه الجسمى ، ولكن بالنسبة لممارساته فى صنع الأدوات ، واستعمال النار ، ودفن موتاه ، بل وإبداع فنى متميز لكل فترة زمنية . وحتى فى ذلك الزمن السحيق فإن المبدعين من جنسنا يبدو أنهم كانوا أناسا متميزين ، ثم انتشرت الأنواع فملأت العالم ، وقد أزاحت نوعا آخر من الكائنات البشرية : « الانسان النياندرثالى » الذى يتضح من آثاره بغض النظر عن خشونتها ، أن الانسان استعمل النار ومارس دفن الموتى منذ زمن بعيد .. ومن الوجهة الأخرى فإن أول الدلائل المعروفة عن عمل الرعى والزراعة ، ثم بعد ذلك التعدين (مثلا طرق النحاس ، والحديد الشهبى) [قارن ٤ : ١٩ — ٢٤ وتفسيرها] — وهو أحدث كثيرا ظهرت فى الشرق الأدنى — وبحسب الأدلة المتوفرة حاليا — بين الألف الثامنة والخامسة قبل الميلاد وليس قبل ذلك .

أما إلى أى حد تتوافق الصورة الكتابية مع الصورة العلمية ، فهذا غير واضح بصورة مباشرة ، ويجب فى الوقت الحاضر أن نذعن لطبيعتى التفسير التقليدى للأسفار الكتابية ، والتقديرات العلمية (دون أن نجعل هذا مهرب من الآراء غير المرحب بها) . كذلك يجب على المرء أن يعتبر أن المدخلين مختلفان غرضا وأسلوبا ، فأحدهما يسبر العالم المرئى ، بينما الآخر يعلن بصفة خاصة غير المرئى ، علاقة الله بالإنسان . وأسلوب أولهما هو رواية حقائق جافة ، أما الثانى فيحتاج إلى كل مجال المواهب الأدبية لكى توفيه حقه . ولهذا فمن المهم أن لا نتحيز لطريقة أو اتجاه هذه الأصحاحات .

على أن أسفارا أخرى تقدم بعض النقاط الثابتة التى تعين المفسر . مثلا

الجنس البشرى من دم واحد (أع ١٧ : ٢٦) ، كذلك بخطية واحد جعل الكثيرون خطاة وصاروا تحت حكم الموت (رو ٥ : ١٢ ـــ ١٩) وهذا الواحد كان فردا واحداً مثل موسى ويسوع (رو ٥ : ١٤)[1] . وكذلك فى العهد القديم نجد أفرادا كثيرين مثل قايين وهابيل وأخنوخ ونوح اعتبروا مجرد أفراد . فهذه المؤشرات تنفى فكرة الأسطورة (التى تحول نظام الطبيعة إلى رواية لكى « تفسره وتؤكده ») كذلك فإن هذه المؤشرات تؤكد لنا أننا نقرأ أحداثا حقيقية محورية .

يمكن أن تعتبر الأحداث مقدمة هنا فى هيئة وصفية مبسطة (قارن التفسير الافتتاحى لأصحاح ٣) . أو معالم تحدد ردحا كبيراً من الزمن . وحتى بهذا الاعتبار توجد الصعوبات . فإنه إن كان سفر التكوين يختصر تاريخا طويلا ، فإن مدى اتساع العصور التى يعبرها مقتضبا ، لا يشكل بحسب هذا الرأى معضلة صعبة ، بل هى أيسر من المشكلة التى تواجه عالم الحفريات بالنسبة لمعظم المدة بين الإنسان الأول والفلاح الأول ـــ أو بعبير التكوين المدة بين آدم وقايين أو بين آدم داخل الجنة وخارجها . لكن ميلاد شيث يضع حدا أعلى لهذا بـ ١٣٠ سنة (٤ : ٢٥ ، ٥ : ٣) أى بين آدم وخلفه . وحتى لو أن الأرقام المذكورة فى تك ٥ ليست حرفية فإن النسب أيضا تخلق ذات المشكلة . ولذلك فإن مدخلا آخر يبدو ضرورياً[2] .

---

(١) إن أية محاولة للتدليل على أن بولس فى رومية ص ٥ قصد أن يدعم تفسيره للبر المحسوب ، عن طريق مماثلة مأخوذة من مجرد الألفاظ الواردة فى تك ٣ مثل المماثلة فى عب ٧ : ٣ باستعمال الفاظ من تك ١٤ ـــ أية محاولة لذلك تمتنع ، إذ أن بولس يفرق بين خطية آدم وخطية البشر الآخرين فى رو ٥ : ١٤ . وهكذا فلا مجال لاعتبار آدم مجموعة من الناس ، ولا للتعبير «لكل انسان آدم خاص» .

(٢) يناقش ب . رام فى « الرأى المسيحى فى العلم والكتاب » (باترنوستر سنة ١٩٥٥) ص ١١٩ ـــ ١٥٦ عدة اجابات للمشكلة ، منها اثنتان صار لهما تأثير واسع فى الدوائر المسيحية هما : (أ) نظرية الفجوة التى تقول بأن نازلة حدثت وقد استغرقت زمنا بين تك ١ : ١ ، ١ : ٣ وهى بطول يكفى لأن يحدث الظواهر الجيولوجية الرئيسية التى أنشأ العالم بعدها فى ستة أيام (انظر خاصة ج . هـ . بمبر) « عصور الأرض المبكرة » (بكرنج أن انجلز سنة ١٩٢١) . عن هذا انظر التفسير تحت تك ١ : ٢ ، والحاشية الأولى . (ب) « جيولوجية الطوفان » الذى يجعل سنة طوفان نوح فترة فيها ترسيب الرواسب والكائنات المتحجرة التى تعتبر عادة أنها حدثت فى مدة ملايين كثيرة من السنين . وهذا الرأى مشروح بالتفصيل فى « طوفان التكوين » بقلم ج . س . وتكوم ، هـ . م . بورس (دار النشر المشيخية والمصلحة سنة ١٩٦١) . على أن هذا الرأى لم يدعمه الجيولوجيون المحترفون .

ويرى الكاتب الحالى أنه توجد خطوط متعددة تتلاقى عند نقطة تشير إلى آدم أقرب إلى أيامنا من أولئك الأقدمين من صناع الأدوات ، والحرفيين . ناهيك عما يتضمن بعد زمنهم . وعلى نقيض ذلك فإن أسلوب الحياة الموصوف فى تك ٤ هو أسلوب حياة العصر الحجرى الحديث ، وحضارات الأعمال المعدنية الأولى المشار إليها سابقا : أى ربما منذ ثمانية آلاف سنة أو عشرة آلاف تزيد أو تقل . كذلك الذاكرة المحتفظة بالأسماء وتفاصيل المواليد تقترح وقتا مضغوطا بعض الشيء من آدم ونوح أكثر من فترة عشرات الآلاف أو مئات الآلاف ، التى هى مط للوقت بصورة لا يتصورها العقل ولا تؤرخ . ومع ذلك فهذا يبدو أنه يوسع الفجوة أكثر بين سفر التكوين وتقويم التواريخ المتداولة .

وربما نجد الرد فى تعريفنا للإنسان .

إن الإنسان فى الكتاب أكثر بكثير من مجرد صانع الأدوات ، فإن ما صيره إنسانا هو صورة الله ونسمته وليس أقل من ذلك . وتبعا لذلك فقد يختلف الكتاب والعلم فى الحدود التى يرسمها كل منهما حول البشرية المبكرة : فهم الكائنات العاقلة ، ذوو الماضى السحيق ، الذين يرى علماء الإنسان من دراسة آثارهم أنهم يمثلون الإنسان العصرى ، ومع ذلك فهم أقل من مستوى الحياة عند خلق آدم . ولو أن الله فى البداءة ، وبالصورة التى لا يقرها نص سفر التكوين [1] ، شكل الإنسان بعملية تطور ، لنتج عن هذا الفكر أن عددا وافرا من أشباه البشر لابد أنهم سبقوا الإنسان الأول الحقيقى ، وكان من التعسف أن نصورهم على أنهم وحوش بلا عقل ، ولا شيء يستوجب أن المخلوق الذى نفخ الله فيه الحياة البشرية لا يكون من سلالة مهيأة بكل طريقة للآدمية ــ ولا يستوجب تاريخا طويلا سابقا من تطور الذكاء العملى والذوق الفنى وإمكانية التأمل .

بحسب رأى التطوريين لابد أن كان لآدم معاصرون كثيرون من مخلوقات ذوات ذكاء نسبى منتشرون انتشارا كبيرا فى العالم . ويمكنك أن تعتقد أن

---

(١) قارن مثلا اى ١٠ : ٨ و ٩ ، مز ١١٩ : ٧٣ حيث يستخدم الله العمليات الطبيعية ويصف ذلك الاستخدام بالفاظ مأخوذة من حرفة الفخارى كما فى تك ٢ : ٧ .

هؤلاء كان مقضيا عليهم بالفناء مثل الإنسان النياندرثالى (لو أنه فنى فعلا) أو هلكوا فى الطوفان وبقى نسل آدم عن طريق نوح محتكرا للوجود البشرى . الا أنه بعكس هذا يجب أن يكون فى فكرنا الاستمرارية الظاهرة بين الأجناس الرئيسية الحاضرة واجناس الماضى البعيد المذكورة سابقا . مما يوحى إما بقدم هائل لآدم (الا إذا حكمنا على كل التواريخ المتعارف عليها بأنها خطأ ، كما حاول البعض أن يثبتوا مثل وتكوم ومورس ، أو باستمرار وجود سابقى آدم واستمرارهم إلى جانب بنى آدم .

وهذا الخيار الثانى لو تضمن أى شك فى وحدة البشر ، فلا يمكن الدفاع عنه ، فقد رأينا أن الله خلق كل الأمم « من دم واحد » (أع ١٧ : ٢٦) . وفى الحقيقة ، بحسب هذا الرأى ، ومن وجهة نظر الوراثة فإن هاتين المجموعتين لابد أنهما تناسلا من نفس السلالة الواحدة ، ثم تعجب كيف يبحث آدم بلا جدوى عن معين نظيره حال وجود المعاصرات له ! أو على الأقل لا يعقل أنه ـــ بعد خلق خاص أوجد به الله حواء ، وبهذا وجد أول زوجين بشريين كوكلاء لله (تك ١ : ٢٧ و ٢٨) ، وقد اثبتنا الحقيقة بأنه لا يوجد جسر طبيعى بين الحيوان والإنسان ـــ بعد هذا لا يعقل أن يكون الله قد وهب صورته لمعاصرى آدم لكى يضمهم إلى ذات دائرة الوجود ، ولا يعقل أن أبوّة آدم للبشرية اتسعت عرضا إلى معاصريه كما امتدت لنسله ، وأن عصيانه يحسب عليهما كليهما سواء .

وربما توجد إشارة كتابية فى الانطباع المدهش الوارد فى ٤ : ١٤ و ١٧ عن أرض مسكونة فى كلمات قايين وأعماله [١] . وحتى أوغسطينوس قد كرس فصلا فى « مدينة الله » للإجابة على من اعتبروا هذه مشكلة . ومع أن الجواب التقليدى صالح للمقام بالكفاية (انظر التفسير للأعداد ٤ :١٣ و ١٤) ، فإن إلحاح هذا الاعتراض القديم يمكن أن يكون مؤشرا على أن افتراضاتنا كانت غير كافية . كذلك قد يعتبر شيئا جديرا بالاعتبار أن نفهم حقيقة ذات إستثناء واحد[٢] : إن وحدة البشر فى آدم ، وحالتنا كخطاة عن

---

(١) أشار رندل شورت إلى أن سكان مدينة قايين ربما كانوا بدائيين لكنه لم يصفهم باعتبارهم بشراً

(٢) إذا كان تك ٣ : ٢٠ يدعو حواء « أم كل حى » ويقصد بذلك تعريفاً انسانياً بمعنى « السلف الأنثوى لكل البشر » فإن المشكلة قد حلت . وقد يكون هذا هو القصد . ولكن معنى اسمها « الحياة » والانتباه الذى يشده معنى اسمها (أم كل حى) يوحى بأن هذا العدد يركز فى هذه القرينة التى تتحدث عن الموت على وعد الخلاص عن طريق نسلها (٣ : ١٥) .

طريق خطيته يعبر عنها فى الكتاب ليس فى تعبيرات وراثية[1] بل ببساطة تدل على التوحد معه . فإننا لا نجد فى أى موضع أى دليل ينطبق علينا من تناسل جسدى مثل عب ٧ : ٩و١٠ (حيث لاوى يعمل من خلال كونه فى صلب إبراهيم) بالحرى تظهر خطية آدم على أنها شملت كل الناس لأنه الأب المشترك لكل البشر وهو فى هذا أشبه بالتعبير عن المسيح بأنه « مات عن الجميع فالجميع إذاً ماتوا » (٢ كو ٥ : ١٤) . ولا تلعب الأبوة أى دور فى جعل آدم « مثالاً للآتى » (رو ٥ : ١٤) .

ولدينا ثلاثة تعقيبات ختامية . **أولا** : الرأى الاستكشافى المذكور أعلاه مجرد رأى غير نهائى وهو رأى شخصى ، يحتاج للتصحيح ولصياغة أفضل ، على أنه يمكن أن يخدم غرضا باعتباره يذكرنا عندما يصعب التوفيق بين المعلنات والملاحظات أننا نعرف قليلا جدا ، وليس كثيرا ـــ كما أفحم ربنا الصدوقيين ردا لأحجيتهم عن القيامة . والأمور الواضحة جداً من هذه الأصحاحات فى نور باقى الكتب المقدسة هى عقيدة وحدة البشر ، وأنهم مخلوقون على صورة الله ، سقطوا فى آدم بمعصيته الواحدة ـــ وهذه الأشياء مؤكدة على أساس فهم كلمة الله كما على أى شىء آخر .

ثانيا : ربما يظن أن هذه المناقشات كلها تسمح للعلم أن يسيطر على التفسير ، أن هذه تهمة خطيرة . إن محاولة إيجاد ترابط بين الدليل الكتابى والدليل الطبيعى لا يحقر سلطان الكتاب ، بل يمجد الله كخالق ، ويتشبث بواجبنا نحو تفسير الطريقة التى يتكلم بها الله . إنه يتركنا فى الكتب لنكتشف لأنفسنا هل التفاصيل المذكورة مثل « أجنحة الريح » و « طاقات السماء » حرفية أم مجازية؟ وبأى معنى نفهم « تثبتت المسكونة فلا تتزعزع » (مز ٩٦ : ١٠) ؟ أو أن الشمس « مدارها إلى أقاصيها » (مز ١٩ : ٥ و ٦) ؟ بعض هذه الأسئلة تجد جوابها بمجرد سؤالها والأخرى نعرف الإجابة عليها عن طريق تقدم المعرفة[2] ، ومعظمها لها تأثير عقائدى محايد . إننا نقرر عصمتنا نحن

---

(١) فى اش ٤٣ : ٢٧ الذى قد يرد على الخاطر معارضا لهذا يقرر تاريخ إسرائيل الطويل فى الخطية (سواء بارجاعه إلى يعقوب أو إبراهيم أو آدم) وليس أبوة آدم للبشر .

(٢) كان تلسكوب جاليليو ـــ وليست كنيسته ـــ هو الذى فند نهائيا تفسير مز ٩٦ : ١٠ على أنه نص كتابى ضد دوران الأرض . وقتها تحقق جاليليو أن علم الفلك الجديد حط من قدر المفسرين وحدهم وليس من قدر الكتاب .

وليس عصمة الكتاب المقدس عندما نرفض أن نقارن حججنا مع نظائرها الآتية من البحث المستقل[1] .

ثالثا : يختلف الكتاب المقدس عن العلم اختلافاً بيناً فى اهتماماتهما وطرق البحث . لذا يفضل دراسة كل منهما على حدة . فرواية كل منهما عن خلق العالم مختلفة ولكل منهما مبرراته كما تختلف الصورة التى يرسمها الفنان عن الرسم التوضيحى الذى يرسمه عالم التشريح ولن نجد صورة واحدة تجمع الاتجاهين معا .

وما يهمنا هنا أن الكتاب المقدس هو إعلان الله وأن ما عرضه بكل ثقة وقوة يشبه لوحة فنان عظيم فى قوتها . ولكن أن نقرأ الكتاب بإحدى العينين بينما ننظر بالعين الثانية لرواية أخرى ، فإننا نفسد الصورة ويضيع منا الهدف منها . فإن كان لدينا ما يهمنا من قصة بداية البشرية ــ كما عرضها الله نفسه ــ فلا حاجة بنا للبحث هنا وهناك عن حقائق أكثر مما ورد فى تلك الأصحاحات وتفسير العهد الجديد لها .

٤ – لاهوت سفر التكوين

توجد مادة تكفى لكتاب كبير تحت هذا العنوان ، فى سفر التكوين . ولكننا هنا نكتفى بالنظر باختصار فى ثلاثة مواضيع من مواضيعه وهى : الله ، والإنسان ، والخلاص .

(أ) اللـــه :

يطالعنا سفر التكوين من مستهله بالله الحى ، ويبرزه لنا بصورة لا نخطئها كإله شخصى . فتعبر الأفعال فى الأصحاح الافتتاحى عن طاقة فكر ، وإرادة وقدرة على الحكم من شأنها أن تستبعد كل تساؤل بالنسبة لفهم الله باعتباره شيئا وليس شخصا نخاطبه . ويواصل السفر توكيد ذلك فى ما يرويه عن خلق

---

(١) « اننا نجرب .. لأننا نتكر المشكلة إما برفض بعض الحقائق ووضعها فى غرف مستقلة فى عقولنا .. والواقع أن حقائق الطبيعة تقدم عونا إيجابيا بطرق كثيرة لتفسير الأقوال الكتابية تفسيرا صحيحا . والتمرن على مواجهة مشكلة وضع الحقائق الطبيعية والكتابية معا يقود إلى فهم غنى جدا لكليهما .

الإنسان على صورة الله ، وفى إصرار الله على علاقة شخصية مع عبيده .

ثانيا — إنه الإله الوحيد ، وهو سيد على الكل . وإذا كانت الأصحاحات النهائية فى نبوة إشعياء هى الفصل الكلاسيكى للتوحيد الصريح وتثبت ذلك بشدة ، فإن فى سفر التكوين لا تقدم هذه المسألة إطلاقا إلا فى فصل واحد عن هروب يعقوب من لابان حيث يشير لابان إلى اله غريب يشهده على عهد مع يعقوب (انظر ٣١ : ٥٣) . كما نجد تماثيل آلهة أخرى تسرق وتجلس عليها راحيل ثم تدفن (٣١ : ١٩ و ٣٠ و ٣٤ ، ٣٥ : ٤) .

إن قصة الخليقة قد حسمت الأمر . وفى ما تلا ذلك من تاريخ أثبت أن الله هو سيد الأحداث فى قيام وسقوط الأمم (١٥ : ١٤و١٦،٢٥ : ٢٣) كما فى ولادة طفل أو دعوة تابع — جل عن الزمان والمكان والخطية والموت (٥ : ٢٤) وسواء كان يعمل عن طريق المعجزات البينة أو العناية الخفية . وهذا هو الإيمان الذى ساد ليس فقط الراوى بل الشخصيات الرئيسية أيضا ، الذين يعلنون أنه خالق الجميع وديَّانهم (١٤ : ١٩ و ٢٢ ، ١٨ : ٢٥) وميسر أعسر الأحوال (٤٥ : ٥ — ٨) .

ثالثا — طرق كاملة ، فإن تتابع الرفض والانقلابات فى سفر التكوين ، تعلن أن السماء لا يمكن أن تهادن الخطية سواء كانت موجهة نحو الله فى صورة عدم الإيمان أو الغطرسة (مثلما حدث فى عدن وبابل) أو كانت نحو الإنسان مثل أخطاء القسوة والشهوة والخيانة — ومع ذلك فإن غضبه البار مصحوب بالحزن (٦ : ٦) ودينونته محلاة بالرحمة (٣ : ٢١، ٤ : ١٥ ، ٦ : ٨ ، ١٨ : ٣٢ ، ١٩ : ١٦ و ٢١ الخ) وبطيئة فى وقوعها (١٥ : ١٦) . (واهتمامه بإصلاح الخطاة نجده فيما يلى فى الجزء جـ : ٣) . وكما أن عدله به محبة ، هكذا محبته تحتوى على المطالب الأخلاقية . وفيها نستطيع أن نتتبع أثر التحديات الإلهية حتى فى الفردوس الأرضى (انظر تفسير ٢ : ٨ — ١٧) وكان على إبراهيم على المدى الطويل وبخاصة على جبل المريا (ص ٢٢) أن يعرف أن كونه خليل الله ، يتطلب منه أن يقدم كل ما عنده .

رابعا — إنه يعلن نفسه . يأمر ويناقش بل يدخل فى عهود . إنه دائما يهب نفسه لحد معين ، ولم يكن قط منعزلا عن البشر الذين يطلبونه ، وهو معروف فى هذا السفر بأسماء كثيرة . فزيادة على اللفظ العام **الله** واسم العَلَم

يهوه [١] ، بعضها ألقاب تعبر عن صفاته (العلى ١٤ : ١٨ — ٢٢ ، وهو لقب شائع أيضا فى المزامير ، **القدير** ١٧ : ١ (انظر الملاحظة) ويوجد فى أماكن أخرى غالبا فى أيوب ، **السرمدى** (٢١ : ٢٣ قارن إش ٤٠ : ٢٨) . وأسماء أخرى كانت لتخليد لحظات وقائع خاصة : (**إيل رئى** ١٦ : ١٣ عندما أعلن نفسه لهاجر ، **وإيل إله إسرائيل** ٣٣ : ٢٠ مسجلا تغيير اسم يعقوب قارن ٣٢ : ٢٨ ؛ **وإيل بيت إيل** ٣٥ : ٧ لذكرى حلم يعقوب) وأسماء أخرى تبين علاقات العهود (**إله إبراهيم** ٢٨ : ٥ و ١٣ الخ ؛ **هيبة اسحق** ٣١ : ٤٢ و٥٣ ؛ **عزيز يعقوب** ٤٩ : ٢٤) . وهذه الثلاثة أنواع من الألقاب تقابل ثلاثة عناصر رئيسية — المنطقى ، والتاريخى ، والشخصى — فى كل الإعلان .

وأخيرا ، بإمكاننا أن نلاحظ الدلالات العرضية فى التعبير « ملاك الرب » أو « ملاك الله »[٢] و « روح الله »[٣] التى تدل على أن وحدة الله ليست وحدة فردية . إن دراسة للفصول التى تورد « ملاك الرب (قائمتها فى الحاشية) لا تترك مجالا للشك بأن اللفظ يعنى الله ذاته كما يرى فى صورة بشرية . وما يجدر زيادته هنا أن « ملاك » بمعناها « رسول » تعنى أن الله الذى أظهر نفسه هو الله **المرسل** . وفى العهد القديم لم يستنتج شىء من هذا . ولكن يجب ألا يدهشنا أن هذا التناقض الظاهرى قد اختفى فى العهد الجديد . وكما كان التعبير « روح الله » فى العهد القديم ينتظر إتمامه فى يوم الخمسين ، كذلك « ملاك الرب » كتعبير عن الرب نفسه ، يصير ذا معنى فقط فى نور « من أرسله الآب إلى العالم » الابن السابق الوجود[٤]

---

(١) انظر التفسير على ٤ : ٢٦ .

(٢) قا ١٦ : ٧ — ١١ مع ع١٣ ؛ ١٨ : ١ مع ع٢ و٣٣ ومع ١٩ : ١ ؛ ٢١ : ١١ مع ع١٣ ؛ ٣٢ : ٢٤ و٣٠ مع هو ١٢ : ٣ — ٦ ؛ ٤٨ : ١٥ مع ع ١٦ .

(٣) ١ : ٢ قا ٣٦ ؛ ٤١ : ٣٨ .

(٤) انظر أيضا مناقشة ضمائر الجمع فى نعمل .. نا .. نا ... فى التفسير نحو آخر التفسير عن ١ : ٢٦ .

ب ــ الإنســان :

١ ــ الانسان أمام الله : وحيث أن هذا الموضوع تم مناقشته حيث تظهر جوانبه المختلفة فى التفسير على ١ ــ ٣ يكفى أن نذكر المواضع حيث يتم ذلك .

أ ــ خلق الإنسان : انظر التفسير ١ : ٢٦ ، ٢ : ٧ .

ب ــ دعوة الإنسان : انظر خاصة الأعداد ٢ : ٨ ــ ١٧ ، ولكن أيضا الفقرة الأخيرة فى التفسير عن ١ : ٢٦ ، ٣ : ٢٢ .

ج ــ سقوط الإنسان : انظر التفسير عن ٣ ، خاصة الملاحظات التقديمية عن الأصحاح ، والتفسير عن ع ٦ و ٧ .

د ــ الضربة القاضية للإنسان : انظر التفسير عن ٣ : ١٦ و ١٧ ، والملاحظات الإضافية عن الأصحاح (عن الخطية والألم) .

٢ ــ الإنسان فى المجتمع : بالنسبة ــ للتوكيد كله الذى يؤكده سفر التكوين عن الفرد حيث يدعو الله الإنسان بالاسم ، ويبحث عن الساقطين ، فإن نموذج الحياة البشرية ليس نموذج الناسك المتوحد ، أو الشخص المتحلل من السلطة ، بل الإنسان ككائن اجتماعى يعيش داخل أنظمة ومسئوليات .

أمكن أن نفهم من قبل فى عدن هذا النموذج بأبعاده الثلاثة : الأشياء ، والأشخاص ، والسلطان ، هذه المجالات التى يحتاج الإنسان أن يحقق فيها دعوته ليمجد الله . وإذ نتابع المسيرة فى السفر يحدث للنموذج أمران : التطور والتشويه . التطور باثراء محتوياته عن طريق الزمن وتكاثر السكان ؛ ولكنه تشوه بالاضطراب الذى أتت به الخطية إلى كل جزء .

أ ــ الأشياء : كان أحد العناصر الكبرى فى دعوة الإنسان الأصلية ــ أن « يزرع ويحفظ » (٢ : ١٥) البيئة المحيطة به ، وأن « يُخضع » الأرض وأن يعمل على ملئها (١ : ٢٨) . وواضح من هذه الكلمات أن الإنسان قد نال بركة عمل خلاق كبير منذ البداية ظهر فى نشاطه المتمشى مع خصوبة الأرض الموصوفة فى ١ : ١١ و١٢ وموارد ثروتها المعدنية المشار إليها فى ٢ : ١١ و١٢ . لقد نال الإنسان بركة العمل الكثير منذ بدء الخليقة . لكن الخطية واللعنة قد حولا العمل إلى عبء ومهمة ثقيلة وعانى الإنسان فى الفقر والموت

فى النهاية (٣ : ١٧ ــ ١٩) . فلم يكن العمل هو عقاب السقوط . لكن تغيرت طبيعة العمل فصار كدحاً .

والصورة التالية لذلك صورة مليئة بالمتغيرات كما نختبرها الآن وصار العمل والممتلكات وسائل وأدوات يمكن استخدامها للخير أو الشر وليست هدفا فى ذاتها . لم يرحب بالفنون والحرف الحضارية كدواء شاف ، ولم ترفض لأنها من اختراع نسل قايين ؛ ولكن نرى ما استهوى لامك الطاغية (٤ : ٢٢ ــ ٢٤) والمخاوف الجديدة الناشئة عن ذلك بالنسبة للجنس البشرى . ومع تطور القصة تظهر المهارات مرة كبركة وأخرى كلعنة إذ تستخدم لخدمة الله فى بناء الفلك ، أو تظهر فى التحدى له عند بناء برج بابل . وذات الشيء ينطبق على الممتلكات إذ تقبل من يد الله كعطية ويقدم العشر لمجده (١٤ : ١٨ ــ ٢٠ ، ٢٨ : ٢٢) وترفض بلا شروط (لئلا « تقول » [ياملك سدوم] « أنا أغنيت أبرام » ١٤ : ٢٣) . وأول كل شيء لا يجب أن تصبح هذه الأشياء هدفا كما كانت هدف لوط وأدت إلى خرابه ــ أو أن تكون مسيطرة على تفكيره ومشاعره كما فعلت بلابان فأدت إلى فساده .

زد على ذلك ما يتضح من قصص الآباء أن جانبا من وخزة اللغة القديمة قد أصابت الأرض . وكذلك زيد شيء من لعنتها فى قصة قايين (٤ : ١١ ر١٢) . عانى الناس من المجاعات ــ كما عانى منها يعقوب ــ والمشقات (٣١ : ٤٠) . ولكنه كان هناك أيضا البركات فوق العادة التى شدت انتباه المعاصرين فى كل جيل سواء بركات إبراهيم (٢١ : ٢٢) أو اسحق (٢٦ : ١٢ ــ ١٦ و٢٨) أو يعقوب (٣٠ : ٢٧ و ٣٠) أو يوسف (٣٩ : ٥) . وربما قصد بذلك أن نرى توقعا عابرا للبركة العامة الموعود بها أن تأتى من خلالهم فى النهاية ، وهى إزالة اللعنة وإبطال السقوط .

(ب) الأشخاص : وضح فى عدن أن الرفقة حاجة بشرية ، وقد عالجها الله ليس فقط بخلق نظير آدم بل بخلق النظير المختلف والمتمم ، وبتوحيد الاثنين الذكر والانثى فى انسجام شخصى تام . وسنقصر دراستنا الحالية على هذه العلاقة البشرية الأساسية .

لم يحدث تدمير الوفاق بين الرجل وزوجته نتيجة الخلاف بينهما بل باتفاقهما معا ضد الله ، وقد أثبت هذا أن أساس ذلك الوفاق هو مشاركة

الله غير المنظورة فيه . وبدون الله صارت المحبة ناقصة وانحدر الزواج إلى نوع من العلاقة يحكمها « الاشتياق » و « السيادة » ٣ : ١٦ (انظر التفسير) .

وبينما تؤكد بقية السفر هذا الاتجاه ، ففى نفس الوقت تبين نعمة الله الضابطة . لأنه فى كل سفر التكوين ، نجد الزواج القوى والذى يدوم ، واستعمال اللفظ « عرف » (٤ : ١) للدلالة على العلاقة الجنسية يوجه أنظارنا إلى أن هذه العلاقة شخصية قبل أن تكون حسية فقط حتى بعد أن انحدر استخدام التعبير (١٩ : ٥ و ٨) إلى مجرد تلطيف العبارة . وعلى خلاف هذا الاستقرار العائلى ، يجب أن نقرر الحقيقة ، أنه ندر أن وجدت (من الأسر التى وصفت بالتفصيل) أسرة لم تمزقها الغيرة القاتلة ومعظم هذه الخلافات تعكس صراعات والدية .

يقع اللوم فى هذا جزئيا على تعدد الزوجات . ولكن تعدد الزوجات ذاته أحد أعراض رأى غير متزن عن الزواج ، عندما تعتبر الوظيفة الأساسية للزوجة فى الأسرة هى إنتاج الأطفال . وبينما خلق الله المرأة (أولا وقبل كل شىء) للرفقة ، انتهى الأمر بالمجتمع أن جعلها وسيلة لغاية حتى لو كانت غاية نبيلة ، وكتب هذا الرأى فى وثائق الزواج . ويظهر أن المرأة قد شاركت فى وجهة النظر هذه (١٦ : ٢ ، ٣٠ : ٣ و ٩) . على أن ثمن ذلك فى العلاقات البشرية باهظ التكاليف ، كما يوضحه ص ٣٠ وأصحاحات أخرى . كذلك زواج الأخ بامرأة أخيه بعد موته ، التى صارت أحد أحكام ناموس موسى ، تضرب الأمثال فى ص ٣٨ على أعمال التوتر التى تجعل هذا صنفاً من أصناف الاتحاد الزيجى الذى ينتج نسلا ميكانيكيا ؛ حتى لو أعطينا وزنا للأشخاص المستهترين الذين كان لهم دور فى القصة . ومهما كانت القيمة ــ لتلك المؤسسات فى تلك الأيام ــ فلا ننكر أن كان لها قيمتها ــ فهى تثبت حكمة الله فى الأساس الذى وطده فى ٢ : ٢٤ .

(جـ) السلطان ــ يبدو لأول وهلة أن مسئولية الحكومة (بغض النظر عن سيادة الانسان على الحيوانات) نشأت أول نشأتها بعد الطوفان ، ولكنها فى الأصل ترجع إلى تأسيس المجتمع البشرى كما يشير ١ كو ١١ : ٣ و ٨ ــ ١٠ فى أسبقية آدم لحواء .

وهناك عامل آخر ــ كما رأينا سابقا فى مناقشة الزواج تدخل فى العلاقة

بين الزوجين عند السقوط (٣ : ١٦ و ١٧) . وكان لامك من أحفاد قايين هو أول من عبر عنها (٤ : ١٩ و٢٣) وتوجه عباراته الطنانة انتباهنا إلى القوة الغاشمة وهى الجانب المظلم من السلطة فى عالم ساقط . لأنه مع أن الله هو مصدر حكم البشر ، وقد سن ذلك من أجل النظام وعدالة المعاملات (رو ١٣ : ١ ـــ ٧ ، ١ بط ٢ : ١٣ و ١٤) ؛ فإن مراكز القوى عادة تستمد مركزها من جهة أخرى ، وبالأكثر من الطموح البشرى العدوانى . ولكى نأخذ مثلا للسلطة النقية ، علينا أن نتجه إلى الآباء الذين رأسوا مجتمعاتهم الصغيرة ، وأرجعوا كل شيء إلى التفويض الإلهى . كان هذا جزءا من امتيازهم كوالدين ، وهذه حقيقة واضحة جدا فى الحادثة المدونة فى ٩ : ٢٠ وما بعدها حيث أتى حام ابن نوح بلعنة على ذريته بالتحقير الذى عامل به أباه ، بينما حرص سام ويافث أن يتجنبا هذا العقوق . وكان تكريم نوح فى هذه اللحظة فى وقار مقامه ومركزه كأب ، رغم أنه قد تخلى عنه كل وقار آخر . على أن الله أيد سلطانه . ولكن الآباء من إبراهيم وما بعده كان لهم سلطان إضافى هو سلطان نقل مواعيد الله لأحد أبنائه قبل موتهم . وتمثل قصة بركة اسحق ليعقوب وعيسو السلطان المرتبط بمقامه (لأنه لا يستطيع أن يسحب البركة التى سبق أن أعطاها) وانفصال السلطان عن استحقاقه الشخصى .

لكن لم يمارس الآباء فى علاقاتهم بالعالم الخارجى أى سلطان ولا كان لهم حق المواطن الكامل ، إذ كان عليهم أن يرتبوا أى شيء بمعاهدات خاصة (مثلا فى المنازعات على حقوق الماء ٢١ : ٣٠ ، ٢٦ : ١٥ ـــ الخ) أو الأحلاف (مثل حلف إبراهيم مع عانر ١٤ :١٣) أو المشتريات (٢٣ : ٤ ـــ الخ ، ٣٣ : ١٩) . ومع أنهم رفضوا التزاوج مع الكنعانيين (٢٤ : ٣ ؛ ٢٦ : ٣٤) وعزلوا أنفسهم عن فحشائهم (١٤ : ٢٣ ، ٣٤ : ٧) لكنهم خضعوا لقوانينهم المحلية وعوائدهم ، وهم واعون بأنهم لم يدعوا لكى يكونوا ناقدين اجتماعيين أو للسعى وراء المناصب . وكان لوط وحده هو من ارتقى فى العالم ونال مقعدا « فى الباب » (١٩ : ١) الأمر الذى لم يكن له تأثير كبير عند الامتحان (١٩ : ٩) .

والاستثناء الوحيد لهذا المبدأ كان يوسف . وقد رقى لهذا المنصب بلا طلب

منه ، بل كان واضحا أنه ترتيب الله ، ولهذا لم يتردد فى قبوله . وقد برهن على أنه خادم الله وفرعون معاً . ومع أن موسى كان مخلص شعبه برفضه مصر ، كان يوسف على نقيض ذلك فقد قدم كل طاقته وحكمته لرفعة ذلك البلد .

وقد تأكد اتجاه سفر التكوين نحو الحكومة ، حتى أن العهد الجديد يأخذ عنه أن السلطان البشرى يعين من الله والحكام والموظفون هم خدام الله . بينما يطلب العهد الجديد من شعب الله أن يحيوا « كغرباء ونزلاء » (١ بط ٢ : ١١) ولكن ، فى نفس الوقت ، كمواطنين متعاونين يسكتون أى نقد لهم بفعل الخير (١ بط ٢ : ١٥) .

جـ الخــلاص :

١ ــ النعمة : هذا هو أول ما يخطر ببالنا عند دراسة هذا الموضوع . يعلن سفر التكوين أن النعمة فضلا عن كونها الحل للخطية ، فهى أساسية بالنسبة للخليقة ذاتها . فهى تظهر فى القرار « بالإتيان » بأبناء كثيرين إلى المجد « المتضمن فى خلق الإنسان على صورة الله ، وفى تجهيز عالم يمكن أن تصل فيه البنوية إلى درجة النضوج » (انظر التفسير على ٢ : ٨ ــ ١٧) ، ويصير الخلود فى متناول الإنسان (٢ : ٩ ؛ ٣ : ٢٢) . إن دخول الخطية جعل بعض أوجه النعمة لها الأولوية حتى يحتفظ الإنسان بمستوى معين من اللياقة والنظام بحسب مقاييس الله ، ولكى تأتى بأناس معينين إلى عهد مع الله ، وبهم سيبارك الله العالم فى النهاية (١٨ : ١٨) . وباعتباره « مخلصاً (حافظاً) لجميع الناس[1] » ، يظهر الله فى سفر التكوين ضابطا للفساد والفوضى الناجمة عن الخطية ، عن طريق التأديب بالمشقة والموت (٣ : ١٧ ــ الخ ، ٢٢ ــ الخ) والاستخدام البناء للموارد الطبيعية (٣ : ٢١) وعقوبات الناموس (٩ : ٤ ــ ٦) ، والقدرة على تمييز الالتزامات الأدبية (قارن استخدام أبيمالك للتعبيرات الأدبية فى ٢٠ : ٥ و٩) وكذلك عن طريق تأثير عبيد الله المباشر (مثلا ٥٠ : ٢٠) وكمخلص للذين يشير إليهم بالقول « لا سيما المؤمنين » ، يعلن نعمته فى اختيارهم ودعوتهم ، وتبريرهم

---

(١) ١ تى ٤ : ١٠ .

وإدخالهم فى عهد معه ، وتهذيبهم فى طرقه . هذه المهام ملخصة تحت العنوانين الباقيين .

٢ ــ الاختيار : تبين رو ٩ : ٦ ــ ١٣ أن سفر التكوين قد جعل سلطان الله فى الاختيار نهائىً بلا مناقشة ، وذلك عن طريق قصص ميلاد اسحق ويعقوب ، وقد اختير يعقوب بصفة خاصة دون أخيه عيسو « وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرا أو شرا » وليس فى الأمر ما يفهم منه أنه حكم تعسفى . أو أنه اختيار عشوائى . فإن هؤلاء الناس مدينون بوجودهم لتدخل الله (إذ أن رفقة ــ مثلها مثل سارة ــ كانت عاقرا [٢٥ : ٢١] وقد ثبت اختيار الله بالرغم من تاريخ طويل من تردد الأبوين وتخطيطهما . وقد أقامت ذات المبادأة الإلهية كل من ساهموا فى الخلاص منذ شيث « المعين خلفاً لهابيل » (٤ : ٢٥) إلى نوح (الذى جاءت النبوة عن دوره منذ ميلاده ٥ : ٢٩) وأبرام الذى دعى (ليخرج من أرضه ومن عشيرته) وحتى إلى يوسف الذى « أرسل » ضد كل المقاصد البشرية « ليبقى بقية للأسرة المختارة » (٤٥ : ٧ و ٨) .

ومع ذلك فمن المهم أن نلاحظ ــ ولو ملاحظة عابرة ــ أن اختيار اسحق ويعقوب قبل ميلادهما وما يقابل ذلك من رفض لإسماعيل وعيسو كان يتعلق بالتحديد بعملهم وليس بخلاصهم أو دينونتهم . ويتضح هذا بصفة خاصة بالنسبة لإسماعيل الذى رفض بالنسبة لناحية معينة بينما قبلت هذه الناحية فى الآخر . وعندما صلى إبراهيم « ليت إسماعيل يعيش أمامك » كان جواب الله « لا » بالنسبة للطلب بأن يكون إسماعيل فى المكان الذى دعى إليه اسحق . ولكنه أجاب بنعم بالنسبة للبركة العامة: « قد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه .. » (١٧ : ١٨ ــ ٢١) .

والاختيار فى سفر التكوين خاص بمكان الإنسان فى سلسلة النسب الذى سيأتى منه المسيح ، النسل الذى يبارك الأمم (رو ٩ : ٥ ، غل ٣ : ١٦) .

٣ ــ إصلاح الخاطىء : منذ السقوط صارت النتائج المميتة للخطية موضوعاً رئيسيا فى سفر التكوين ، إذ يبين السفر الانقسام الذى حدث بين الإنسان وغيره من البشر وبين الإنسان والله ، وتسلطها على الإنسان الذى وصل به الأمر إلى الفساد الشامل الذى بدا واضحا وقت الطوفان ، وثوراتها

المختلفة فى شكل غطرسة فى بابل ، والانحطاط فى سدوم ، والمشكلات الأسرية وكل الخطايا الموجهة ضد الإنسان فى الوصايا العشر .

ولم يكن عمل الله الخلاصى أقل فى شموله وتنوعه . فربما كانت طريقة بحثه عن الخاطىء عن طريق الاقناع المباشر بالخطية (سواء عن طريق السؤال الشخصى الموجه إلى آدم وإلى قايين أو عن طريق الضيقة المبهمة التى أذلت إخوة يوسف فى ٤٢ : ٢١ ، ٤٤ : ١٦) ، أو ربما كانت بطريق النعمة الخالصة التى أدهشت يعقوب بتجاوبها فى بيت إيل . لكن الله هو الذى يطلب وليس الإنسان . فقد جر الرب لوطا جراً إلى السلامة إذ وجد نعمة فى عينيه (١٩ : ١٩) جره بالرغم منه ، وكذلك فإن النعمة هى التى بدأت كل القصة مع نوح (٦ : ٨) .

وقد نحاول أن نفترض من جانب الإنسان (كمفتاح لقصة نوح المذكورة منذ قليل) أن سلامة عبادته وحياته ، كانت جواز مروره نحو القبول ، حتى نصل إلى العبارة التى تنهى الظنون : وهى أن أبرام تبرر بالإيمان (١٥ : ٦ قا رو ٤ : ١ ـــ ٥ و ١٣ ـــ ٢٥) العبارة التى ألقت النور ليس فقط على كل الأجيال التالية بل على كل الأجيال السابقة أيضا بتقديم إيضاح لذلك منذ البداءة ، بأن الإيمان لا غنى عنه للاقتراب من الله (عب ١١ : ٤ ـــ الخ) .

ولكن الخلاص فى سفر التكوين أكثر بكثير من مجرد القبول . فهو فى كماله يصير ألفة مع السماء ، ألفة تختلف فى نغمتها باختلاف الشخصيات التى تتمتع بها : فإن أناسا على اختلافهم مثل اخنوخ الذى زال من أمامه حاجز الموت ، وإبراهيم « خليل الله » الذى امتحن ولاؤه امتحانا أكثر من أن يحتمل ، وخادمه اليعازر (ص ٢٤) ذو الإيمان القويم مثل إيمان قائد المئة ، ويعقوب الذى كانت سيرته حقا تشبه « استئناس الشارد » ، وقد ظهرت فى صراعه مع الله فى فينئيل . ولم تكن هذه الألفة مجرد تشابه الفكر بل علاقة مبنية على عهد مع الله فيها وعد الله بأن « أكون إلههم » (١٧ : ٨) وتجاوب الإنسان « يكون الرب لى إلها » (٢٨ : ٢١) .

وفى مجال الشخصية ومعاملة الآخرين من البشر ، فالخلاص كذلك يتعدى مجرد البر المحسوب فى عصر لم يكن فيه ناموس . وقف نوح وحده وقفة شخصية متكاملة (٦ : ٩) ، وقد رفض أبرام أن تكون له علاقة بسدوم

أو بثروتها من أجل الله (١٤ : ٢٢ و٢٣) ، ومع أن لوط شجب رذيلتها (١٩ : ٧ ــ ٩ قارن ٢ بط ٢ : ٧ و ٨) حتى ولو فعل ذلك بطريقة غير متوازنة إذ رفض نوعا من الشر وقبل نوعا آخر . كما أن ما بدا من إبراهيم وإسحق من عدم حساسية أدبية استحقت ازدراء الأمم أنفسهم فى وقتها ، ولكن إن اعتبرنا أن هؤلاء الناس معرضون للخطأ مثل معاصريهم لكن بالنعمة يمكن أن يصلوا إلى مقاييس أعلى بكثير . وتشفع إبراهيم فى سدوم ويهوذا فى بنيامين يظهر اهتماما منكرا للذات ، وهو علامة كل القديسين من موسى إلى بولس ؛ أما يوسف فقد أظهر صبرا وطهارة وحكمة ومحبة لأعدائه لدرجة أدنى قليلا من صفات الله .

وبالنسبة للجانب الأخير من الخلاص وهو الخلاص من آخر عدو ، ليس فى سفر التكوين إلا رموز ضئيلة . فالحكم « أنت تراب وإلى تراب تعود » له رنين الختام . إلا أن القرينة ذاتها تتيح بابا مفتوحا جزئيا ، إذ أن الله نفخ فى هذا التراب نسمة الحياة . كذلك توجد لمحتان مباشرتان عن قوة الله على الموت : مرة حين أخذ أخنوخ (٥ : ٢٤) وأخرى حين أدرك إبراهيم أن الله يستطيع إعادة اسحق من الموت (« ثم نرجع إليكما » ٢٢ : ٥ قارن عب ١١ : ١٩) .

ومع ذلك فهذه دروس لوقت آخر . ففى هذه المرحلة ، وجه الله الرجاء نحو نمو امتداد الأسرة المختارة ، وامتلاك الأرض وبركة الأمم . فإذا تقبل الآباء الموت بهدوء ، فالأرجح أن السبب فى ذلك أن الدفن فى مقبرة الأسرة معناه توقع دخول الأسرة إلى ميراثها (قارن ٤٧ : ٢٩ و٣٠ ، ٥٠ : ٢٤ و٢٥) . لأن الوعد والإرسالية هى فى النسل المختار وليست محصورة فى شخص من هؤلاء الأفراد « الله سيفتقدكم » (٥٠ : ٢٥) كان هذا وعدا كافيا . وعند اتمامه سينفتح فى حينه كمال الخلاص كما هو معروف فى العهد الجديد . وفى سفر التكوين فقد قنع بأن يرى هذا من بعيد ، فوجه كل اهتمامه نحو منبع هذا النهر أكثر من اهتمامه بمصبه البعيد فى المحيط .

التحليـــل

أ ـ تاريخ الأصول : (١ ـ ١١)

١ ـ قصة الخليقة (١ : ١ ـ ٢ : ٣)

٢ ـ تجربة الإنسان وسقوطه (٢ : ٤ ـ ٣ : ٢٤)

٣ ـ الإنسان تحت الخطية والموت (٤ : ١ ـ ٦ : ٨)

٤ ـ العالم تحت الدينونة (٦ : ٩ ـ ٨ : ١٤)

٥ ـ التجديد وإعادة العمران (٨ : ١٥ ـ ١٠ : ٣٢)

٦ ـ النهاية والبداية : بابل وكنعان (١١ : ١ ـ ٣٢)

ب ـ الأسرة المختارة : (١٢ ـ ٥٠)

١ ـ أبرام تحت الدعوة والموعد (١٢ ـ ٢٠)

٢ ـ اسحق ومزيد من الامتحانات والإيمان (٢١ ـ ٢٦)

٣ ـ يعقوب وظهور إسرائيل (٢٧ ـ ٣٦)

٤ ـ يوسف والهجرة لمصر (٣٧ ـ ٥٠)

التفسـير

أ ــ بداءة التاريخ (١ ــ ١١)

الأصحـاح الأول

١ ــ قصة الخليقة (١ : ١ ــ ٢ : ٣)

العددان ١ و ٢ الاستهلال : ١ ــ ليس بطريق الصدفة أن الله موضوع الجملة الأولى فى الكتاب المقدس بل إن هذه الكلمة تسود كل الأصحاح وتسترعى النظر فى كل نقطة فى الصفحة . فقد استعمل لفظ الجلالة ٣٥ مرة فى الخمسة وثلاثين عددا فى القصة . فهذا الأصحاح ، بل وفى الحقيقة كل السفر محوره الله قبل كل شىء . ومن يقرأه بحثا عن غاية أخرى (وهو الأمر الممكن جدا) يخطىء قراءته .

وليس التعبير الافتتاحى « فى البدء » مجرد ملاحظة عن الزمان . فالتشعب فى هذا الموضوع فى إشعياء ص ٤٠ وما بعده يبين أن البدء يحمل فى باطنه النهاية . وأن العملية كلها حاضرة أمام الله الذى هو الأول والآخر (مثلا إش ٤٦ : ١٠ ، ٤٨ : ١٢) ويبين أم ٨ : ٢٢ شيئا عن الجانب الإلهى فى بدء الخليقة هذا ؛ ويو ١ : ١ ــ ٣ أوضح ؛ لكنه يرجع العهد الجديد أحيانا للخلف قبل ذلك إلى الأزلية (مثلا يو ١٧ : ٥ و ٢٤) .

ويمكن أن تترجم هذه العبارة كعبارة تقديمية يكمل معناها فى العدد ٣ بعد عدد اعتراضى عدد ٢ فتصبح « عندما بدأ الله خلق .. (كانت الأرض خربة ..) فقال الله ليكن نور .. » وهذا لا يعنى القول بأن الأرض الخربة لم تكن من خليقة الله ؛ لكن الخليقة بمعناها الكامل كان أمامها طريق طويل تسلكه . ولكن الترجمة المألوفة « فى البدء خلق الله ... » وتسندها كل الترجمات القديمة ، وتؤيد الحق الصريح المذكور فى كل مكان آخر (مثلا عب ١١ : ٣) أنه حتى الوقت الذى تكلم فيه الله لم يكن شىء موجوداً .

وأفضل إيضاح لمعنى خلق (Bara قارن عدد ٢١ و ٢٧ ، ٢ : ٣ و ٤)

نجده فى كل العهد القديم بما فيه هذا الأصحاح ، حيث نجد الفاعل بدون استثناء هو الله ، والمفعول به أشياء (مثلا إش ٤٠ : ٢٦) أو أحوال (إش ٤٥ : ٧ و ٨) والأفعال المماثلة له غالبا « يعمل » ، « جبل » (تك ١ : ٢٦ و ٢٧ ، ٢ : ٧) ، ومعناها المضبوط ، يختلف باختلاف القرينة ، فقد يكون التنبير على لحظة البدء للشىء الموجود (إش ٤٨ : ٣ و ٧ بغتة ، الآن) أو العمل الدعوب نحو تكميله (تك ٢ : ١ — ٤ ، قارن إش ٦٥ : ١٨) . ويمكن أن ترى فى الجملة الافتتاحية مدى اتساع مجال الكلمة ، وهكذا نجد العدد الأول يلخص كل الفصل أو (كما أفضل أنا) نأخذها على أنها تقرر بدء العملية .

فى الأعداد (١ و ٢١ و ٢٧) يعين هذا الفعل المؤثر ثلاث بداءات ، ولكنه لا يحدد طريقة معينة للخلق ، حيث أنه فى ٢ : ٣ و ٤ يرادف (asa = يصنع) ويغطى كل مجال عمل الله .

٢ — « وكانت الأرض » والأفضل ترجمتها « وأما الأرض فكانت » حيث أن بناء الجملة هو بالضبط مثل يون ٣ : ٣ (« أما نينوى فكانت مدينة عظيمة ... ») . إن أى استعمال عادى يحمل العدد على أنه تمديد للعبارة الماضية ونصفاه متطابقان[1] وهو يرسم منظرا يجعل الأرض مكاننا المفضل ، مهما كان النموذج الكلى فإن الأرض هى الجزء الذى يهمنا (قارن مز ١١٥ : ١٦) . والعبارات الكئيبة فى الجزء الأول من العدد الثانى تمهد لاحساسنا بالراحة لتصاعد المجد فى الأيام السبعة . وإن كان الله فقط هو من يضع شكلا من شىء لا شكل له ، فإنه وحده هو الذى يحفظه . يعود الخراب فى رؤى الدينونة (ار ٤ : ٢٣ ؛ إش ٣٤ : ١١) معبرا عنه بالكلمات المستعملة هنا Tohu , Bohu توهو : (بلا صورة) مستعملة فى أماكن أخرى بمعانى مادية « أرض قفر » (مثل تث ٣٢ : ١٠ ، أى ٦ : ١٨) ، « الخلاء » (أى ٢٦ : ٧) « الخراب » (إش ٢٤ : ١٠ ، ٣٤ : ١١ ، ٤٥ : ١٨) ومجازيا عما لا أساس له ، أو لا يفيد (مثلا ١ صم ١٢ : ٢١ ، إش ٢٩ : ٢١)

---

(١) إن كان عدد ٢ يفيد حدوث كارثة (وصارت الأرض ..) كما اقترح البعض لكان يستعمل الأسلوب العبرى الروائى وليس الحالى كما هنا .

والسجع[1] فى (بوهو) (فارغ) وردت مرتين فقط فى غير هذا المكان (انظر ما سبق) وكانت كل مرءة مقترنة بكلمة (توهو) .

« الغمر » Tohom ــ كلمة يبدو أنها من مشابهة للكلمة Tiamat المستعملة فى تشخيص للمحيط فى أسطورة الخليقة السومرية الأكادية (لكنها ليست من اشتقاق الكلمة . وتيامات فى الاسطورة هو خصم الآلهة . أما هنا فكلمة تهوم تعنى المحيط حرفيا وليس كالاستعمال الاسطورى لتيامات مهما تلاعب الشعراء بالألفاظ ومهما قالوا باستئناس غضب تيامات ووحوشها (مز ٧٤ : ١٣ و١٤ ، ٨٩ : ٩ و ١٠ ، ١٠٤ : ٦ و ٧ ، إش ٥١ : ٩ و ١٠) انظر أيضا عدد ٢١ .

إذاً فليس على سبيل الصراع بل على سبيل النشاط كان « روح الله يرف »[2] وفى العهد القديم يدل لفظ الروح على قوة الله الخلاقة والمؤيدة (قارن أى ٣٣ : ٤ ، مز ١٠٤ : ٣٠) وفى التعبير تشبيه لفعل الروح كما تفعل الطائر الأم التى « تحلق » (موفات) فوق فراخها أو ترف فوقهم . ويظهر الفعل ثانية فى تث ٣٢ : ١١ ، حيث يصف حركة النسر فى دفع صغاره للطيران . هذا الجانب من الاتصال الوطيد يجب أن يكون فى بالنا دائما .

أحيانا يشعر المرء أن عدد ٢ كله لا يتوافق مع كل الفصل . وظن البعض أن به أصداء آتية من أساطير وثنية (فيها تتصارع الآلهة والكائنات الهائلة على السيادة) وقد أحدثت تلك الأصداء نشازا محسوبا أو غير محسوب . ولكن معرفة هذه الاساطير قد جعلتنا نتبع أثرا مضللا ، فقد حادت أنظارنا عن الطريق المألوف وهو أن طريق الله العادى هو أن يشكل شيئاً مما لا شكل له . والعملية الكاملة هى الخليقة . وإذا كان إش ٤٥ : ١٨ ينهانا عن أن نقف عند هذا العدد ، فكل ما نعلمه عن طريق الله من الكتاب (مثلا ١٣٩ : ١٣ ــ ١٦ ، أف ٤ : ١١ ــ ١٦) ومن الاختبار ولا نقول شيئا من العلم الطبيعى – يشدد على أن نبدأ من شيء مثل هذا . وفى الحقيقة عندما توصف

---

(١) العربية « بهو » ومعناها « خالية » قد تعطى مفتاحا للمعنى .

(٢) يترجمه البعض « ريح عظيم » . ولكن دا ٧ : ٢ الذى يلقى نظرة على هذا الفصل أظهر أن الكاتب الذى يريد أن يقدم مثل هذا المعنى يمكن أن يفصل ذلك دون أن يتطلب من قرائه أن يلجأوا لاستعمال تعبير مألوف عن روح الله ، بطريقة غير مألوفة .

الأيام الستة الآن فإننا نراها كالمقابل الموجب لتوأمه السالب « بلا شكل وخالية » لكى يصنع منها الصورة والملء . ويمكن أن توضع فى هذه الصورة .

الصـــــورة	المـــــلء
اليوم الأول ــ النور ، والظلمة	**اليوم الرابع ــ** الأنوار : النهار والليل
اليوم الثانى ــ البحر والجلد	**اليوم الخامس ــ** خلائق الماء والهواء
اليوم الثالث ــ الأرض الخصبة	**اليوم السادس ــ** خلائق الأرض

من أجل مناقشة هذا التتابع ، وكلمة يوم انظر الملاحظة الإضافية المذكورة بعد تفسير الأصحاح الأول .

أعداد ٣ ــ ٥ اليوم الأول :

عدد ٣ : « وقال الله » تمنع هذه العبارة البسيطة أخطاء بعيدة الأثر فضلا عما تقدمه من معانى غزيرة . فإن هذه الأوامر الثمانية التى تأمر الأشياء لتكون ، لا تترك مجالا للتفكير فى كون قائم بذاته ، أو فى بذل جهد من أجل وجوده ، أو فى كون وجد بالصدفة ، أو أنه فيض عن الله ؛ كذلك فإن غياب أى وسيط يحمّل الكلمة « قال » بمعانى غنية إلى أبعد الحدود . ربما لا يتضح هذا لأول وهلة لأننا نحن أنفسنا نعرف معنى أن نأمر أشياء لتحدث . ولكن أوامرنا حتى حينما تكون متناهية الدقة مجرد خطوط عامة ، وتعتمد على مواد موجودة ، ووسائط لتنفيذ أوامرنا ، وحتى الحرفى يعمل بما يجده متاحا ، لينتج فقط بحسب علمه المحدود . أما الخالق فقد كان فى قصده غاية فوجه نحوها الوسائط الصغرى جميعا . وقد شكلتها أفكاره بدقة إلى أصغر خلية أو ذرة ؛ فكانت كلمته الخلاقة ذات معنى كامل . وقد نستطيع أن نعبر عن فورية المعرفة هذه بالقول بأنه يعرف شكل كل موجود من المخلوقات بالخبرة ــ إلا أن الخبرة كلمة ضعيفة جدا: « عرفتها كلها » (مز ١٣٩ : ٤ قا عا ٤ : ١٣) . هذا يختلف عن مذهب وحدة الكون . إنه أخذ موضوع الخلق بكل جدية . ولهذا يعلن العهد الجديد ما سبق أن كان كامنا هنا ، عندما يدعو الابن كلمة الله « بكر كل خليقة . فإنه فيه خلق الكل .. وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٥ ــ ١٧ قارن يو ١ : ١ ــ ٤ ، عب ١ : ٢ و ٣) .

« ليكن نور » يمكننا أن نشير إشارة عابرة إلى تعبير الفلجـتا Fia Lu الأمر الملكى بالنور) يعنى « الخلق بالأمر الرسمى » . ونحن نستعمل النور كناية عن كل واهب للحياة (يو ١ : ٤) ومعط للحق (٢ كو ٤ : ٦) ومسّر (جا ١١ : ٧) وطاهر (١ يو ١ : ٥ — ٧) ، فهو يهدى الخطوة الأولى للانتقال من الفوضى إلى النظام ، وكما أنه هنا يسبق الشمس[1] ، فكذلك فى الرؤيا النهائية يدوم بعدها (رؤ ٢٢ : ٥) .

العددان ٤ و ٥ « ورأى الله .. وفصل .. ودعا » كان النهار والليل بالنسبة لبعض الأقدمين قوى متحاربة — وأما بالنسبة للإنسان العصرى فهما مجرد عالم دائر . ولا يرى سفر التكوين شيئا من الصراع أو الصدفة فى هذا : ولا يعرف إلا الخالق الساهر الذى يحدد لكل شيء قيمته (ع ٤ أ) ومكانه (ع ٤ ب) ومعناه (ع ٥ أ) . والظلمة هى جزء من الكل الذى هو « حسن جدا » (ع (٣١ أ ، ب) ولم يزل الظلمة — لكنه أخضعها . وفكرة « فصل » ذات روعة خاصة هنا (قا ع ٦ و ٧ و ١٤ و ١٨) وفى الناموس (مثلا لا ٢٠ : ٢٥) حيث أنه بهذا يسير الكون (قا اف ٤ : ١٦ ، فى ١ : ٩ و ١٠) أما غير ذلك فيؤدى إلى الفوضى والخراب (إش ٥ : ٢٠ و ٢٤) .

أما عن التعبير (يوم واحد) ، انظر الملاحظة الإضافية عن أيام الخليقة فى آخر الأصحاح .

أعداد ٦ — ٨ : اليوم الثانى : معنى الفعل الذى اشتقت منه الكلمة المترجمة « جلد » (raqia) ؛ يخبط أو يضرب الأرض بقدمه (قارن حز ٦ : ١١ أ)) ، وتأتى غالبا مقترنة بطرق المعادن . يبين أيوب ٣٧ : ١٨ أننا لا يجب أن نقصر معنى هذه الكلمة على « مدى البصر » أو « الهواء الجوى » : « هل صفحت معه الجلد الممكن كالمرآة المسبوكة » (صفحت : Tarqia) . إنه أسلوب تصويرى مثل قولنا « قبة السماء » . وبأسلوب آخر ربما يحسن أن نتكلم عن أبخرة متصاعدة من المحيطات مغلفة للأرض . وكلا التعبيرين يكمل أحدهما الآخر .

---

(١) انظر الملاحظة الإضافية فى نهاية الأصحاح .

لشرح الكلمتين « فاصلا » ، « فصل » (ع ٦ و ٧) انظر الفقرة الآتية .

أعداد ٩ - ١٣ : اليوم الثالث :

يواصل الله تكوين شكل العالم عن طريق عملية التمايز (ع ٩ و ١٠ انظر ع ٤ و ٥) الا أن التنبير يبدأ يتحول إلى موضوع الملء (ع ١١ و ١٢) وهو الذى سيكون الموضوع البارز فى بقية الأصحاح .

العددان ١١ و ١٢ : أعطى « للأرض » إمكانة أن « تنبت » — الأمر الذى يناسبها . وحرفيا ع ١١ « يفيد أنه » « لتنبت الأرض نباتا ، وعشبا يبزر بذرا ، وشجرا ينتج فاكهة كجنسه » . وعلى قياس ذلك يقول ع ٢٠ « ولتعج المياه بعجيج من الخلائق الحية » وفى ع ٢٤ على الأرض أن « تنتج » الكائنات الحية . إن بزوغ الحياة هنا ، عملية خلق لا تقل عن الخلق الأول . ونجد فى عدد ٢١ ذكرا للتعبيرين فى سياق القصة . « فخلق الله .. كل ذوات الأنفس الحية التى عجت بها المياه » ، ع ٢٥ يتحدث عن الوحوش التى كان على الأرض أن تخرجها (ع ٢٤) بأن الله « عملها » .

فإن كان هذا الأسلوب مناسبا لنظرية الخلق عن طريق النشوء (كما يفتكر المفسر الحالى) فلن يكون هذا هو التدبير الوحيد الذى يجيزه ، وليس غرضه أن يسقط دليلاً خاصا للعصر الحاضر . بل بالحرى ليبين أن الله قد ضم كل المخلوقات فى اعتماد مشترك على عناصرها الأصلية كما أعطى لكل نوع الصفات المميزة لنوعه وكل له أصل طبيعى من زاوية وفوق طبيعى من زاوية أخرى . وقد أعطيت العملية الطبيعية صفة الدوام الذاتى والاستقلال تحت سلطان الله . وهذا يتضمن شيئين : أولا من التقوى أن نحترم محدوديتنا التى نعيش فى اطارها كمخلوقات طبيعية باعتبار أنها من وضع الله . وثانيا أن الخصوبة التى نظر إليها الناس فى العالم القديم بنوع من الألوهية هى قدرة مخلوقة صنعها الله بيديه .

أعداد ١٤ — ١٩ : اليوم الرابع : مرة أخرى نأتى إلى وصف لا نخجل منه مختص بمركزية الأرض . وعن هذا ، وعن ظهور الشمس .. الخ متأخرة فى المشهد ، انظر الملاحظة الإضافية آخر الأصحاح . والمنظر المقصود هنا ينبهنا إلى علاقة بسيطة بين ع ١٤ ، ع ٤ حيث أن الشمس هى الفاصل بين النهار

والليل فى كلا العددين وقد كانت محتجبة فى ع ٤ وصارت ظاهرة فى ع ١٤ ، على أن الفكر السائد فكر لاهوتى . فالشمس والقمر والنجوم هى عطايا الله الصالحة التى تنتج لنا نظام الفصول المختلفة (ع ١٤) التى عن طريقها تفلح الأرض (قارن أع ١٤ : ١٧) ، وبواسطتها عين اسرائيل مواسم الرب (لا ٢٣ : ٤) وباعتبارها « آيات » (ع ١٤) فهى تشهد لله لا للحظ (إر ١٠ : ٢ ، قارن مت ٢ : ٩ ، لو ٢١ : ٢٥ و ٢٨) فهى تحكم (ع ١٦ و ١٨) باعتبارها أنواراً وليست سلاطين أو قوى . وفى هذه الجمل البسيطة تكذب خرافة قديمة قدم بابل ، وحديثة حداثة قسم الحظ فى الصحف .

أعداد : ٢٠ ــ ٢٣ اليوم الخامس :

لتفض المياه بمعنى تحشد المياه بالكائنات الحية (انظر تفسير ما جاء فى ع ١١ و ١٢) . والتعبير « الكائنات الحية » هو مرادف للكلمات نفسا حية فى ٢ : ٧ (انظر تفسير هذا العدد) . والترجمة الحرفية لكلمة « طير » هى كل ما يطير بما فى ذلك الحشرات (قارن تث ١٤ : ١٩ و ٢٠) ، ثم « على وجه جلد السماء » يجب أن تكون ببساطة ، « عبر جلد السماء » : ومرة أخرى هذا الأسلوب يفيد كيف تظهر الأشياء بالنسبة للناظر إلى قبة السماء .

العددان ٢١ و ٢٢ : وجبابرة البحر « التنانين » (فى بعض الترجمات الحيتان) تستحق الذكر حيث أن هذه الكلمة كانت نذير شؤم بالنسبة للكنعانيين فقد كانت تفيد قوات التشويش التى تصدت للبعل فى البدء . إنها هنا لا تعدو كونها خلائق رائعة (مثل لوياثان فى مز ١٠٤ : ٢٦ ، أيو ٤١) وقد نالت بركة الله مثل باق الخلائق (ع ٢٢) . ومع أن هذه الأسماء فى أسفار أخرى ترمز إلى أعداء الله (مثلا إش ٢٧ : ١) وقد حل بها التعنيف بذات التعبيرات التى اعتز بها البعل عليها . لكن ذكرت هذه الحيوانات هنا لكى ندرك أن أكثر الخلائق هولا كانت من يد الله الطيبة . قد يوجد فى ملكوته المتمردون ولكن لا يوجد الخصوم . ولكن بالنسبة للكنعانيين فخصوم البعل هم آلهة مثله أو شياطين يجب استعطافهم . وبالنسبة للبابليين فإن جبار التشويش Tiamat وجد قبل الآلهة الأخرى . ويبين ي . كوفمان مبلغ تأثير مثل هذه الفكرة فى الديانة غير الإسرائيلية إذ أن العابد لا يستطيع أن يثق ــ كما نثق نحن ــ بأن فى عبادته لله يوجد السلام بل توجد دائما الكثير من

المجهولات فى خلفية دياناتهم .

أعداد ٢٤ ــ ٣١ : اليوم السادس :

عدد ٢٤ : « لتخرج الأرض » : انظر التفسير على ع ١١ . « ذوات أنفس حية » كما فى ع ٢٠ ، ٢ : ٧ (انظر التفسير) . « الدبابات » التى تعنى الزحافات ، ليست تصنيفا علميا ، ولكنها وصف للحركة الهادئة أو الزاحفة التى تسير بها بعض أنواع الخلائق . سبق ورود الفعل فى ع ٢١ بمعنى (« المتحركة ») وواضح أنها تفيد انزلاق السمك كما فى مز ١٠٤ : ٢٥ وربما كانت الثلاثة أنواع من الحيوانات المذكورة فى ع ٢٤ هى بصورة عامة ما ندعوه الحيوانات المستأنسة ، والكائنات الصغرى ، والتى يمكن اصطيادها .

عدد ٢٦ : « نعمل الإنسان » فى كلا الأصحاحين الافتتاحيين فى سفر التكوين يظهر الإنسان على أنه فى الطبيعة وفوقها ، مستمر معها وغير مستمر . يشترك مع باقى الخلائق فى اليوم السادس كما عمل من التراب مثلها (٢ : ٧ و ١٩) ويأكل مثل ما تأكل (١ : ٢٩ و ٣٠) ويتكاثر ببركة أشبه بالبركة التى نالتها باقى الخلائق [١ : ٢٢ و ٢٨ (أ)] وبهذا يمكن أن يدرس أثناء دراستها . ولكن التوكيد يقع على اختلافه عنها . تحتوى « نعمل » على مغايرة ضمنية بالنسبة للقول « لتخرج الأرض » (ع ٢٤) . وتعلن نغمة المشاركة وضمير الجمع يعلن عن الخطوة الحاسمة وبخلق الإنسان اكتملت الخليقة . وهذا يعنى تفرد الإنسان بمركزه (١ : ٢٦ (ب) و ٢٨ (ب) ، ٢ : ١٩ قارن مز ٨ : ٤ ــ ٨ ، يع ٣ : ٧) وبالأكثر بطبيعته (٢ : ٢٠) ولكن تاج مجده هو علاقته بالله .

وللتعبيرات « على صورتنا ، كشبهنا » جسارة مميزة . فإذا كانت الكلمة « صورة » كلمة تصويرية جدا ، فإن بقية أجزاء الكتاب المقدس تحدد معناها ولكن لأول وهلة ينطبع فى أذهاننا عن الحق المركزى عنا فإن الكلمتين « صورة » ، « شبه » تقوى الواحدة منهما الأخرى : ولا يوجد حرف العطف (و) بينهما ولا يستعملهما الكتاب كتعبيرات فنية متميزة كما يفعل بعض اللاهوتيين . فكلمة صورة تعنى تكوين الإنسان الذى لا يزول ولا يمحى ككائن عاقل أدبى مسئول ، أما « شبه » فهى تعنى توافقه الروحى مع مشيئة الله ، الأمر الذى فقد فى السقوط . فهناك فرق بين الكلمتين فهما غير

متطابقتين فى المعنى . فإن الإنسان بعد السقوط لازال يقال عنه أنه على صورة الله (تك ٩ : ٦) وكشبهه (يع ٣ : ٩) ومع ذلك فيتطلب التجديد حسب صورة خالقه (كو ٣ : ١٠ ، قارن أف ٤ : ٢٤) أنظر أيضا ٥ : ١ و ٣ .

عندما نحاول أن نعرف صورة الله فلا يكفى أن نقاوم الحرفية الجافة بعزل عقل الإنسان وروحه عن جسده . إن الكتاب يعامل الإنسان كوحدة : إذ هو يعمل ويفكر ويشعر بكل كيانه . أى أن هذا الكائن الحى ، وليس بعضا من ناتج اختزاله هو تعبير أو نسخة من السرمدى غير المادى ، فى تعبيرات عن وجود زمانى جسدى مما اختص به المخلوقات ــ كمن يحاول أن يصور ملحمة على شكل تمثال ، أو سمفونية ــ فبهذا المعنى عاش الشبه إلى ما بعد السقوط حيث أنه من قوام الإنسان . وطالما نحن بشر ، فإننا بحكم ذلك التعريف على صورة الله . إلا أن الشبه الروحى ــ وفى كلمة واحدة ، المحبة ــ لا يمكن أن يوجد الا حيث توجد العشرة بين الله والإنسان ، وبذا فقد صنيعه السقوط وفداؤنا يعيد خلقه ويكمله « الآن نحن أولاد الله .. و .. إذا أظهر نكون مثله . لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢ قارن ٤ : ١٢) .

ومن مضمون هذه العقيدة نستطيع أن نلاحظ ضمنا أنه من الجانب الإلهى ، فإنها تلغى فكرة أن الخالق هو شخص قدوس متباعد عنا ، ومن الجانب البشرى تتطلب منا احترام كل كائن بشرى (قارن تك ٩ :٦ ، يع ٣ : ٩) بل أكثر من ذلك يتضمن قول الرب أن ختم الله لنا إعلانا بملكيته لنا (مت ٢٢ : ٢٠ و ٢١) .

« نا » ضمير المتكلم بالجمع ــ هذا فسره ديلتش وفون راد على أنه يتضمن الملائكة الذين يدعوهم العهد القديم أحيانا « بنى الله » أو بطريقة شمولية « آلهة » (أى ١ : ٦ ، مز ٨ : ٥ ، مع عب ٢ : ٧ ؛ مز ٨٢ : ١ و ٦ مع يو ١٠ : ٣٤ و ٣٥) وقد يكون لهذا سند من تك ٣ : ٢٢ « كواحد منا » ، ولكن أى فهم ضمنى بأن آخرين لهم يد فى خلقنا غريب على الأصحاح ككل ويعارضه إش ٤٠ : ١٤ « من استشاره ؟ » بالحرى هذا هو جمع الكمال الموجود فى الكلمة فى جمع المذكر السالم « الوهيم » المستعملة

مع فعل مفرد الضمير ، هذا الكمال يرى كبصيص فى العهد القديم[1] والذى صار الثالوث المعبر عنه بضمير المتكلم الجمع فى (يو ١٤ : ٢٣ مع ١٤ : ١٧) .

إن « التسلط » على كل الخلائق ليس هو محتوى الصورة الإلهية بل هو النتيجة (ديلتش) . ويبين يع ٣ : ٧ و ٨ أننا لازلنا نمارسه مع استثناء مميت . وفى (عب ٢ : ٦ ـــ ١٠ ، ١كو ١٥ :٢٧ و ٢٨ [يقتبس مز ٨ : ٦] نجد تصحيحا تاما بواسطة يسوع ويعد (١ كو ٦ :٣) بتعظم الإنسان المفدى فوق الملائكة (قارن رؤ ٤ : ٤) . وعلى النقيض من ذلك فإن سجلنا البشرى لاستغلال ما تحت رحمتنا يدلل على عدم ملاءمة الكائنات الساقطة للسلطة إذ قد فقدنا انضباطنا : قارن النغمة المتشائمة فى (٩ : ٢) .

عدد ٢٧ : وللكلمات « ذكر وانثى » فى هذا الموضع مضمون بعيد المرمى كما وضح يسوع عندما قرن هذا القول بما جاء فى ٢ : ٢٤ لكى يجعل من القولين العمودين الأساسيين للزواج (مر ١٠ : ٦ و ٧) . إن تعريف البشرية بأنها جنسان ، معناه اعتبار كل شريك مكملا للآخر وتوقع لما جاء فى العهد الجديد من عقيدة مساواة الجنسين روحيا (« جميعا واحد » غل ٣ : ٢٨ « الوارثات أيضا معكم » ١ بط ٣ : ٧ (ب) انظر أيضا مر ١٢ : ٢٥) . وهذا مثبت فى تك ٢ : ١٨ ـــ ٢٥ مع عدم المساواة المؤقتة [قارن ١ بط ٣ : ٥ ـــ ٧ (أ) ، ١ كو ١١ : ٧ ـــ ١٢ ، ١تى ٢ : ١٢ و ١٣] وكذا فى ٥ : ١ و ٢ .

عدد ٢٨ : « وباركهم الله » . لا يعنى البركة تقديم هبة فقط بل وظيفة أيضا (قارن ١ : ٢٢ ، ٢ : ٣ قارن أيضا بركات الوداع التى قدمها اسحق ويعقوب وموسى) ـــ وتقديمها باهتمام حار . وأعظم بركة أن يرفع الرب وجهه على الشخص المبارك (عد ٦ : ٢٤ ـــ ٢٦) إنها تعنى تقديم الله ذاته للمبارك (أع ٣ : ٢٦) . أما عن « أخضعوها » وما تتضمنه فانظر الملاحظة الإضافية بعد تفسير الأصحاح الثالث .

العددان ٢٩ و ٣٠ لا يجوز فهم تعيين « كل عشب أخضر طعاما » ،

---

(١) انظر المقدمة .

أن كل المخلوقات كانت نباتية ، ولا أن كل النباتات كانت مناسبة للكل بنفس القدر . إنها تعميم يعنى أن كل الحياة كانت تعتمد مباشرة أو غير مباشرة على النبات ، وأن هذا العدد يهتم بأن يظهر بأن الجميع يقتاتون من يد الله . انظر أيضا تفسير ٩ : ٣ .

عدد ٣١ : « ورأى الله ... » « إنه جزء من تاريخ الخليقة ، أن الله أتم عمله ونظر إليه ككل مكتمل » (ك . بارت) ومن فضله أعطى شيئا آخر غير نفسه ، ليس فقط الوجود بل حرية تقرير المصير ، وإذا وصفت تفاصيل عمله بأنها « حسنة » (ع ٤ و ١٠ و ١٢ و ١٨ و ٢١ و ٢٥) ، فإن مجملها وصف بأنه « حسن جدا » ويوافق العهدان القديم والجديد كلاهما على هذا فى دعوتهما إلى قبول الأشياء المادية بالشكر (مثلا مز ١٠٤ : ٢٤ ، ١ تى ٤ : ٣ — ٥) باعتبارها من الله ، ولأجله .

الأصحـــاح الثانـــى

أعداد ١ ــ ٣ : اليوم السابع : يمهر الكتاب عمل الله الذى تم إنجازه بهذا الختم « استراح » (ع ٢ و ٣ وتعنى حرفيا « كفّ » من Sabat الأصل الثلاثى للكلمة Sabbath) إنها راحة الإنجاز لا راحة ــ عدم النشاط ، فإن الله يعول ما يخلقه . ويمكن أن نقارن بهذا الرمز المذكور عن جلوس يسوع بعد ما أتم الفداء (عب ٨ : ١ ، ١٠ : ١٢) لكى يوزع فوائده .

بنى ربنا استخدامه البناء للسبت على هذا المفهوم للراحة الإلهية (أبى يعمل حتى الآن » [يو ٥ :١٧]) ؛ ويحفظ نموذج الهبة « بارك الله » ومطلبها « وقدسه » بوضوح فى ع ٣ وذلك فى قوله ذى الحدين فى مر ٢ : ٢٧ و ٢٨ . ومن خواص تعليمه أن رجع إلى البدء (مر ١٠ : ٦) .

إلا أن راحة الله تحمل أكثر من هبة السبت : إنها زاخرة بوعد للمؤمن المدعو لكى يشارك فيه (عب ٣ : ٧ ــ ٤ : ١١) وكما أحسن فون راد القول : « تصعد التصريحات إلى حيث الله نفسه ، وتشهد أن الراحة هى الوجود مع الله الحى .. بل وأكثر من ذلك ، كون الله بارك ، وقدس .. هذه الراحة يعنى أن الكاتب لا يعتبر الراحة لله وحده بل تهم العالم . ولهذا فإن الطريق ممهد إذاً للخلاص النهائى » . إن القاعدة التى كانت سمة كل من الأيام الستة وتصفها بأنها مساء وصباح غائبة هنا بصورة ملحوظة كأنها تتضمن « المرئيات اللانهائية » (دلتش) الخاصة بسبت الله .

ملاحظة إضافية عن أيام الخليقة

يثير تناسق خطة الخلق فى الأصحاح الأول من سفر التكوين سؤالا عما إذا كان القصد منه أن نفهم الأصحاح بحسب الترتيب الزمنى للوقائع أم بطريقة أخرى . وربما فرضت فكرة الشكل والكمال Form and Fullness هذا النموذج على المادة الموجودة هنا ، والتى نرى جزءا منها معروضا بترتيب مختلف قصد به اختلاف النقاط المراد التركيز عليها . أو كما قال كارل بارت إن ذكر النور قبل الشمس والقمر يفهم منه أنه اعتراض سافر ضد كل ضروب عبادة الشمس . وفى هذه الحالة يجب أن نأخذ الهدف الجدلى فى الاعتبار لأنه يساهم فى البناء . وهناك نظرية أخرى تجعل من الأيام الستة أياما متتابعة من التعليم المعطى للكاتب وليست أيام الخلق . ولكن هذا المعنى مبنى على فهم خاطىء للكلمة « صنع » فى خر ٢٠ : ١١ . كذلك هناك معنى طقسى عبادى يدخل فى الاعتبار بالنسبة لخطة الأيام — إذا أمكن اثباته — وهو أن ترنيمة الخليقة ألفت من أجل احتفال رأس السنة الذى يدوم سبعة أيام فى إسرائيل مشابها لطقس أكيتو البابلى . لكنها نظرية ذات أساس واهن . ويمكن أن يجادل أيضا بأن هذا ضرب من ضروب الشعر الذى لا يجوز أن نغفله الذى يهتم فيه الكاتب بأن يستعرض أمامنا أن العالم المادى من عمل يدى الله وليس لكى يعلمنا بأن شيئا أقدم من آخر . وكما لا يمكن أن نترك الجانب الشعرى ونركز على المعنى العلمى فى أيوب ٣٨ « أزقاق السموات » أو « ربط الجبار » لذلك فمن الخطأ أن ندرس هذا الفصل متوقعين أن يقدم نظام الأيام معلومات بدلا من أن يكون للتقدير النفسى للجمال .

ربما يقدم أحد هذه الآراء أو غيره الحق عن قصد هذا الأصحاح . ومع ذلك فعندى أن الأيام تسير سيرا ملوكيا يستلزم تضمينها لفكرة النظام المتتابع ؛ كذلك يبدو أنه نوع من ادعاء المهارة الزائدة أن نتبنى فكرة عن الفصل لا تأخذ فى اعتبارها الانطباعات المبدئية التى يتركها الفصل فى القارىء العادى . إنها قصة وليست مجرد عبارة . ومثل كل الروايات تستلزم موضوعا تعرضه ، ومعلومات تحتويها ، وطريقة لروايتها . وفى كل هذا كانت البساطة اهتمامها السائد . أسلوبها الأسلوب اليومى — وصف الأشياء بمظاهرها ؛ وخطوط القصة جريئة خالية من الاستثناءات المحيرة وهى تجمع الأشياء التى تنتمى إلى

ذات الفصيلة (حيث قدمت مثلا الأشجار عن موضعها لكى تصنف مع النباتات) وذلك لكى تصل إلى الخطة العظمى بكل متطلباتها من تتابع زمنى وتشابه موضوعى ، وكل ذلك لكى تعلن الخالق والمكان الذى أعده لنا .

أما الرأى بأن هذا الأصحاح قد قصد به أن يعلن التتابع العام للخليقة الذى حدث على الأرض ، فهو مبنى على الشكل الظاهر للكتابة . ولكن هذا الرأى يعززه درجة التوافق الموجود بين هذا التتابع وبين العلم المتعارف عليه . وغالبا (وليس دائما) ما أشار إلى هذا أولئك الذين يجمعون الأحداث التى تشهد بصحة الكتاب بالنسبة لأحداث من هذا النوع مثلما يبين ما نقتطفه من مقالة ادوين بيفان Edwyn Bevan بموضوع « القيمة الدينية للأساطير فى العهد القديم » .

« إن الأطوار التى مرت بها الأرض حتى صارت إلى ما هى عليه لا يمكن أن نوفقها تماما مع ما يقدمه العلم الحديث عن العملية ، ولكن من حيث المبدأ يبدو أن هذه الأطوار تتوقع تحقق قصة العلم الحديث عن طريق ومضة مميزة من الخيال يسميها المسيحى وحياً . افترض أنه أمكننا أن ننتقل زمناً للخلف إلى لحظات فى الماضى بالنسبة لكوكبنا الأرض ، إذاً لكنا نرى الأرض فى حالة لا نستطيع معها أن نميز الحدود بين الأرض والماء ، ونرى مجرد ضوء ضئيل آتيا إلينا من الشمس غير المنظورة التى تختفى داخل مجموعة من السحب الكثيفة المغلفة للأرض ... ثم فى لحظة تالية إذ جفت الكرة ظهرت الأرض ثم بعد لحظة تالية أيضا بدأت أصناف دنيا من الحياة حيوانية ونباتية ، ثم بدأت كتل السحاب آجلا أو عاجلا ثم بدأت ترق وتكسرت حتى ليستطيع مخلوق واقف على الأرض وقتئذ أن يرى فوقه الشمس والقمر والنجوم ، ثم فى لحظة تالية أيضا نرى الحيوانات الضخمة ؛ وآخر الكل يرى الأرض بحيواناتها ونباتاتها الحالية والنتاج النهائى للتطور الحيوانى : الإنسان[1]

وبنفس الطريقة يمكن أن نفهم « أيام الخليقة » : إنها تعطى القارىء وسيلة بسيطة لإيجاد العلاقة بين عمل الله فى الخليقة بعمل الله هنا والآن فى التاريخ . وبينما يتحدث التقرير العلمى عن دهور ، لا أيام — وبينما يجمعها لكى يحدد

---

(١) فى كتابة Hooke صـ١٦١ مقتبسة بإذن من مطبعة كلارندون ، أكسفورد .

الخطوات التى لها دلالة علمية ، فإن التقرير الحالى يستطلع ذات المشهد من أجل أهميته اللاهوتية — فمن وجهة النظر هذه يتحدث عن أيام لا دهور ويجمعها فى أسبوع . وتتضح أهمية الأسبوع فى تقديس السبت (٢ : ٣ قارن مز ٢٠ : ١١ ، ٣١ : ١٧) الذى يجعل الإيقاع الصحيح لعمل الإنسان وراحته مذكرا له ومثالا مصغرا لإيقاع عمل وراحة الخالق . وربما لم يقصد بتقسيم الفترة إلى أيام أن تعنى أكثر من هذا . ومع ذلك فليست الأيام جوهرية بالنسبة للسبت ، إذ أن هذا يمكن أن يعبر عنه فى وحدات من الحديث أطول (لا ٢٥ : ٤ و ٨) فإن سببا آخر مستقلا يقدم نفسه لتفسير العبارة . وهو ببساطة مقدار طول اليوم .

هذا يثير فى الحال لدى القارىء العصرى مسألة الدقة العلمية . وقد يباحث أحدهم بأن « اليوم » يمكن أن يحمل معنى « حقبة من الزمان » (قارن مثلا مز ٩٠ : ٤ ، إش ٤ : ٢) ، أو أن أيام الله ليس لها مثيل عند البشر (مثلما رأى أوغسطينوس أو اوريجانوس من قبله) . ويفضل آخرون أن يعتبروا الأيام حرفيا ، ويجدون فيها دليلا على عدم عصمة البشر : فيرونها قشوراً من عدة أخطاء تخفى حبات اللاهوت الطيبة فى الأصحاح . والفرض الذى تشترك فيه هذه التفاسير هو أن الله لا يريدنا أن نتصور أن الخليقة قد ضغطت فى مجرد أسبوع . ولكن ربما يكون هذا هو بالضبط ما يريده الله منا . وقد ثبتت قصة الخليقة كالحصن المنيع ضد سلسلة من الأخطاء الحديثة مثل تعدد الآلهة ، الثنائية ، أزلية المادة ، شر المادة ، التنجيم — وستثبت بالأولى ضد كل ميل لإجهاض التاريخ البشرى من معناه . إنها تقاوم العدمية مقاومة صريحة بإظهارها الإنسان على صورة الله وبأنه نائبه ؛ ولكنها تقاومها مقاومة ضمنية — بتقديم أعمال الخليقة العظيمة — كمجرد رفع الستار عن دراما تتفتح ببطء بطول الكتاب المقدس . تنتهى المقدمة فى صفحة لكن هناك ألف بعدها .

وإذا كان كل جيل يحتاج إلى هذا التوكيد ، فربما أعظم الكل احتياجا إليه هو عصر المعرفة العلمية . إن الرواية العلمية للكون بقدر ما هى واقعية وحتمية تغمرنا بإحصائيات تتقلص معها اهميتنا الظاهرية إلى نقطة التلاشى . قد صارت الآن قصة البشر ذاتها وليس المقدمة ، هى الصفحة الواحدة من الألف وكل المجلد الدنيوى مفقود بين الملايين غير المصنفة . وفى مواجهة هذه الضخامة لا يجوز أن نتجرأ لنركز على زماننا ومكاننا ، ولا ملاذ لنا إلا الكلمة الإلهية

التى توجهنا وتعلن لنا نصيبنا الحقيقى . وعن طريق هذه السذاجة الظاهرة فى هذه الروايات التى مركزها الأرض أو مركزها التاريخ يقول الله لكل جيل ، سواء كان مثقلا بأثقال معرفة الحقائق كجيلنا أو سواء كان مثقلا بالوهم المضلل فى الديانة القديمة — يقول لهم : « قف هنا على هذه الأرض ، وفى الوقت الحاضر ، لكى تحصل على معنى الكل . انظر هذا العالم باعتباره هديتى لك ووديعتى إليك ، بما فيه الشمس والقمر والنجوم ، مصابيحه ، وبما فيه من خلائق تحت رعايتك . انظر هذا الدهر الحاضر باعتباره الزمن الذى كان يتحرك نحوه عملى الخلاق والدهور السابقة عليه إنها مثل « أيام قلائل » ، مثل السنين التى اشتغلها يعقوب من أجل راحيل » .

يتركنا هذا التفسير غير مقتنعين لسببين . فقد نعترض أولا بأن الكاتب لا يظهر أى شيء يشعرك بأن الحديث شيء آخر غير حرفى . وثانيا بأن قراءة الأصحاح بهذا الاعتبار تجعل الأصحاح يبدو وكأنه يقول شيئاً فى حين يعنى شيئاً آخر .

والنقطة الأولى يمكن أن تكون صحيحة لكنها لا تعتبر اعتراضا . فإننا نعرف أن المعنى الكامل لقول موحى به ، كان دائما مخفيا عن الناطق به . حتى قيافا كان مثلا لذلك ، وذات الشيء يقال عن دانيال والأنبياء[1] . إن المعنى الخفى لا ينفى أن ما قالوه هو كلماتهم . ولا يجوز أن نقفل عيوننا عن ذلك وكأن زهرة المعنى الكامل أقل صدقا من البرعم .

والنقطة الثانية تبدو ذات ثقل أكبر . إذا كانت الأيام ليست أياما على الإطلاق هل يكون الله قد استحسن الكلمة ؟ وهل هو يتاجر بالأمور عديمة الصحة مهما تكون مهذبة ؟ ويتعلق السؤال بالاستخدام الصحيح للغة . الإله الذى لم يوافق على طريقتنا فى النظر والكلام ، هل يوصل لنا أشياءً بلا معنى ؟ إذاً فإن الأسلوب الوصفى فى الأصحاح (مثل حديثنا عن « طلوع الشمس » و « نزول الندى » .. الخ) وكذا وجهة نظره الخاصة بمركزية الأرض ، وكذلك أيضا تصغير الزمن المبالغ فيه الذى يحول الدهور إلى أيام . كلها أدوات للحقيقة ، ورسوم توضيحية تعيننا لأن نفهم وليس لكى نسيء الفهم بالنسبة

(١) انظر يو ١١ : ٤٩ — ٥٣ ، دا ١٢ : ٨ و ٩ ، ١ بط ١ : ١٠ — ١٢ .

لوحدة كاملة أكبر من أن نفهمها . إن التظاهر بالعلم فقط هو الذى يتصارع مع كلمات وعبارات تُبسط لكى توضح .

٢ ــ تجربة الإنسان وسقوطه (٢ : ٤ ــ ٣ : ٢٤)

أصبح الإنسان هنا هو محور القصة وقد كان قمتها فى الأصحاح الأول . وكل ما يروى يتكلم عنه . حتى الأرض الخربة الخالية كانت تنتظره (٢ : ٥(ب) وتحكى القصة بدءا من الإنسان لتصل إلى بيئته (جنة ، أشجار ، نهر حيوانات ، طيور) فى ترتيب منطقى كأنه عكس الترتيب التاريخى لكى يعلن العالم كما قصد لنا أن نراه : مكانا جهز من أجل مسرتنا وتهذيبنا . وأنه لأمر مضلل أن ندعو هذا سجلا ثانيا للخليقة ، إذ أنه يحصر المنظر من المنظور العام للعالم الواسع إلى حيز صغير « جنة .. شرقا » ويصبح ما يحدث بعد ذلك يؤدى على هذا المسرح الضيق .

وفى كل هذا الجزء وإلى نهاية الأصحاح الثالث يرد الاستخدام النادر وربما الفريد[١] بازدواج اسمى الجلالة « الرب الإله » (يهوه الوهيم) فيضيف تأثيره الخاص للقصة ويثبت وحدة استخدام الكلمتين[٢] ــ اسم العلم واللقب اللذان سيسودان كل العهد القديم .

أعداد ٤ ــ ٢٥ : هناء الإنسان :

أعداد ٤ ــ ٦ : مقدمة : يقسم القول « هذه مبادئ » وما يشابهه (ع ٤(أ) سفر التكوين إلى أجزاء عند ٢ : ٤ ؛ ٥ : ١ ، ٦ : ٩ ، ١٠ : ١ ، ١١ : ١٠ و ٢٧ ، ٢٥ : ١٢ و ١٩ ، ٣٦ : ١ و ٩ ، ٣٧ : ٢ . والكلمة : مبادىء أو مواليد Toledot تعنى بالضبط : نسل ، وهنا تقابل «كل جندها » (٢ : ١) ولكن يمكن أن يكون لها المعنى الأوسع أى تاريخ الأسرة إما بشأن الماضى (مثل سجلات الأسر فى ١ أى ٧ : ٤ و ٩ ، الخ) أو المستقبل (مثل را ٤ : ١٨) بحسب القرينة .

إن الرأى المذكور هنا والمدلل عليه فى المقدمة هو أن هذه العبارة لها نظرة

---

(١) ولكن ندرته غير ظاهرة فى ترجماتنا حيث التعبير : الرب الإله مستعمل تقريبا ٣٠٠ مرة .
(٢) بالنسبة لهذه الالفاظ واستعمالها انظر المقدمة .

مستقبلية دائما ، وهى تقدم مرحلة جديدة فى السفر . إلا أن ب .جـ . وايزمان يقيم الأدلة على أن هذه دائمة خاتمة (وغالبا بعد مجموعة من سجلات أسرية) أما نظرية الوثائق ، فتجعلها خاتمة فى هذا الموضع فقط ، ولكن تجعلها تشذ فتصير مقدمة فى كل الأماكن الأخرى .

وجدير بالذكر أن نضيف أن السبعينية تستخدم الاسم Genesis عنوانا لهذا الكتاب وذلك على سبيل غير دقيق .

العددان ٥ و ٦ : وتروى هذه الأعداد الافتتاحية من زاوية خاصة فى هذا الأصحاح ما سبق التصريح به فى ١ : ٢ ، ذلك أنه حين خلق الله الأرض (كل شجر البرية لم يكن بعد وكل عشب البرية لم ينبت بعد ع ٥) لم تكن المكان الملائم الذى نعرفه . بل وحتى « النبات »[1] البرى لم يكن قد ظهر بعد ، وبالحرى المحاصيل الغذائية [« العشب » قارن ٣ : ١٨(ب) ؛ قارن عبارة « ليعمل الأرض » (ع ٥) وحتى السماء المألوفة لنا بسحبها ومطرها لم تكن ظاهرة : وما كان موجودا هو مجرد طلوع دائم [ع ٦(أ) وهكذا يعنى الفعل] لضباب أو (ربما) طوفان ، حتى أن كل المنظر كان عبارة عن أرض مغمورة — إذ أن معنى كلمة « كان يسقى » (ع ٦) يمكن أن يتراوح بين المعنى المفيد كما فى ع ١٠ ، والفيضان الكامل (قارن مز ٣٢ : ٦ « إلى الجبال ») والمعنى الأخير هو الأنسب بالنسبة للقرينة ، إذا كان ع ٥ يعنى أن الأرض لازالت يكتنفها البخار . ولا أدرى لماذا يتبع الدارسون بعضهم بعضا فى قراءة هذه الأعداد بما يفيد جفاف كل الأشياء ، كان ع ٦ يحدد تطورا جديدا . لا يعنى الأصل العبرى هذا المعنى ؛ ويمكن أن يقرأ فقط باعتباره وصفاً سبق أن قدمته الحالة الراهنة .

عدد ٧ : خلق الانسان : يساير هذا العدد ، ببساطته المتناهية ، ويتمم العدد الكلاسيكى ١ : ٢٧ ؛ ولو أن هناك يستخدم الأسماء صورة وشبه ، وذلك فيما يختص بالتعبير عن نسبة الإنسان إلى الله . أما هنا فيستخدم الأفعال لأن الإعلان يكون أحيانا فى قصة وأحيانا فى عبارة . والفعلان متوازنان . تعبر

---

(١) نبات (شيح) واردة لكن فى غير هذا المكان فى ٢١ : ١٥ ، أى ٣٠ : ٤ و ٧ كملاذ لليائسين .

كلمة « جبل » (صور)[1] عن علاقة الصانع بمادة الصناعة وكلاهما يتضمن المهارة (مثلا انظر مز ٩٤ : ٩ « الصانع المعين » قارن مز ١٣٩ : ١٤ — ١٦) وكذلك يتضمن سلطان الخالق الذى إذ ينساه الإنسان يؤدى إلى هلاكه (إش ٢٩ : ١٦ ، إر ١٨ : ٤) أما كلمة « نفخ » فتدل على علاقة شخصية حارة ، فهى قبلة تحمل معنى العطاء كما تعنى الخلق فهى عطاء الذات عطاء الله نفسه للإنسان . قارن أى ٣٢ : ٨[2] وكذلك يو ٢٠ : ٢٢ حيث يهب يسوع الروح القدس مثل النغمة المحيية للخليقة الجديدة ، الكنيسة . وحتى فى خلقنا عندئذ نجد نموذج « هكذا أحب .. حتى بذل .. » واضحا .

والتعبيرات الباقية — فى العدد ، تضع الإنسان فى موضعه الأرضى ، حيث أنه طبيعى فعلا كما أنه فوق الطبيعى : يشترك مع باقى المخلوقات فى كيميائه لأنه « من الأرض » مثل الحيوانات (قارن ع ١٢) وهو « كائن حى » [نفسا حية] مثلها (إذ أن هذا التعبير العبرى سبق أن ورد فى ١ : ٢٠ و ٢٤ ؛ قارن ١ كو ١٥ : ٤٥) . لاحظ أن الإنسان ليس « له » نفس ولا « له » جسد ، مع أنه من المناسب أن نقول إنه يتكون من مكونين أو أكثر (١ تس ٥ : ٢٣) : الحق الاساسى هنا : إن الإنسان وحدة : « نفس » . وهى مرادف « للحياة » ، وغالبا « تعبير عن شخص[3] أو « الذات » بحسب تنبيرنا على حيوية المخلوق أو على المخلوق الحى .

أعداد ٨ — ١٧ : الفردوس الأرضى : إن عناية الرب الإله نموذج للعناية الأبوية ، عناية تحمى الصغير الغر لكنها لا تخنقه ، تنتظره الاكتشافات والمصادفات من كل ناحية لكى يبرز قوته على التمييز والاختيار . وهناك غذاء وافر (حسبما يفيد ع ٩) من أجل إشباع شهيته جسديا وروحيا . وفوق ذلك أمامه عمل جسدى وعقلى (ع ١٥ و ١٩) .

---

(١) الكلمة فى ترجمتنا العربية « جبل » هى ذات الفعل الذى منه اشتقت كلمة « صورة » فى العبرية ويقصد الكاتب أن يعلق على أن الرب الإله خلق أى « صوَّر » الإنسان على « صورته » — (المترجم) وكذلك كلمة « الصانع » هى « المصور » فى العبرية — (المترجم) .

(٢) قد يثار الجدل حول معنى كلمة « نسمة » التى دائما تعنى العطية الإلهية التى تميز الإنسان عن الحيوان فبالنسبة لهذا الرأى راجع ٧ : ٢٢ الذى يشير إلى الكلمتين الأخيرتين فقط فى ٧ : ٢١ .

(٣) فنقول فى اللغة العربية خمسون نفساً أى خمسون شخصاً (المحرر) .

ومن أجل يقظته الروحية ، حيث أنه خلق على صورة الله، أعطى كلمة إلهية ، ذات حدين ، ليحيا بموجبها . « تأكل .. لا تأكل » (ع ١٦ و ١٧) الحيوانات قانعة بعبوديتها للبيئة ، حيث أنها لا تتمتع بذات الملكات أو تتلقى ذات الأوامر ، وسلوكها نتاج دوافع موروثة ودوافع مفروضة . أما الإنسان فهو مدعو لسلوك معين يتمسك به ، وقد أعطى الحرية لأن يتمشى مع ما يفرض عليه أو يرفضه . وقد زود الله آدم بنور مرشد له افضل من مجرد التدبر أو حتى المبدأ الأدبي ـــ وذلك فى إعطائه كلمة تقوده ، فالدافع لموافقته أو رفضه هو الحب أى حب الابن المخلص وليس كبرياء الاستقلال . فإن كا النهى عن الأكل مكلفا بالنسبة لآدم لكن ما جاء فى عب ٥ : ٨ و ٩ يوضح أن النمو إلى الكمال يتطلبه .

وتوجد إشارة إلى التطور « الحضارى » الذى قصد للإنسان عندما تنتقل تفاصيل القصة لحظيا (١٠ ـــ ١٤) لتصف المنظر خارج جنة عدن وتفتح أمامنا مجازاً ضيقاً لعالم متعدد الأقطار والموارد . وعند تتبع القصة ـــ بغض النظرعن تفاصيل موقع جنة عدن ـــ يتضح وجود أشياء أكثر تعقيدا من الحياة البسيطة الأولى مذخرة للجنس البشرى : تعقيدات فى التوزيع غير المتساوى للمهارات والبشر ، حتى لو أدرك القارىء اللهجة الساخرة فى المضمون المأساوى للكلمات « ذهب » ، « أشور » ، « الفرات » .

وأخيراً يتوج الأصحاح برؤية الإنسان ككائن اجتماعى (١٨ ـــ ٢٥) كما سيلى فى شرح هذه الأعداد .

عدد ٨ : يتضح جليا من العبارة « جنة فى عدن شرقا » أن عدن موضع وليست مجرد رمز ، ومع أن ذات الكلمة العبرية (عدن) تعنى الابتهاج لكن يبدو أن هذا الاسم يرجع إلى الكلمة السومرية Edin (na) بمعنى سهل أو مدرج . وتظهر الأعداد من ١٠ ـــ ١٤ إلى حد ما أنها بقعة حقيقية وليست رمزية أو أسطورية[١] . أما الجنة ـــ وفى السبعينية Paradeisos (Park-Land)

---

(١) قارن هذا بما جاء فى حز ٢٨ : ١١ ـــ ١٩ الذى يقدم لنا عدن سماوية مبهرة للعيون ذكرت عند هجو ملك صور . وهى على منوال عدن الأرضية الواردة فى تك ١ ، ٢ لكن فى صورة رفيعة رسمت قصدا إما لكى تتناسب مع ادعاءات الملك أو كما يورده التقليد ترنما بسقوط الشيطان فى تعبيرات تشبه ما قيل عن سقوط الإنسان .

أى حديقة ــ وجاء منها **Paradise** أى فردوس وهو مجرد جزء من عدن أما مدى اتساع مساحتها وما موقعها فهذا ما سنناقشه فى تفسير الأعداد من ١٠ ــ ١٤ .

عدد ٩ : بالنسبة لكثرة الشجر المشار إليه فى عدد ٩(أ) انظر الملاحظات التى أوردناها فى بدء هذا الجزء (ع ٨ ــ ١٧) أعلاه . وقد يسأل بالنسبة ل ع ٩(ب) هل يتحدث عن شجرتين أم شجرة واحدة ؟ وهل يقصد بهما المعنى الحرفى أم الرمزى ؟ ويمكن أن تشير إلى شجرة واحدة إذا أمكن قراءة النص كالآتى : « ... أى شجرة معرفة الخير والشر » مثلما اقترح بعضهم . ولكن هذا وإن كان يناسب قول حواء « فى وسط الجنة » فى ٣ : ٣ بمعنى ما (قارن ٢ : ٩ فيما يقال عن شجرة الحياة) ــ إلا أن هذا التفسير وهذه القراءة يخلقان مشكلة بلا حل فى ٣ : ٢٢ . إذاً فالترجمة المألوفة صحيحة .. أى أنهما شجرتان .

ويمكن أن تكون الشجرتان كناية عن وسائل (مثل الحكمة أم ٣ : ١٨أ أو الفضول الزائد عن الحد يه : ٨) للحصول على الحياة أو المعرفة الممنوعة .. انظر مناقشة مستفيضة عن معرفة الخير والشر فيما يلى . ومع ذلك يوجد الكثير الذى يرجح المعنى الحرفى ، رغم كونه يبدو ساذجا . وهذا التفسير لا يعنى أن فى الأشجار قوة سحرية (إذ أن لا مكان فى العهد القديم للقوى العمياء ، بل المكان لأعمال الله) بل قوة سر مقدس بالمعنى الواسع من حيث أنها وسائل طبيعية لأمور روحية ، فإن الثمر ، ليس فيه شىء فى ذاته ، بل قد حمل كلمة من الله عينت له عملا محددا وواضحا لكى يقدم الإنسان بشكل محدد حاسم ردا على وصية الله بنعم أو لا من كل كيانه .

وربما يرد هنا أفضل فهم فى هذه القرينة الحية للتعبير « معرفة الخير والشر » . فإن أخذنا هذا التعبير وحده فيمكن أن يعنى أشياءً كثيرة ، كثير منها له سند كتابى . يمكن أن تعنى التمييز الأخلاقى أو الجمالى (مثلا ١ مل ٣ : ٩ ، إش٧: ١٥) على أن آدم وحواء قد سبقت معاملتهم على أنهما مسئولان أدبيا (٢ : ١٦ و ١٧) ولهما إدراك عام (٣ : ٦) قبل أن يلمسا الشجرة . ويمكن أن يكون هذا التعبير طريقة عبرية للتعبير عن « فهم كل شىء » (أى أن الإنسان لا يجوز أن يشتهى أن يكون كلى العلم) ولكن من الصعب قبول هذا المعنى بحسب الآية ٣ : ٢٢ . وكثيرا ما اعتبرت وعيا جنسيا

فى نور ما جاء فى ٣ : ٧ ؛ ومن عهد قريب قال ر . جورديس Gordis بأن هذه الشجرة تعطى خلودا منافسا لما تعطيه شجرة الحياة بالنسبة لامتداد الأسرة فى نسلها . وهذا أيضا عرضة للاعتراضات ، ومنها الحقيقة الواضحة فى ٣ : ٢٢(أ) التى تعارضها (فالسماء غير معنية بالجنس فى العهدين القديم والجديد) وكذلك فقد وضع الله شريعة الزواج بعد منع الأكل من الشجرة التى يدعى أنها ترمز إلى الجنس .

على أنه فى القرينة يقع التنبير على المنع وليس على إمكانات الشجرة . يقول الكتاب أنها ممنوعة . إنه لأمر تافه أن تسأل ماذا تعنى فى حد ذاتها ؛ وهذا كان خطأ حواء . وهى بوضعها القائم كشجرة ممنوعة قدمت بديلا للتلمذة بمعنى الاستقلال الذاتى ، والاعتماد على العلم الذاتى ، والحصول على الإشباع من العالم المخلوق فى ازدراء بالخالق (قارن ٣ : ٦) بل فى نتائج التجربة توجد دروس أكثر ، انظر ٣ : ٧ . فى كل هذا تلعب الشجرة دورها فى الفرص التى تقدمها أكثر من الصفات التى تتصف بها ، مثل باب يدل اسمه على ما خلفه .

أعداد ١٠ – ١٤ : والنهر رمز رائع تأتى عن طريقه الحيوية التى تتدفق من أرض مقدسة (قارن مز ٣٦ : ٨ و ٩ ، مز ٤٧ : ١ – ١٢ ، رؤ ٢٢ : ١ و ٢) ويرد هنا بمعنى حرفى تماما ، ومن فروعه الأربعة (ع ١٠) اثنان معروفان (« حداقل » قارن دا ١٠ : ٤) و « الفرات » (ع ١٤) وحيث أن هذين ، مذكوران فى القائمة مرتبين من الشرق إلى الغرب ، فإن الفرعين غير المعروفين « فيشون » (ع ١١) ، وجيحون (ع ١٣) يبدو أنهما يقعان إلى الشرق ما يوافق الاسم « كوش » (ع ١٣) المعروفة بمقاطعة الكاشيين شرق الدجلة وليست الحبشة التى هى كوش أخرى « والحويلة » (ع ١١ الأرض الرملية ؟) تأتى مقترنة بكوش (تك ١٠ : ٧) وكوش مع بابل ١٠ : ٨ و ١٠ التى أغار عليها الكاشيون فى فترة معينة [1] إذاً فالمنطقة قد تكون منطقة مترابطة . مجاورة للخليج الفارسى تجرى فيها أنهار الدجلة والفرات وأنهار أخرى . وهذا الخليج الذى يقوم المد والجزر فيه بعملية رى وصرف

---

(١) ولكن « شبا » فى تك ١٠ : ٧ يمكن أن تشير إلى جنوب الجزيرة العربية حيث تقع المنطقة الأخرى حويلة (١٠ : ٢٩) .

طبيعية ، فى منطقة المصبات بحسب رأى ب . بورنج ، مما يجعلها صالحة لزراعة الخضر و « أشجار الفاكهة » حتى فى الأزمنة الغابرة . ويمكن أن يكون النهر فى ع ١٠ ـــ اسما للخليج الذى دعى « نار ماراتم nar marratum النهر المر ـــ « والأربعة أنهار يمكن أن تكون أربعة مصبات لهذه الأنهار التى تتبعناها هنا » .

عدد ١٢ : تشبه كلمة « المقل Bedellium » الكلمة العبرية (بدولا bedolah) التى تعنى لبانا عطريا أصفر ويبدو أن هذا لا يساير معنى « الذهب .. وحجر الجزع » وحيث أن (بدولا) لونه أبيض وليس أصفر (عد ١١ : ٧ قارن خر ١٦ : ٣١) كما أن وجه الشبه مرتبط بنطق الكلمتين فقط فلا يسعنا إلا أن نعتبر الكلمة تدل فعلا على « المقل » ؛ وظن الأقدمون بأنها يجب أن تترجم « لؤلؤة » وهى مقبولة بعض الشىء . كذلك يوجد بعض الالتباس بالنسبة لمعنى « حجر الجزع onyx . فأصلها الكلمة العبرية « شوهم Soham » التى تظهر مرة أخرى ، فى اسم حجرى الجزع اللذين عليهما نقش أسماء الأسباط الاثنى عشر (خر ٢٨ : ٩ ، ... الخ) ويعتبر ذا قيمة كبيرة كما فى (أى ٢٨ : ١٦ ، حز ٢٨ : ١٣) ونعتبر محقين عندما نعتبره هو ذات حجر اللازورد ، ولو أن هذا غير أكيد .

عدد ١٧ : أما المعنى الكامل الكامن فى التحذير « موتا تموت » فسيتضح شيئا فشيئا حتى آخر صفحات العهد الجديد وسنناقش هذا باقتضاب فى ٣ : ٧ ولكن فى الوقت الحالى نشير إلى أن هذه الكلمات لا يشترط أنها تعنى أن الانسان لم يكن قابلا للموت بطبيعته . الله « وحده له عدم الموت » (١ تى ٦ : ١٦) ووجود شجرة الحياة فى الجنة يعنى أن اشتراك الإنسان فى هذا الإمتياز لابد أن يكون نعمة مقدمة له . أو على حد قول ر . مارتن ـــ أشرد : « قبل السقوط ، وقف الله الحى بين آدم والموت الذى كان جزءا من نصيبه الطبيعى كعنصر من ميراثه البشرى ، ووجود الله كاف لأن يطرد الموت بعيدا .. » . ونقل أخنوخ « لكى لا يرى الموت » (عب ١١ : ٥) ربما يمثل ما أعده الله للإنسان .

أعداد ١٨ ـــ ٢٥ : يقتبس العهد الجديد فى تعليمه عن الجنسين من هذه الفقرة التى تتوج الأصحاح وهى فقرة تمثل بفاعلية الجزء المشابه لها ١ : ٢٧ و ٢٨ . إن منظر تسمية الحيوانات الذى يظهر الإنسان كالسيد لكل ما يشرف عليه ، يعلنه بالحرى ككائن اجتماعى قد خلق للعشرة لا للسيطرة : ولا يستطيع

أن يعيش إذا أحب ووهب نفسه (ع ٢٤) لآخر على مستواه . ولهذا أحضرت المرأة إليه كمعين نظيره . ولم يقل بعد شيء عنها كأم . إن قيمتها فى ذاتها فقط .

وفى إطناب أكثر يمكننا هنا أن نجد التوكيد التالى : أولا ــ الرجل أسبق من المرأة (١ كو ١١ : ٨ و ٩ ، ١تى ٢ : ١٣)[1] . ثانيا ــ الجنسان متكاملان : ويعبر عن الرفقة بينهما بالتعبير المستعمل (« معينا نظيره » ع ١٨ و ٢٠ وحرفيا « معينا مقابله » أى « مناسب له ») . وقد بحث آدم بلا فائدة فى كل مكان عن نظير له من باقى الخلائق أثناء تسمية الحيوانات بأسمائها (ع ٢٠) ، ورغم أن حواء من ذات كيان آدم ، فهى كائن جديد كليا . وصيحة آدم « أخيرا[2] (ع ٢٣ R. S. V) تتقدم لكى تكون المقطع الشعرى الأول فى الكتاب المقدس ، وتختتم مهمة التسمية بزهو بالاسم الذى يعكس اسمه هو ، ثالثا ــ اتحاد الاثنين فى الزواج يستبعد أى علاقة أخرى (« يترك الرجل » ...[3]) وهو اتحاد مستمر دائم (« ... ويلتصق ») ويكون ختم الله على هذه الرابطة (« جسدا واحدا » قارن مر ١٠ : ٨ و٩) « إذ أن الله ذاته مثل أب للعروس قاد المرأة إلى الرجل » (ج . فون راد)[4] .

رابعا ــ بحسب النموذج الإلهى الأصيل كانا يتمتعان بسلام كامل فيما بينهما (ع ٢٥) وقد كانت تلك كثمرة للمحبة الكاملة التى لم تمتزج بأى طمع أو عدم ثقة أو عدم تكريم ، وهى الأمور التى نتجت مباشرة عن كارثة السقوط (انظر زيادة على ذلك تفسير ٣ : ٧) وينتهى الأصحاح بتذكار سديد على الوفاق الكلى الذى تلاشى .

---

(١) هذه الأسبقية ــ التى هى على سبيل المثال أشبه بأسبقية ــ الآباء للأبناء ، وجدت فى هذا العالم وليس فى الدهر الآتى (لو ٢٠ : ٣٥ و ٣٦) فإن شعب الله بحياته فى الدهرين الزمانى والأبدى يسلكون بنظام الله الوقتى فى الزمان الحاضر (أف ٥ : ٢٢ و ٢٣ ، ١ كو ١١ : ٨ و ٩ ، ١ بط ٣ : ٦ و ٧) أما الأبدية فيعودان للموقف الأساسى (غل ٣ : ٢٨) .

(٢) فى العربية الآن انظر تفسير ٣٤ : ٧ .

(٣) لاحظ « الترك » قبل « الالتصاق » كما أن الزواج قبل المعاشرة الجنسية وهكذا حسم هذا الأمر مع موضوع الطلاق منذ البدء (مر ١٠ : ٦ ــ ١٢) .

(٤) التكوين ص ٨٢ .

الأصحـاح الثالـث

أعداد ١ ــ ٢٤ : سقوط الانسان والطرد :

قد ناقشنا بعض تفاصيل هذه القصة سابقا فى تفسير ٢ : ٩ عن الأشجار ومعرفة الخير والشر .

بالنسبة لتاريخيتها يجب أن يقال أمران : أولا يعترف بها العهد الجديد ويستمد منها أدلة ، جاعلا آدم الأول إنسانا حقيقيا فى مقابل آدم الأخير ، ويرجع بنسب الأخير إلى الأول فى لو ٣ : ٢٣ الخ . وبحسب رو ٥ : ١٨ و ١٩ ، ١كو ١٥ : ٢٠ و ٢١ كان آدم شخصا فردا ، وكانت خطيته خطية واحدة ، وكلاهما حقائق مثل الصليب والقيامة . أما ثانيا ، فإننا إن سلمنا بتاريخيتها يبقى أمامنا السؤال : هل تنقل القصة الحقائق أم هى تمثلها أى هل هى مثل قصة خطية داود فى ٢ صم ١١ مباشرة ، أو كما فى ٢ صم ١٢ : ١ ــ ٦ التى تعرض ذات القصة ــ مترجمة إلى تعبيرات وأحداث أخرى تفسرها ؟

إن العقيدة الكامنة فى هذا الأصحاح بأنه « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت » (رو ٥ : ١٢) ــ هذه العقيدة تتركز واضحة فى العهد الجديد فقط . أما العهد القديم فقلما يستخدم القصة ، مع أنها تدل على عبودية الإنسان . ففيه مادة العقيدة لكنه لم يصغها . ومن جهة أخرى فالشعب اليهودي يعرفها ويرفضها . قال اسيدور إبستاين « تنكر اليهودية الخطية الأصلية .. صحيح أن فكرة أن خطية آدم أدخلت الموت إلى الجنس البشرى ــ هذه الفكرة غير مجهولة فى التعليم اليهودى لكن فى اليهودية أن المقصود بالموت هو الموت الجسدى ، أما الموت الروحى الذى لا يمكن الخلاص منه إلا بالإيمان بالمخلص المقام فهذا فى العقيدة المسيحية . ولهذا فهم يؤمنون بأن الإنسان يمكن أن يحصل على خلاصه بالتوبة .. » .

وهذا عمل آدم الأخير لكى يعيدنا إلى ما فقدناه بالسقوط فى آدم الأول .

أعداد ١ ــ ٧ : التجربة والعصيان : فى ع ١ يتحدث عن « الحية » وهى بلا شك عمل يدى الله ، وهى ماكرة (إن المعنى السائد للكلمة المترجمة « أصيل » هى تعنى الأكثر خبثا واحتيالا كما فى أم ١٢ : ٢٣ ، ١٤ : ١٨ ..

إلخ) . ولا يتحدث الأصحاح عن غزو الشر كما لو كان له وجود .. بل يتحدث عن مخلوقات متمردة . إن ذكاءها الشرير يثير التساؤل الذى لا يمكن تقصيه ، هل كانت أداة تمرد فى يد متمرد أعظم كما تظهر الإشارة فى ع ١٥ ؟ (انظر التفسير) ولكن لابد أن حواء لم تكن تحت إكراه : إن تجربتها كانت تحت تأثير آخر (قارن مت ١٦ : ٢٢ و ٢٣ بخصوص موقف يسوع وبطرس) وهذا يقوى التجربة بالكبرياء ولكن بدون إرغام) .

بدأ المجرب بالاقتراح وليس بالجدل . بدأ بالأسلوب الانكارى — « أحقا قال الله .. ؟ » — وهو أسلوب متملق ويسبب الارتباك . إنها تدس الافتراض بأن كلمة الله معرضة لأن تكون موضع حكمنا . والمبالغة فى القول « أن لا تأكلا من كل شجر .. » هى خطوة أخرى ووسيلة محببة . وظلت الحية تحوم حول حواء حتى سحبتها إلى الجدل فى تعبيرات الخصم .

العددان ٢ و ٣ : وانجذبت حواء . وبإضافة الكلمات « ولا تمساه » فإنها أرادت أن تضخم صورة شدة الله فهى بهذا سلف لكثيرين من خلفائها .

عدد ٤ : بعد زرع الريبة أتت بالمناقضة الصريحة : « لن تموتا » . إنها كلمات الحية ضد الله ؛ تحمل إنكاراً لأول عقيدة ، وهى الدينونة . ولو كان الإنكار العصرى للدينونة يختلف فى دوافعه لكنه متفق مع الإعلان فى الموضوع . وقد أكد يسوع هذه العقيدة (مثلا مت ٧ : ١٣ — ٢٧) .

عدد ٥ : وقمة الحوار كذبة كبيرة ، بلغ من كبرها أنها تعيد تفسير الحياة وبلغ من قوتها أنها تعيد توجيه مجرى العواطف والطموح . إنه لبرنامج مخدر مسموم أن يكون المرء « مثل الله »[1] وأن يصل إلى هذا عن طريق التفوق على الله فى الحيلة والدهاء . عندئذ يعتبر الله ، عن دراية أو بدونها ، أنه منافس أو عدو . وعلى عكس هذه الكبرياء البشرية برزت « طاعة الواحد » عندما أخذ « صورة عبد » مما يظهر التباين الحقيقى (رو ٥ : ١٩ ، فى ٢ : ٧) .

هكذا نصب المجرب فخه فى مجرد تصريحاته ضد كلمة الله وأعماله ، مبيناً أن محبة الله حسد ، وأن خدمته مذلة ، وأن الوثبة الانتحارية قفزة إلى الحياة .

---

(١) أو آلهة . الكلمة « الوهيم » مستعملة أيضا بالتعميم لتعنى ملائكة انظر ١ : ٢٦ والتفسير .

« أعطيك هذه جميعها .. » هو نموذج التجارب الذى تكرر فى تجربة المسيح وفى تجاربنا .

فيما يختص « بمعرفة الخير والشر » انظر التفسير على ٢ : ٩ .

عدد ٦ : « فرأت المرأة.. » الدليل المرئى فعال : سمح الله للممنوع بأن يكون له جاذبية كاملة . ويتحول هذا النموذج للخطية ليصبح عملا ، لأن حواء أصغت إلى المخلوق بدل الخالق ، واتبعت انطباعاتها عن التعليمات المعطاة لها ، وجعلت هدفها هو تحقيق الذات . ويظهر أن فكرة الغنى المادى والجمالى ، والعقلى (٦ أ) — يظهر أنه يضيف إلى الحياة ذاتها . ولا زال العالم يقدم ذلك (١ يو ٢ : ١٦). ولكن خط حياة الإنسان روحى ، وهو كلمة الله والاستجابة بإيمان (تث ٨ : ٣ ، حب ٢ : ٤) وتحطيم هذا الخط موت .

« فرأت .. وأكلت » ما أسهل العمل ، وما أصعب عدم فعله . وكان لابد أن يذوق المسيح الفقر والموت قبل أن تكون « خذوا كلوا » أفعالا خلاصية .

« ... وأكل » . انقاد ، مثل المرأة ، بدلا من أن يقود ؛ طريقة غريبة للحصول على الألوهية . لقد قدم الشيطان للرجل والمرأة فكرة كاذبة عن الشر على أنها شيء أكثر من خير ؛ السفسطة على أنها حكمة ، والطمع على أنه عظمة .

عدد ٧ : بدأ العدد بطريقة غير متوقعة بعد ٢ : ١٧ ويرغم القارىء على أن يعيد النظر فى معنى الموت الذى تهدده هناك . ويعلق أوغسطينوس على ذلك بالقول : « إذا سأل أحدهم ، ما هو الموت الذى يتهدد الإنسان ؟ وهل هو جسدى أم روحى أم هو الموت الثانى ؟ نجيب : أنه كل هذا .. إنه يدرك أنه ليس الجزء الأول من الموت الأول الذى تخسر فيه النفس الله ، ولا هو الجزء الأخير منه الذى تترك فيه الروح الجسد ، بل هو الموت الثانى أيضاً وهو آخر موت ، لأنه الموت الأبدى الذى يجىء أخيراً » .

وقد تحقق وعد الحية « فانفتحت أعينهما » لكن بأسلوبها (قارن ع ٢٢) لكن هذا الهبوط القبيح كان عكس قمة الإثارة عن الاستنارة . رأى الإنسان العالم المألوف لديه لكنه رآه فاسدا مسقطاً الشر على البراءة (قارن تى ١ : ١٥) وكان رد فعله للصلاح هو الشعور بالخجل والهرب . وكان وعيه بالنسبة

للخير والشر مماثلا للمعرفة الإلهية ومخالفا لها فى نفس الوقت (٣ : ٢٢) إذ يختلف عنها وعن البراءة مثلما يختلف وعى المريض بوجعه فى جسمه عن بصيرة الطبيب المعالج ، وعن عدم اهتمام الإنسان السليم .

أما « أوراق التين » فقد كانت أمرا مؤسفا بقدر ما تكون وسائل البشر ، إلا أن الغريزة كانت صحيحة وقد أكدها الله (ع ٢١) إذ أن ثمرة الخطية هى العار . وفى وسط البلبلة الشاملة يختبر القرينان مذاق العلاقة بين البشر الساقطين عموما . ولا فرصة للرجوع الذى يفترضه وينادى به مذهب العرى وجماعات التحرر الصريح ، ومذهب العرى الروحى . طريق الله متجه للأمام لأنه حينا يفدى الجسد (رو ٨ : ٢٣) وتكتمل المحبة لن نعود إلى عدن ولكننا سنلبس المجد (٢ كو ٥ : ٤) .

أعداد ٨ ــ ١٣ : المواجهة : يبين ع ٨ أنهما سمعا أصواتا لا صوت الكلام ــ فوجدا نفسيهما مدفوعين إلى الاختباء من محضر الرب (حرفيا من مواجهة الرب) . قارن هذا مع رؤ ٦ : ١٦ الذى يحدث فى آخر الزمان ؛ وعكس هذا ما نراه فى رؤ ٢٢ : ٤

عدد ٩ : إن كلمة الله الأولى للإنسان الساقط لها كل علامات النعمة . إنها سؤال قصد به أن يعينه باجتذابه وليس بإخراجه من مخبأه . وهنا يصدر السؤال الذى ينفذ إلى داخل مخبأه . « أين .. ؟ » قارن السؤال الفاحص « لماذا ..؟ » الذى سأله لشاول ، والسؤال « ما ... ؟ » الذى سأله للجئون . وقد سمع قايين كل هذه الأسئلة الثلاثة (٤ : ٦ و ٩ و ١٠)

عدد ١٠ : ويخفى جواب آدم العلة وراء الأغراض . على أن كلمة « خشيت » (وهذا أول ذكر للخوف) لها دلالتها ، وما زال هذا الانطواء أمام الله والخوف منه باقيا فينا كجزء لا يتجزأ من حالتنا الساقطة .

العددان ١٢ و ١٣ : أما الجواب الثانى فيعترف بالحق ولكنه يلقى بالتبعة على المرأة وفى النهاية على الله . تعلم الإنسان سريعا ، ولكن رجوعه القهقرى إلى التخفى اللفظى يضع عائقا آخر فى طريق الرحمة .. وإذ يخاطب الله الرجل والمرأة والحية على هذا الترتيب فإنه يبين نظرة الله لدرجات مسئولياتهم .

أعداد ١٤ ــ ١٩ : الحكم : وهنا يفسح النثر المجال للشعر تماما مثل ما ورد فى ٢ : ٢٣ وعموما مثلما يرد فى الوحى النبوى عموما . لاحظ

سلطان الله غير المنقوص هنا فى هذا الموضع وما يتبعه . أما سيادة الإنسان (ص ٢) ، وخطيته (ص ٣) فهما يظهران السيادة فى مواقف مختلفة : ولا يزعزعانها .

عدد ١٤ : لم يسأل الله الحية لكنه أصدر عليها الحكم فقط . وهذه الكلمات لا تعنى أن الحيات لم تكن من الزواحف قبلا (كما لا تعنى أن هذا تعليل قصصى لزحفها كأن نقول إليك قصة كيف فقدت الحية أقدامها — وهو اهتمام بموضوع يكذبه المضمون المأساوى) . ولكن هذا يعنى أن الزحف صار منذ ذلك الحين رمزيا (قارن اش ٦٥ : ٢٥) بالضبط مثلما نجد فى ٩ : ١٣ معنى جديدا وليس وجودا جديدا لقوس القزح .

عدد ١٥ : يوجد هنا أساس جيد للعهد الجديد إذ نجد أول إشارة للإنجيل . وجدير بالاعتبار أنه يجعل استهلاله فى جملة موجهة إلى العدو (قارن كو ٢ : ١٥) وليس كوعد مباشر للإنسان ، إذ أن الفداء إجراء حكم إلهى كما هو تحقيق لحاجة بشرية (قارن حز ٣٦ : ٢٢ « ليس من أجلكم ») وتوقع المعاناة والألم والانتصار البشرى واضح جدا[١] ولكن العهد الجديد وحده هو الذى يزيح القناع عن أن الشيطان كان وراء الحية (رو ١٦ : ٢٠ ، رؤ ١٢ : ٩ ، ٢٠ : ٢) ويبين مدى أهمية عدم البدء بالحديث عن آدم بل عن المرأة[٢] وعن نسلها (قارن مت ١ : ٢٣ ، غل ٤ : ٤ ، ١ تى ٢ : ١٥) . فالكلام عن المرأة شأنه شأن الحديث عن نسل إبراهيم يقصد به المعنى الجمعى (قارن رو ١٦ : ٢٠) ، ومن جهة أخرى بالنسبة للصراع الحاسم فهو فردى (قارن غل ٣ : ١٦)[٣] . على أن يسوع كآدم الأخير مثل فى نفسه كل البشرية. والضمير « هو » فى الحديث عن المسيح ، ترجمة مقبولة ولو أنه غير فى العبرية وهناك سابقة لذلك قبل المسيحية فى الترجمة السبعينية .

---

(١) إضافة للمقابلة بين الرأس والعقب فإن السحق يمكن أن يترجم « تنهشين » وفيه تورية يفترضها قرب « العقب » وقد صارت التورية اللفظية أحد مظاهر النبوات المصيرية قارن ١٦ : ١٢ ، ٢٧ : ٢٨ و ٣٩ ، ٤٠ : ١٣ و ١٩ .

(٢) التعبير نفسه لا يدل على الميلاد العذراوى إلى أن تم هذا الميلاد قارن لو ٧ : ٢٨ .

(٣) « نسل » تشير إلى الفرد أيضا فى تك ٤ : ٢٥ ، ١ صم ١ : ١١ فى العبرية وقد ترجمت فى العربية زرع بشر .

عدد ١٦ : والآن يظهر فى الأفق الألم والعبودية . تستعمل فى ع ١٦ كلمتان متقاربتان « التعب » ، و « الوجع » أولاهما ترد بالضبط فى ع ١٧(+) بالنسبة للتعب أو « الحزن » الذى سيعانيه آدم ، ويمكن أن تعنى الكلمة « الوجع » أيضا .

« أتعاب حبلك » ترجمة معبرة تعبيرا صحيحاً عن المعنى العبرى ، والعبارة « إلى رجلك يكون اشتياقك » مع مقابلتها « هو يسود عليك » تبينان علاقة زوجية سقط فيها التحكم من المجال الشخصى الصرف إلى الدافع الغريزى السالب والموجب . فيتحول « الحب والملاطفة » إلى « الرغبة والسيادة » . وبينما يمكن أن تعلو الزيجات الوثنية عن هذا ، فإن الخطية تدفع دائما فى هذا الاتجاه . إن صدى العبارة فى ٤ : ٧(ب) يشير فى صورة حية إلى الحياة فى الغابة .

عدد ١٧ : وعلى سبيل الرحمة ، تأتى اللعنة على المجال الذى يعيش فيه الإنسان ، وليس على الإنسان ذاته . وفى نفس الوقت لا يقال شيء بنَّاء لآدم الذى فيه يموت الجميع « التعب .. العرق .. التراب » .. هى الجواب على الوهم « تكونان كالله » وتقود إلى الصرخة « كل ما عمل تحت السماوات هو عناء ردىء » (جا ١ : ١٣) .

عدد ١٨ : « شوكا . وحسكا » هذه علامات ظاهرة للطبيعة غير المروضة الجائرة . وتعين فى العهد القديم ، مناظر هزيمة الإنسان لنفسه ، ودينونة الله ، مثلا فى حقل الكسلان (أم ٢٤ : ٣١) والمدينة المخربة (اش ٣٤: ١٣) . ولا داعى لتصورها هنا ، كأنها مخلوقة حديثا ، بل كما يبدو هنا فهو تهديد دائم (مثل الكنعانيين الذين لم يقض عليهم ، بالنسبة لإسرائيل عدد ٣٣: ٥٥) ، إذ أن الإنسان فى اضطرابه لا يمكن أن يخضع الأرض فى هذه الحالة . إن معجزات الطبيعة التى أجراها يسوع تعطينا فكرة عن مقدار السيطرة على الطبيعة التى كان يمكن أن يمارسها الإنسان بقوة الله (قارن ٢ : ٨ و ٩) .

عدد ٢٠ : **تسمية حواء** : بعد حكم الموت ، هذا الاسم « حياة » اسم أخَّاذ ، فيه جناس جميل . كذلك ارتباطه بدور حواء « كأم » فوق ذلك فيه إشارة إلى أن آدم سمع الوعد فى ع ١٥ وآمن به .

عدد ٢١ : **أقمصة الجلد** : إن فكرة رؤية الكفارة فى هذا العمل فكرة فيها

كثير من الإقحام والتشتيت . فإن الله هنا يقابل الحاجة المباشرة وليست الحاجة النهائية وإن كان يهتم بهما كليهما . إن أقمصة الجلد بداية درجات كثيرة بالنسبة لخير الإنسان فى كلا شطريه الأخلاقى[1] والجسدى ، اللذين اقتضتهما خطية الإنسان . والنظام والعمل الاجتماعى الموكل للإنسان (رو ١٣ : ١ — ٧ ، يع ٢ : ١٦) لم يكن ممكنا أن تكون له بداية قبل ذلك .

أعداد ٢٢ — ٢٤ : الفردوس المفقود : بالنسبة لمعرفة الإنسان الجديدة انظر التفسير على ع ٧ . كان الطرد بناء على قرار ويمكن النظر إليه باعتباره ضرورة ، حيث أن الحياة الأبدية هى العشرة مع الله (يو ١٧ : ٣) الأمر الذى رفضه الإنسان . وقد أعيد التنبير على هذه النقطة فى العبارة : « الأرض التى أخذت منها » كصدى لما ورد فى ع ١٩ . هذا هو نصف الحقيقة عنه (٢ : ٧) وهو الجزء الذى اختار أن يعيشه ويجب أن ينتهى إلى الأرض التى ينتمى إليها (قارن فيلبى ٣ : ١٩ — ٢١) .

عدد ٢٤ : كل تفاصيل هذا العدد بما فيه من « لهيب » و « سيف » وتقلبه فى كل اتجاه — كل هذا يستبعد الخاطىء . والعودة من الصعوبة بمكان ، إنها تقابل بالصد . ولا يقدر الإنسان أن يخلص نفسه . أما الكروبيم — وهم حاملو عرش الله بأشكالهم المختلفة المرهبة فى رؤيا حزقيال (قارن حز ١ : ٥ مع حز ١٠ : ١٣) — فيرون فى مكان آخر باعتبارهم الحرس الرمزى لقدس الأقداس مطرزة صورهم على الحجاب الذى يسد الطريق إلى قدس الأقداس ، كذلك يوجد كروبان فوق التابوت (خر ٣٦ : ٣٥ ، ٣٧ : ٧ — ٩) . وهذا الحجاب انشق إلى اثنين عند موت المسيح (مت ٢٧ : ٥١) وانفتح الطريق إلى الله (عب ١٠ : ١٩ — ٢٢) فى الحقيقة كما فى الرمز .

ملاحظة إضافية عن الخطية والألم

فى هذا الأصحاح تظهر بصورة مبدئية ثلاثة صور من الخلل التى تغطى أكبر قدر من آلام البشر .

فى العلاقات الشخصية هناك العلامات الأولى عن الاغتراب المتبادل (ع ٧) ، وبهيمية المحبة الجنسية (ع١٦(ب)) كما نجد جرثومة عدم الثقة ،

(١) انظر التفسير الختامى لعدد ٧ .

والرغبة التى من شأنها أن تدمز المجتمع . وفى المجال الروحى صار الإنسان فى تناقض مع ذاته هاربا من الله (ومطرودا منه) (ع ٨ و ٢٤) ، وفى حرب مع الشر(ع ١٥) فى آن واحد . وعلى المستوى **الجسدى** حكم على حياته أن تكون صراعا أليما لكى يجدد (ع ١٦) ويدعم (ع ١٩) عملياتها الأساسية ــ تلك التى اضطربت بعض الشىء .

قد انتابه تشويش مركب . فمن جهة ، ناله العقاب الذى نطق به الله عليه ، ومن جهة أخرى نجد النتيجة الواضحة ــ لفوضاه . وقد صارت الخليقة أشبه بفرقة ترنيم بلا قائد لا تقدم سوى أصواتا متنافرة . ومن يطلع على رو ٨ : ١٩ ــ ٢٣ وعلى القدر المعروف من العالم السابق لوجود البشر يظهر له أنه كانت هناك حالة من التوجع فى الطبيعة منذ البدء ، هذه الطبيعة التى أعطى الإنسان قدرة على إخضاعها (١ : ٢٨) (ربما قليلا قليلا إذ يتكاثر « ليملأ الأرض ») . إلا أنه انتكس بدلا من ذلك فشوش على نفسه . وقدرة الإنسان الآن على إخضاع الطبيعة (مز ٨ : ٦ ــ ٨ ، يع ٣ : ٧) تعكس قدرته المبدئية . ونرى فى سلطان الإنسان يسوع المسيح وأوامره المؤثرة ، القدرة الكاملة التى كان يمكن أن تحقق إمكاناتها فى كل مكان وللأبد (رو ٨ : ١٩) .

الأصحـاح الرابـع

٣ ــ الإنسان تحت الخطية والموت

٤ : ١ ــ ٦ : ٨

أعداد ١ ــ ١٥ : قتل هابيل :

إذا كنا نجد فى أصحاح ٣ أن الشيطان خلف الحية ، فإن ما نشاهده فى هذا الأصحاح هو الجسد والعالم (انظر أيضا التفسير على ١٦ ــ ٢٤) . تأمل كيف تظهر الخطية فى دائرة نموها كما فى بع ١ : ١٥ ، وكيف أنها فى ع ٧(ب) تتفحص تقريبا فى الكيفية التى يوضحها بولس (قارن رو ٧ : ٨ ــ الخ) . وهنا عدة تفاصيل تنبر على عمق جريمة قايين وبالتالى على السقوط : سياق الكلام عن العبادة ؛ والضحية أخ ؛ وبينما جرى الحديث مع حواء فأدَّى إلى خطيتها، فإن قايين رفض حتى حديث الله الذى يريد أن يبعده عن الخطية ، بل ولم يعترف بها، ولم يقبل العقاب .

عدد ١ : بغاية الوضوح ، تبين الكلمة « عرف » المستوى الشخصى الكامل للاتحاد الجنسى الحقيقى ، علما بأنها يمكن أن تفقد تماما هذا المحتوى الأعلى (قارن ١٩ : ٥) .

للاسم « قايين » Cain شيء من النطق صوتيا من الفعل « قَنَا »qana : « حصل على » أو « اقتنى » ومثل هذا التعليق على الأسماء عادة عبارة عن تلاعب بالألفاظ بدلاً من أن يكون اشتقاقا ، ويقدم مستوى أكبر للاسم مع مدلول معين أكبر مما يستحق المسمى . هكذا الحال مثلا فى ١٧ : ١٧ و١٩ يلازم الاسم اسحق (لعله [الله] يضحك) الذى اختير لكى يخلد ضحكة بشرية والوعد الذى سببها .

أما التعبير « من عند » فهو فى الأصل يعنى حرفيا « مع » ، مع أن العبرية تحتمل تفسيرات أخرى ولكن أبسطها « مع » (قارن ١ صم ١٤ : ٤٥) .

وصرخة الإيمان التى أطلقتها حواء هنا مثل تلك فى ع ٢٥ تسمو بالرغبة الطبيعية البحتة إلى المستوى الروحى الحقيقى (وذلك كما يفعل الإيمان دائما

١ تى ٤ : ٤ و٥) سواء كانت تقصد النبوة فى ٣ : ١٥ أو لا .

عدد ٢ : والاسم « هابيل » هو ذات الكلمة العبرية للكلمة « باطل » المستعملة مثلا فى (جا ١ : ١ وغيرها) ، ولكن ربما كان الارتباط بين المعنيين عرضيا لأنه لم يبن عليه شىء . وربما كان الاسم من ذات الأصل السومرى (ابيل) أو الأكادى (أبيلو) بمعنى ابن .

وقد مال الباحثون إلى إرجاع المنافسة بين الإبنين إلى المنافسة بين أسلوب الحياة الرعوى والزراعى ، مثل هذا الموضوع يظهر فى (إر ٣٥ : ٦ — الخ مثلا) ولكن لا تلعب المقارنة بين الخلفيتين الحضاريتين هنا إلا دوراً ثانويا — الله عنده مكان لكلا الأسلوبين (قارن تث ٨) ، كما توجد نماذج غنية للتكامل بين هذه المهارات ، ولمحاولة المزج بين العمل والعبادة . ولكن النموذج تحطم بسبب مادية الإنسان ، ولكن عندما نضعه فى ضوء الحق الإلهى ينكشف الفرق الهائل والقاتل بين الديانة الروحية والجسدانية .

أعداد ٣ — ٥ : « القربان » (مِنْحَا) والمنحة فى المعاملات البشرية تعنى هدية تكريم أو ولاء ، وفى المفهوم الطقسى يقصد بالقربان التقدمات سواء حيوانية ، أو تقدمة من الغلال (مثل ١ صم ٢ : ١٧ ، لا ٢ : ١) . ومن المشكوك فيه القول بأن عدم وجود الدم جعل تقدمة قايين بلا فائدة أو مرفوضة (قارن تث ٢٦ : ١ — ١١) وكل ما يتضح هنا هو أن هابيل قدم من أبكار قطيعه وأما قايين فكان متكبرا (ع ٥(ب) قارن أم ٢١ : ٢٧) . ويضيف العهد الجديد القول الهام إن حياة قايين — بخلاف حياة هابيل — كانت تتعارض مع تقدمته (١ يو ٣ : ١٢) وأن إيمان هابيل كان عاملا حاسما فى قبوله (عب ١١ : ٤) .

عدد ٦ : فى حوار الرب المتكرر « لماذا .. ؟ » ، « إن ... » والدعوة إلى التعقل واهتمام الرب بالخاطىء تبدو واضحة مثل اهتمام الله بالحق (ع ٥(أ) والعدل (ع ١٠) .

عدد ٧ : والكلمة « رفع) تعبير يمكن أن يدل على ابتسامة القبول بعكس العبوسة . « وسقوط » الوجه (ع ٦) قا عد ٦ : ٢٦ . وقد يكون المعنى بأن النظر لوجه قايين يفضح ما بداخله ، والأرجح أن التعبير يتعدى ذلك إلى وعد إلهى بالاسترجاع والعودة (قا ٤ : ١٣) إذا تغير قلبه . إن صورة الخطية

« رابضة » « عند الباب » مستعارة من صورة ترويض وحش « إليك اشتياقها » (أو أنها مشتاقة أن تهاجمك « موفات ») ، ولكن يجب أن تسيطر وتسود عليها . والسيادة جاءت فى عدد ٣ : ١٦(ب) ، بل وتلقى عليها ضوءاً كثيباً[١] .

عدد ٨ : « وكلم قايين أخاه » ترجمة سليمة (قارن خر ١٩ : ٢٥) يظهر أن قايين يتأرجح بين قبول ورفض عتاب الله . لكن فى السبعينية : قال لهابيل .. « لنذهب إلى الحقل » ، وإذا كانت هذه الترجمة صحيحة يكون القتل عن عمد مؤكدا .

عدد ٩ : و« أين .. أخوك » تساير « أين أنت ؟ » (٣ : ٩) باعتبارها بحث الله المستمر عن الإنسان . أما الجواب الجاف فهو يماثل فى أسلوب المراوغة والمشاكسة الجواب الذى ذكر فى ٣ : ١٠ ــ الخ .

عدد ١٠ : نحن أنفسنا نتحدث عن أخطاء تصرخ طالبة الإصلاح . ويتفق العهد الجديد مع العهد القديم فى هذا . وتصاغ التشبيهات الواردة فى (رؤ ٦ : ٩ و ١٠ ، لو ١٨ : ٧ و ٨) والتى يجب أن تقرأ كاستعارة . وعكس ذلك على خط مستقيم نجد دم المسيح يصرخ طالبا النعمة (عب ١٢ : ٢٤) .

العددان ١١ و ١٢ : يخاطب الله قايين غير التائب بحدة أكثر مما يخاطب آدم الذى لم تكن اللعنة عليه مباشرة . أما قايين فقال له الله « ملعون أنت » .

العددان ١٣ و ١٤ : ويحتج قايين[٢] ، ويردد صدى احتجاجه النغمة الجريحة للغنى (لو ١٦ : ٢٤ و ٢٧ و ٢٨ قارن رؤ ١٦ : ١١) بعكس اللص التائب الذى سلم بالقول « ننال استحقاق ما فعلنا » .

أما العبارة الأخيرة فى ع ١٤ « كل من وجدنى .. » ، فتفيد امتداداً عمرانياً فى ذلك الحين أو المستقبل أو يمكن أن تعنى أن كل شخص يلاقيه هو قريب

---

(١) معنى آخر ممكن هو .. « ذبيحة خطية رابضة » [قارن ٢٢ : ١٣ (؟)] وفى هذه الحالة تكون العبارة النهائية (اشتياقه) تشير إلى هابيل ، ويؤكد كل العدد أنه لا عدم رضى الله ولا تقدم هابيل عليه أمر دائم . إلا أن هذا التفسير غامض .

(٢) يمكن أن تترجم الكلمات العبرية « خطيتى أعظم من أن تغفر » ولكن القرينة لا تسند هذا المعنى .

لهابيل ــ وهذا يتفق كثيرا مع القرينة . ومع ذلك فراجع المقدمة حيث « البداءات البشرية » .

عدد ١٥ : إن اهتمام الله بالبرىء (ع ١٠) لا يعادله إلا حرصه على الخاطىء . وحتى صلاة قايين المتذمرة اشتملت على بذرة الاستعطاف . وعليها أجاب الله بوعد أو بعهد مصحوب « بعلامة » (أشبه بما فى ٩ : ١٣ ، ١٧ : ١١) ولم يقصد بها وصمة عار على قايين بل تأمين له ، إذ جعل الله نفسه حافظا لقايين . قارن ٢ صم ١٤ : ١٤(ب) وهذا أقصى ما تعمله الرحمة بغير التائب .

أعداد ١٦ ــ ٢٤ : أسرة قايين :

وفى بداية الحضارة توجد إمكانة عمل الخير أو الشر ، والفنون المقدر لها أن تفيد الجنس البشرى محفوفة بسوء استخدامها الذى قد يأتى باللعنة (ع ١٩ و ٢٣ و ٢٤) . ولا تقدم الحضارة الفداء ــ سواء أحسن استخدامها أو أسيء ــ وبارقة الأمل الوحيدة هى فى هبة الله وفى استجابة الإنسان البطيئة المسجلة فى العددين الأخيرين من هذا الأصحاح .

عدد ١٦ : نشأت الأزمة فى حضور الرب (لدن الرب) (ع ٥) . وكان خروج قايين من « لدن الرب » بناء على طلبه وبمحض اختياره . فمن جهة خشى من حرمانه من وجه الرب « من وجهك اختفى » (ع ١٤) وأنه سيكون تائها وكلمة (نود) تعنى التيهان ، ومن جهة أخرى احتقر الندامة ثم وطد عزمه على النجاح نتيجة استقلاله . ويقدم الحدث التالى أول مفهوم لمجتمع مكتف بذاته الذى هو أساس ما يسميه العهد الجديد « العالم » .

عدد ١٧ : يظهر من العبارة الافتتاحية أن قايين كان قد تزوج فى ذلك الوقت ، وتعطى الأعداد ١٤ و ١٥ مع ٥ : ٣ انطباعا بأن الأسرة البشرية كانت قد بدأت فى التكاثر ما لم تكن مخاوف قايين مرتبطة بالمستقبل فقط (انظر تفسير ع ١٤ والمقدمة عن البداءات البشرية) .

أما الاسم « حنوك » فهو من فعل يعنى « ينشىء » أو يبدأ . وربما كانت هناك الفكرة لبدء تسمية الابن الأول والمدينة الأولى فى عهد استقلال قايين . ويمكن أن تطلق كلمة « مدينة » فى العبرية على أى موطن بشرى صغير أو

كبير . وليس من الإنصاف فى شيء أن نقارن بين شهرة هذين الفرعين من الحنوكيين (قارن ٥ : ٢٢ ـــ ٢٤)[١] ، ذلك لأنه ليس من الإنصاف المقارنة بين الفرعين البشريين المتسلسلين من لامك المعروف بنزعته الحربية (٤ : ٢٤) ونوح الصالح (٥ : ٣٢) .

عدد ١٨ : وجد الإسمان أخنوخ ولامك فى كلا الأسرتين (قا ٥ : ١٨ و ٢٥) والمماثلة فى أسماء أخرى تظهر فى الترجمات أكثر منها فى العبرية .

أعداد ١٩ ـــ ٢٤ : ولن تنسب رواية منحازة أى شيء حسن لقايين . ولكن الحقيقة أكثر تعقيدا : كان فى ترتيب الله أن يجنى شعبه فوائد كثيرة من فنون أبناء قايين ومهاراتهم لنقل الشعب من الحياة النصف بدوية (ع ٢٠ قارن عب ١١ : ٩) إلى الفنون والحرف المتحضرة (مثلا خر ٣٥ : ٣٥)[٢] والعبارة « كان أبا لكل » تجعلنا نعترف بالفضل ، كما تساعدنا على الشعور بالمديونية للانجازات الدنيوية لها ، لأن الكتاب لا يعلم فى أى مكان بأن المواهب قصر على الصالحين . وفى نفس الوقت تحفظنا من المبالغة فى تقدير هذه المواهب : فإن أسرة لامك استطاعت أن تسيطر على بيئتها ولكنها فقدت السيطرة على نفسها . ومحاولة تحسين النظام الذى وضعه الرب للزواج (ع ١٩ قارن ٢ : ٢٤) وضع سابقة مخربة نجد فى كل سفر التكوين توضيحا كافيا لها . ويماثل هذا فى الشر التحول السريع من تشكيل المعادن إلى صنع الأسلحة . وأسرة قايين هى عالم صغير بشرى : فإنهم بأسلوبهم الفنى الجرىء وسقوطهم الأخلاقى قد صاروا نموذجا للبشرية .

ويتضح من نشيد لامك التعبيرى تطور الخطية السريع ، فبينما استسلم قايين لها (ع ٧) فإن لامك يفتخر بها . وحيث طلب قايين الحماية (ع ١٤ و ١٥) فإن لامك يفتش عمن يغيظه : ثم لاحظ عدم التناسب الهمجى إذ

---

(١) الاسمان حنوك واخنوخ فى العبرية اسم واحد هو (حنوخ) ـــ المترجم .

(٢) فى ع ٢٢ « الضارب » تتضمن أكثر من معنى فى العبرية (توتيس) = طارق (بالمطرقة) أو « سنان » . فقد طرق حديد النيازك والنحاس السطحى المتجمع ، ثم عومل بالمبرد . وكان هذا سابقا فى زمانه للصهر أو التليين بالحرارة وقبل أن يسمع عنهما . ومع أن هذه المعادن سريعة الفناء ، لكن بعض منها باق ويرجع إلى الألف الثالثة ق . م . (حديد) أو الخامسة أو قبل ذلك (نحاس) .

قتل فتى (بالعبرية Yeled بمعنى صبى) لمجرد أنه جرحه . وهذا كل موضوع فخره (قارن ع ٢٤) وبسبب نغمة التفاخر الكاذب هذه بادت الأسرة من القصة[1] . وعلى النقيض من هذا ، ربما كان فى فكر يسوع بالنسبة للغفران سبعين مرة سبع مرات هذه القصة .

العددان ٢٥ و ٢٦ شيث بدل هابيل :

إن إيمان حواء الذى ينبر على مشيئة الله فى اسم « شيث » (المعيّن أو المحدد) أكثر وضوحا الآن منه فى ع ١ . ويظهر أن ذكر « نسل آخر » يعنى أيضا أنه سيأخذ الوعد فى ٣ : ١٥ .

عدد ٢٦ : « أنوش » معناه إنسان (قارن مز ٨ : ٤ [أ] و ٥ [أ]) ربما بلون من التنبير على ضعفه .

والعبارة النهائية « حينئذ ابتدىء ... » ذات أهمية من جهتين : فهى تسجل بدء النمو الروحى الذى توقف منذ هابيل ، وكذا أول اتجاه للدعوة باسم يهوه (الرب) . وهذا الاسم فى سفر التكوين هو أحد الأسماء الإلهية العديدة على شفاه الناس[2] . ولكن كان يمثل مجرد اسم ، ولم يكشف بعد عن أى من صفات الله كما تظهره الأسماء الأخرى (مثل إيل علون « الله العلى ») . فبهذا المعنى فإن الله لم « يعرف » بالاسم يهوه حتى أظهر معناه ومضمونه فى الرسالة التى تكلم بها من العليقة المحترقة (خر ٣ : ١٣(ب) و ١٤ ، ٦ : ٣) .

ملاحظة إضافية عن أهل قايين

صار جدل نتيجة اعتبار القايينيين هم ذات القينيين . الألفاظ متماثلة فى العبرية (قارن عد ٢٤ : ٢١ و ٢٢) والمقابل العربى يعنى « حداد » . وتوجد أدلة على الوجود القديم لجماعات جوالة مثل الأسرة الموصوفة فى تك ٤ ، بالذات ساكنو خيام ، ينتقلون من مكان إلى آخر كحرفيين وموسيقيين .

---

(١) انظر الملاحظة الإضافية عن أهل قايين أدناه .

(٢) بالنسبة للتحليل النقدى العام لاستخدامه فى تكوين فهو كتعريف غالبا يوجد فى الفصول المنسوبة إلى Yahwist (J) ومع ذلك فهذا ليس قاصرا عليه انظر المقدمة .

وهناك مقبرة ترجع إلى عصر الآباء فى بنى حسن مرسوم على جدرانها مجموعة من الناس يحملون أسلحة وأدوات موسيقية وأكوار حدادين . لذلك تسود الفكرة بأن الحقائق المدونة فى هذا الأصحاح آتية من ذكريات قبلية إلى جانب قصة تروى بدء هذا الجولان وقد استخدمها كاتب التكوين بطريقته الجديدة .

على أن هذه النظرية لا تتفق وقصة الطوفان التى تبين أن انفصالا حدث بين الأسر القديمة المذكورة هنا إلا أسرة نوح . لكن لها قيمة من حيث أنها جذبت الانتباه إلى أسلوب معروف من الحياة يمثل ما جاء فى تك ٤ : ١٦ — الخ . ومعنى الاسم قايين (حداد) يمكن أن يكون سببا كافيا ليعطى القينيين اسمهم . وبالتالى يمكن أن يكون قد نشأ من الاسم قايين بالضبط كما يحدث حاليا بالانتساب لاسم أول رائد (مثلا وات ، وأوم ، وفولت) مما يترك أثرا دائما عن حرفته أو عمله . وفى النهاية نقول إن سلالة قايين — القينيين كانت حقيقية . ولكن التسلسل هنا مرتبط بالوظيفة وليس عن طريق التناسل .

الأصحـاح الخـامـس

أعداد ١ ــ ٣٢ : أسرة شيث :

بالنسبة لخطة سفر التكوين يخدم هذا الأصحاح ثلاثة أغراض . أولا ــ يشهد لقيمة الإنسان لدى الله بتسمية الأفراد والمراحل فى هذه الحقبة المبكرة من التاريخ البشرى : فكل واحد مذكور باسمه ومعروف . ثانيا ــ يبين كيف أن نسل شيث ، « المختار » (٤ : ٢٥) يقود إلى نوح المخلص . ثالثا ــ يظهر سطوة الموت على الإنسان الناشىء عن القرار المشدد (ع ٥ (ب) و ٨ (ب) الخ) وبصورة ملحوظة يغير الوتيرة ليخبر عن أخنوخ ، نموذج الوعد القائم بهزيمة الموت .

عدد ١ : افتتاحية الأصحاح « هذا كتاب .. » تدل على أن الأصحاح كان أصلا وحدة مستقلة (حيث « كتاب » تعنى سجلا مكتوبا بغض النظر عن طوله) ، ويقوى هذا الانطباع بدء الأصحاح بموجز عن الخليقة ، وبأسلوب كتابة فقراته .

عدد ٢ : وتؤكد الكلمات « ودعا اسمه آدم » أو « الإنسان » أنه بالرغم من أن الذكر سمى باسم النوع البشرى باعتباره الرأس إلا أن الأمر يحتاج إلى الجنسين معا للتعبير عما يعنيه الله بكلمة إنسان (قارن ١ كو ١١ : ١١) .

عدد ٣ : أما عن الـ « مئة وثلاثين سنة » والأرقام الأخرى فانظر الملاحظة الإضافية ــ بعد هذا الأصحاح . وبالنسبة للمقارنة ــ بين « على شبه الله » ، فى هذا العدد ، وبين صورة الله فى ع ١ ، فهذا ما لا يجب أن نبالغ فى تأكيده . انظر مناقشة ذلك فى ١ : ٢٦ .

ومما يلفت النظر أن « شيث » فقط من بين أولاد آدم هو المذكور هنا . وبلا شك كان وجود هذا الأصحاح أساسا كسلسلة نسب لأسرة شيث ، فوجودها هنا بعد أسرة قايين يبرز أمرا خاصا هو أنه فى تاريخ الخلاص لا مكان لأسرة قايين .

عدد ٩ : عن « أنوش » انظر ٤ : ٢٦ والتفسير .

عدد ١٢ : الاسم « قينان » شبيه بقايين (ولا يجوز خلطه مع ابن حام

« كنعان »[1] فى ١٠ : ٦) . ولا يستبعد أن يكون هذا الاسم ذو علاقة بالرجل الذى أدخل مهارات بنى قايين إلى أهله بنى شيث (قارن ٤ : ٢٠ — ٢٢) .

عدد ١٥ : ومعنى « مهللئيل » شكر الله

عدد ١٨ : « يَارِد » يمكن أن يعنى « انحدار » إذا كان من أصل عبرى[٢] . وليس بها أى تشابه مع « عيراد » فى ٤ : ١٨ .

أعداد ٢١ — ٢٤ : هذه الفقرة المدهشة ، كما يقول و . ر . بُوِى « تلمع مثل نجم متألق فوق السجل الأرضى فى هذا الأصحاح » . فإن الكلمات البسيطة التى تكررت مرتين « سار مع الله » كسرت قانون الموت فى حياة أخنوخ هذا الموت الذى أنهى حياة الباقين . وهذه الكلمات تصور مدى العلاقة الوثيقة وهى جوهر التقوى فى العهد القديم . فعوضا عن الأخلاقيات الجامدة المرتبطة فى ذهن الناس بالعهد القديم ، كانت هذه الألفة دعامة حياة أخنوخ التى شاركه فيها نوح (وهو الوحيد الذى ذكرت عنه هذه العباره ٦ : ٩) وكذلك إبراهيم خليل الله ، وموسى الذى حادث الله « وجها لوجه » وأناس مثل يعقوب وأيوب وإرميا الذين صارعوا مع الله . وقد يسمح الأسلوب العبرى ولو بصعوبة بفهم المعنى على أن تقوى أخنوخ بدأت بميلاد متوشالح وهكذا « سار مع الله » بعد أن ذكر أنه « عاش » فى ع ١٩ و ٢٦ الخ . هذه كانت الحياة بالنسبة له .

وتقدم السبعينية ترجمة تفسيرية لكلمة « سار مع » على أنه « أرضى » . وقد اقتبس الرسول فى الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٥ هذه الآية .

ويبدو أن العبارة « الله أخذه » كان لها أثرها على العهد القديم فى موضعين : مز ٤٩ : ١٥ ؛ ٧٣ : ٢٤ ، (حيث نجد الأخذ يعنى التسلم) وفى كليهما تأكيد صريح . وحيث أن الناس مثل أخنوخ وإيليا نادرون فلذا لم يصبح هذا الرجاء عاما ولكن على الأقل لم تنتصر أبواب الجحيم مرتين .

---

(١) هذا الخلط يحدث بين الأسماء عند قارئ العبرية من الناطقين بالإنجليزية ولا يحدث عند الناطقين بالعربية — فالنطق فى ترجمتنا العربية مختلف وواضح (المترجم)

(٢) يلفت النظر سكنر إلى مثلا سفر أخنوخ ٦ : ٦ الذى يجعل سقوط الملائكة (انظر تك ٦ : ٢) فى أيام يارد .

عدد ٢٥ : إن معنى الاسم « متوشالح » غير محقق وربما يعنى « رجل الرمح » أما عن طول حياته فلا يلفت النظر إذ أن عمره فاق طول عمر يارد بسبع سنين فقط (ع ٢٠ و ٢٧) .

العددان ٢٨ و ٢٩ : ليس لدينا دليل على معنى الاسم « لامك » ولكن لكل من الشخصين اللذين يحملان الاسم كلمته المأثورة ، فيذُكر لامك القايينى بعجرفته (٤ : ٢٣ و ٢٤) والشيثى بحينه . ونبوته عند مولد ابنه عبارة عن تورية (انظر تفسير ٤ : ١) ؛ فقد انتقل من المعنى القريب للكلمة « نوح » (راحة)[1] إلى كلمة تجانسها [ناحيم = تعزية] وقد تعنى الإشارة إلى ٣ : ١٧ ، أنه ذخر لنفسه الوعد فى ٣ : ١٥ وكثيرا ما نجد فى سفر التكوين بل على مستوى أكثر من ذلك فى إشعياء ــ أن مولد طفل مناسبة للنبوة ، ولا يوجد موضوع آخر يعلق عليه الآمال بذات الدرجة . وفى إشارة الكتاب لمولد مخلص بصفة أو بأخرى مرتبط دائما بشخصه والمتوقع منه . إلا أن مهمة نوح كانت مختلفة تماما عن كل تصورات لامك ، ويجب أن تؤخذ نبوته فى صورة جديدة فى ٦ : ٦ (انظر التفسير هناك) .

ملاحظة إضافية عن طول عمر سابقى الطوفان

تظهر مشكلتان تفسيريتان فى هذا الأصحاح : وبعبارة بسيطة يظهر أن الفترة الزمانية كلها قصيرة جدا ، والأعمار أطول جدا من اللازم بحيث يصعب التوفيق بين ذلك وبين المعلومات الأخرى . ويستوجب العقل الواعى والمعرفة الحاضرة فحصا حذرا لهذا الموضوع . فهما يُشيران أحيانا إلى القصد الصحيح للفصل الكتابى عكس التفسير الساذج أو الخيالى . ولكن يجب أن تكون الكلمة الأخيرة للفصل ذاته فى قرينته الكتابية الكلية .

أ ــ الفترة جملة :

ترجع معرفتنا عن الحضارة مثل عند أريحا إلى ٧٠٠٠ ق . م على الأقل ، وعن الإنسان نفسه قبل ذلك بكثير . عندما أرخ أشر لآدم فى سنة ٤٠٠٤ ق . م فرض أن الأجيال فى هذا الأصحاح سلسلة غير مقطوعة : « ولكن الأصحاح لا يقدم حاصلا لجمع الأرقام ، ولا يقدم انطباعا بأن الأسماء

---

(١) لكن فى السبعينية تترجم « سيريحنا » التى تعطى معنى الفعل العبرى المتوقع .

تداخلت بعضها مع بعض إلى حد غير عادى (مثلا أن آدم عاش تقريبا حتى ميلاد نوح) فلو اختار عشرة أسماء (وفى ١١ : ١٠ الخ اختاره عشرة أخرى من نوح إلى ابراهيم) كعلامات منفصلة ــ وليس كحلقات متصلة ، فإن لدينا ما يدعم هذا من العوائد الإنسانية فى إطار الكتاب أو خارجا عنه . أما فى داخل الكتاب فلاحظ الخطة النمطية ذات ثلاث مجموعات كل منها أربعة عشر فى مت ١ (وفى سبيل ذلك حذف ثلاثة ملوك متعاقبين فى مت ١ : ٨) . وخارج الكتاب ، فإن علماء الانسان نبهوا إلى أساليب إنسانية مشابهة فى السودان ، وفى شبه جزيرة العرب وفى أماكن أخرى . وعلى هذا الفهم للتخطيط فإن شيث مثلا أنجب فى سن ١٠٥ إما شخصا سابقا لأنوش أو أنوش ذاته (قارن مت ١ : ٨(ب) حيث ولد يورام حفيد حفيده) ؛ وهكذا .. وهذا يترك الفترة الكلية بلا حدود لطولها .

ب ــ طول الأعمار :

أما إعادة تفسير طول أعمار هؤلاء الناس فأكثر صعوبة . لدى النظرة الأولى تلوح الفكرة بأن الاسم يمكن أن يدل على الفرد ، وقبيلته معا (قارن الأصحاح ١٠) يمكن أن نعلل طول العمر بأن الرقم الأول على أنه عمر الفرد (ع ٣ و ٦) بينما الرقم الثانى عمر القبيلة التى أسسها (ع ٤ و ٧) . ولكن أخنوخ ونوح استثناءان يحكمان على هذه النظرية بالفشل إذ أنه واضح أنهما أفراد . وهناك فكرة تقول بأن وحدات الزمن قد غيرت معناها . وهذه أيضا فكرة لا تجدى ، فضلا عن أنها تخلق مصاعب أخرى فى ع ١٢ و ١٥ و٢١ كما تفشل فى التاريخ المفصل بين ٧ : ٦ ، ٨ : ١٣ .

لذا فكل ما نستطيع أن نقوله هو أن مدة العمر حقيقية حرفيا . وما يستحق الذكر أن معدل النمو المعروف لنا ليس هو المعدل الوحيد المفهوم . كذلك يوجد تاريخ قديم عن أناس طوال الأعمار فى أجناس مختلفة[1] ، ما يجعلنا نقول بأنها جاءت من سجلات موثوق بها . انظر أيضا التفسير على ١٢ : ١٤ . ولكن مزيدا من الدرس للعادات المتبعة فى كتابة الأنساب قديما قد يلقى ضوءا جديدا على قصد هذا الأصحاح .

---

(١) قائمة أسماء الملوك السومرية من ثمانية أو عشرة ملوك حكموا متوسط ٣٠ الف سنة . ويوجد بعض الحق فى هذه الأرقام الكبيرة كما يوجد حق واضح فى الأسماء الفعلية .

الأصحـاح الســادس

أعداد ١ ــ ٨ : الشدة القادمة :

أعداد ١ ــ ٤ : أبناء الله ، وبنات الناس . على أى محمل نحمل هذا الفصل الغامض فإن الفكرة فيه أن الشر قد وصل فى تطوره إلى مرحلة جديدة ، وقد تخطى الناس حدود الله إلى منطقة أخرى .

عدد ٢ : يفسر بعض المفسرين « أبناء الله » على أنهم أبناء شيث خلافا لأبناء قايين . وآخرون بما فيهم الكتبة اليهود الأول[١] على أنهم الملائكة . فإذا خالف المعنى الثانى المألوف فى صوره العادية فإن الأول يجانب اللغة (وتصير مهمتنا هى أن نجد المعنى الذى قصده الكاتب) ومع أن العهد القديم يعلن أن شعب الله هم أولاده[٢] ، فإن المعنى العادى للفظ أبناء الله فعلا هو الملائكة[٣] ، ولم يوجد شىء يجهز القارىء ليفترض أن « الناس » فى هذا المكان يقصد بهم أبناء قايين فقط[٤] . ويمكن أن نرى فى العهد الجديد فى ١ بط ٣ : ١٩ و ٢٠[٥] وكذا فى ٢ بط ٢ : ٤ ــ ٦ ــ سندا للقول بأنهم الملائكة ، إذ أن الملائكة الساقطين والطوفان ودينونة سدوم تكون سلسلة مبنية على سفر التكوين وفى يه ٦ حيث لم يحفظ الملائكة الساقطين رياستهم . وفى حنين الشياطين إلى جسد ــ الأمر الواضح فى الأناجيل ــ نجد معنى يماثل هذا الجوع إلى الممارسة الجنسية . ولكن حيث يصمت الكتاب كما يحدث هنا فإن كلا من بطرس ويهوذا يحذراننا لكى نبتعد ولنا مكاننا المناسب . إذ أنه سواء كان الشيثيون قد فرطوا فى دعوتهم أو كانت القوات الشيطانية قد أخذت

---

(١) انظر أخنوخ ٦ : ٢ أيضا تكوين القمرانى الأبوكريفى المجموعة الثانية .

(٢) تث ١٤ : ١ ، اش ١ : ٢ ، هو ١ : ١٠ .

(٣) أى ١ : ٦ ، ٢ : ١ ، ٣٨ : ٧ ، دا ٣ : ٢٥ .

(٤) هناك معنى ثالث قال به م . ج . كلاين فى [و . ل] ٢٤ / سنة ١٩٦٢ ص ١٨٧ ــ ٢٠٤ فيه يقول : إن « أبناء الله » هم الملوك وأن ع ٢ يعنى إشارة إلى تعدد الزوجات الملكى . ولكن من الصعب أن نرى أن أمورا مألوفة مثل تعدد زوجات الملوك يعبر عنها بهذه الطريقة ــ غير المباشرة . وعن رأى آخر يقرن هذا المعنى بالملوك قارن إ . ج . كريلنج فى [ج . ش . د) ٦ / سنة ١٩٤٧ ص ١٩٣ ــ ٢٠٨ .

(٥) قارن ا . م . ستبز عن ١ بط (مطبعة تندل ١٩٥٩) ص ١٤٢ و ١٤٣ .

بمقاليد الأمور ، فإن الأهم من تفاصيل هذه الأحداث هو أن الإنسان قد صار بلا حول ولا قوة .

عدد ٣ : كثر الجدل فى هذا العدد . وعندى أن يترجم « لا يمكث روحى فى الإنسان إلى الأبد لأنه بشر . ولكن .. » الكلمة « يمكث » Yadon تؤكدها أهم النصوص القديمة مع أن اشتقاقها غير مؤكد[١] . أما الكلمة « يدين » فتستوجب أن يكون أصلها Yadin أو Yadun [٢] والكلمة المترجمة (لزيغانه) هى فى العبرية (بشَجَّام) ومعناها : « نظرا لـ .. وكذلك » . ونص هذه الكلمة ثابت فى أقدم المخطوطات .

أما عن « المئة وعشرين سنة » فيمكن أن تكون مدة الإمهال قبل الطوفان (قارن ١ بط ٣ : ٢٠) أو المتوسط المتوقع لعمر الإنسان وقد قصر إلى هذا الحد . فأى من هذين المعنيين يتفق مع سياق الكلام الآتى فى سفر التكوين .

لهذا فيظهر أن الله فى هذه النقطة مهتم بكبرياء الإنسان وليس بفساده الذى يقدمه فى ع ٥ . كان هذا هو موضوع ٣ : ٥ (كالله) وموضوع ٣ : ٢٢[ب] (« ويحيا إلى الأبد ») ويرد مرة أخرى فى ١١ : ٤ (« رأسه بالسماء » = يصل إلى السماء) ويمكن أن تكون القصة جزء من سلسلة هذه المحاولات . والهدف فى هذه المرة هو الوصول إلى القوة الخارقة أو عدم التعرض للموت ، الأمور المحرمة على الإنسان وقد كانت هذه المجادلة بناء على مبادرة من الملائكة .

جاءت المقارنة بين الروح والجسد فى هذا المقام فى تعليق الله . فما زال الانسان فانيا ، يؤيده روح الله المحيي (كما يقول مز ١٠٤ : ٢٩ و ٣٠) وهذا بحسب مسرته فقط .

عدد ٤ : « كان .. طغاة » ــ الكلمة ــ غامضة المعنى لهذا فبعض الترجمات نقلت نطقها العبرى إلى حروف لغتها « نفيليم » وقد ترجمت « جبابرة » فى عد ١٣ : ٣٣ وقد تعنى ضخامة الجسم مع عظم القوة .

---

(١) تدل تشكيلات الكلمة على أن أصلها الثلاثى (د ن ن) الذى تدل اللغة على أن معناه « يبقى » .

(٢) ولكن (دنانو) الأكادية = يتقوى ، يُقَوِّى ، يقول باحتداد ، قد تشير إلى كلمة عبرية أصلها (د ن ن) لها ذات المعنى .

وجدير بالملاحظة أن هؤلاء الجبابرة لم يظهروا فقط نتيجة هذه العلاقة بل كان فى الأرض طغاة ، فقد كانوا موجودين فعلا .

أعداد ٥ ـــ ٨ : الخطية وقد كملت : فى ع ٥ يستدعى التعبير « ورأى الرب » مقارنة محزنة مع ما جاء فى قصة الخليقة ١ : ٣١ . فهنا يتضح شر الإنسان فى نصفى العدد بالنسبة لشموله وعظمه . أما بالنسبة لعظمه فيعبر عن قوته المدمرة بالكلمات (كل .. انما .. كل يوم) « ولا يمكن أن نتخيل عبارة تفوق هذه تأكيدا لرداءة الإنسان » .

ولفظ « تصور » Yeser أقرب إلى الفعل مما توحى به الكلمة العربية : فهى مشتقة من الفعل الذى يستخدم عن الفخارى : « يصور » أو « يشكل » وهى واردة فى (٢ : ٧) عن تشكيل الله للإنسان : « جَبَل » وتتضمن « التصميم » والغرض . وقد اتخذتها اليهودية المتأخرة اصطلاحا يعبر عن دافعى الخير والشر اللذين تعتبرهما اليهودية موجودين معا فى الإنسان . الا أن العهد الجديد يقدم الإيضاح الحقيقى لهذا الفصل حيث يبين أنه لا يوجد فى طبيعتنا الساقطة « شيء صالح » (رو ٧ : ١٨) .

عدد ٦ : فى هذا العدد وصف بشرى يجعلنا نحس بقسوة الموقف مع التحفظ بالنسبة للكلمة « فحزن .. وتأسف » حتى لا يساء مضمونها . فهناك فى مناسبة أخرى (١ صم ١٥ : ٢٩ و ٣٥) نجد استخداماً لمعنى إنسانى أيضا . وهذه هى طريقة العهد القديم فى التحدث عن أمر : فهو يستخدم أقوى الألفاظ ، فإن لزم الأمر عاد لها فى مكان آخر ، ولكنه لا يضعف المعنى . فى كلمة تأسف نرى معنى أزيد من معنى الحزن ، هناك أيضا الألم والمشقة المعبر عنهما فى ٣ : ١٦ و ١٧ . فقد تألم الله من جهة الإنسان . ثم على حد قول كاسوتو[١] ، إن الثلاثة أفعال المستعملة هنا « حزن .. عمل .. تأسف » تقابل ثلاثة أفعال أيضا فى ٥ : ٢٩ هى « يعزينا .. عملنا .. تعب أيدينا » ، مع توسيع مجال كلمات لامك إلى حد بعيد : فالإنسان يتوق إلى فرج مؤقت بينا يتطلب الله أن تكون الأمور سليمة . « وقد تحققت الآمال التى بناها لامك على ابنه بطريقة تختلف كثيرا عما كان يتصور »[٢] .

---

(١) تك جزء ١ ص ٣٠٣ .

(٢) ذات المرجع .

العددان ٧ و ٨ : لاحظ الايجاز البسيط فى ع ٨ ، ففيه سرد بالغ الإيجاز بعد الكلمات الجارفة فى ع ٧ . ويبين العددان معا خواص طريقة الرب فى معاملاته للشر : فهو لا يتعامل مع الشر بمعاملة وسط بل بطريقتين على طرفى نقيض فى آن واحد ، هما الدينونة والأخرى الخلاص . ونجد أن النعمة فى ع ٨ هى فضل صرف سواء كان من يتقبلها هو « نوح » أو « لوط » (١٩ : ١٩) . وهى حقيقة واضحة تماما فى رو ٨ : ١٩ — ٢١ ، أن الحياة برمتها خليط من الآلام والخلاص لكل من الإنسان والخلائق التى تشاركه دينونته وخلاصه .

٤ — العالم تحت الدينونة (٦ : ٩ — ٨ : ١٤)

تبدأ العبارة « هذه مواليد » جزءا جديدا من السفر (قارن ٢ : ٤ ، ٥ : ١) — جزءا أثار شهية القارىء عن طريق التحول المفاجىء للقصة فى ع٨ . هنا نجد التحول من العالم القديم إلى الجديد ، بصورة يعتبرها العهد الجديد ذات دلالة لكل الأزمنة ، الآن (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١) وكذلك فى النهاية (لو ١٧ : ٢٦ — الخ ، ٢ بط ٣ : ٦ و ٧) . ولابد أن تؤدى الخطية المنتشرة الآن انتشارا كاملا إلى الموت . ويبين إجراء الله للدينونة الشاملة الأولى أن الحق لابد أن يسود فى أى حالة بغض النظر عن : هل يشمل الأكثرية أو الأقلية . فقد لا يخلص سوى ثمانية (١ بط ٣ : ٢٠) منهم سبعة توقف خلاصهم على واحد (عب ١١ : ٧) وهذه الأقلية ترث الأرض الجديدة .

أعداد ٩ — ١٢ : رجل واحد سائر مع الله :

عدد ٩ : يبرز نوح فى عالم فاسد ليس كمجرد أفضل إنسان فى جيل ردىء ، بل باعتباره رجل الله الكامل . فهو يوصف بصفتين : « بار » وهذا يصفه فى علاقته بالناس ؛ و« كامل » (موحد القلب)[1] فى علاقته بالله . أما العبارة « فى أجياله » فهى لا تتعلق بالحديث عن الأنساب (تلك التى استعملت لها كلمة مواليد فى الكلمة الافتتاحية) ويمكن أن نترجمها « (وحده) بين معاصريه » ، وربما تتعلق بالكلمات اللاحقة ، بالرغم من

(١) [تاميم] Tamim عندما تستعمل عن موقف إنسان فمعناها « كامل » . وعندما تستعمل عن الذبيحة فتعنى بلا عيب (مثل خر ١٢ : ٥) .

النقطة الفاصلة بين الجملتين .

ولا يضاهى العبارة الأخيرة إلا المديح الذى قيل فى أخنوخ (٥ : ٢٤) وهذه العبارة صدى لتلك مع إضافة التوكيد « وسار نوح مع الله » .

أعداد ١٠ ــ ١٢ : كثير مما قيل هنا قد أثير فى ختام سجل العالم القديم والتكرار هنا إضافة مؤكدة لجدية الأمر . ولكن كلمتى « فسدت » ، « ظلما » تلقى ضوءا على الفوضى السائدة (وعلى الجانب القبيح الذى اتصفت به القوة والشهرة المذكورتين فى ع ٤) . وتوضح الكلمة العبرية المترجمة فسدت (أو خربت) أن ما قرر الله [تخريبه] (ع ١٣) « مهلكهم » كان قد خرَّب نفسه من قبل .

أعداد ١٣ ــ ٢٢ : التكليف بصنع الفلك :

إن سير نوح مع الله عن قرب جعله أهلا لثقة سيده ، كما كان إبراهيم بالنسبة لسدوم (١٨ : ١٧) وهذه العلاقة ، والقرار المسبب تناقض تماما جو المشاحنات والمزاح الشاذ الأطوار التى تسود قصص الطوفان البابلية .

إن نصيب الأرض من الخراب (ع ١٣(ب)) كان محدودا . ويبين ٢ بط ٣ : ٥ ــ ١٣ أن الفناء النهائى يختلف . وفى الحقيقة كانت إجراءات الدينونة برمتها جزئية : فقد اجتاز الذين عاشوا مجرد عينة من الدينونة ، ثم حملوا معهم الخطية القديمة إلى العالم الجديد كأنهم يقيمون الدليل على أنه لا يعالج الحالة إلا الموت التام والميلاد الجديد .

عدد ١٤ : ينبر اسم « الفلك » ومظهره على الغرض المحدد له ــ (فاسمه يعنى صندوقا لا سفينة) وهو أن يقدم حماية وتواجدا منظما لمجموعة مختلفة من الخلائق . ومن هنا كانت الحاجة إلى الثلاثة طوابق . وبحسب النص حجرات أو كبائن أو بحسب اللفظ المدهش الذى يعنى « أوكار » أو أعشاش . ولكن ربما يمكن أن تنطق الكلمة qinnum هكذا qanim . والأولى تعنى أعشاش ، والثانية تعنى الغاب : « من الغاب تصنع الفلك » وهذا يجعل العبرية جملة أيسر . ويرى بعض محبذى هذه القراءة بأنهم يستعينون بأسلوب وارد فى ملاحم جلجاميش التى فيها معبرة شهيرة من الغاب . ويرون أن الرأى ذات معنى عندما يتصورون عمله من الغاب فى كلا تربيط هيكلها معا ، أو حشو

ما بين أجزائه بالقار ، عملية أشبه بصنع القوارب من البردى فى النيل والفرات حتى هذا اليوم . وهذا الغاب متوفر وسهل الاستخدام . والمثال الآخر الوحيد لـ reba فى الكتاب فى خر ٢ مصنوع من القش والقار .

لا يوجد شيء مؤكد عن « خشب جفر » ـ اسم خشب موجود هنا فقط فى الكتاب . إن ترجمة السبعينية للكلمة بأنها « عروق خشب المبانى » مجرد تخمين ، وتخمين آخر شبه معقول أنه « خشب السرو » .. وكلا الاسم والفعل الدالين على القار (k-p-r) يبدو أنهما متعلقان بالكلمة العبرية التى تعنى الكفارة ـ كَفَّر وهذا جناس (يناسب جدا قصة الدينونة والخلاص) لأن كلا الكلمتين ربما لهما معنى مشترك أساسى هو « غطَّى »[1]

عدد ١٥ : حجم الفلك عظيم (الذراع = ١٨ بوصة) ولكن الشكل بسيط ، وبناء مثل هذا الحجم لم يكن غير معروف فى القديم . ولا يحتاج إلى التعويم . وقد فسر أوغسطينوس تناسب الفلك رمزيا بأنه يشبه ويناسب جسم الإنسان[2] فهو يماثل الكفن . وبهذا يشبه صناديق الأكفان المصرية . والـ reba الوحيد الآخر فى العهد القديم كان من أجل الطفل موسى حيث أسلم للموت فعبر إلى الحياة .

عدد ١٦ : والكلمة المترجمة « كوة » هى كلمة نادرة وردت فى الترجمات الأخرى بمعنى : سقف أو نافذة أو ضوء . وفى جميع الحالات تكون فوق قمة البناء . ومعنى « وتكمله إلى حد ذراع من فوق » غامض وربما المقصود أن تترك فتحة بهذا العمق قرب السطح ، كما هو الحال فى بعض مبانى الشرق الأدنى القديمة ، وربما على شكل دائرى حول الفلك .

أما « الباب » فعلى جانب كبير من الأهمية سواء من الوجهة الحرفية أو الرمزية . (قارن ٧ : ١٦) . وقد استخدم الرب يسوع كناية « باب الخراف » (يو ١٠ : ١ ـ ٩) . وقد أغرت الطوابق الثلاثة ـ للرمزيين بالبحث . ولكنها تعبر بشكل واضح عن اهتمام الله بالنظام والتمايز .

عدد ١٧ : ضمير المتكلم المعبر عن الله ، مؤكد توكيدا يبين أن كلا الدينونة

---

(١) « يكفر » قد تأتى ، بالرغم من ذلك ، من كلمة أكادية تعنى « يمحو » فإن صح هذا فإن الكلمتين المشتقتين من k-p-r يحتمل أن لا علاقة بينهما .

(٢) مدينة الله ١٥ : ٢٦ .

والعهد أساسهما الرب . ويردد مز ٢٩ : ١٠ سلطان الله على الطوفان ، « الرب بالطوفان جلس » ويستخدم للتعبير عن الطوفان كلمة **mabbul** التى اقتصرت على هذه الأصحاحات (فى تك) ومز ٢٩ . وربما تكون لفظا يصور « المياه .. التى فوق الجلد » وكأنها محيط فى السماء . وعلى أى حال هذه الطريقة للتعبير مستخدمة فى ٧ : ١١ حيث تنبر بشدة على خطورة الدينونة كحدث كونى وكمقلوب لعملية الخليقة المنصوص عنها فى ١ : ٧ .

عدد ١٨ : هذا هو أول ذكر للعهد فى الكتاب المقدس ، والخلاص هو نقطة البداية فيه (مثل العهد الموسوى خر ١٩ : ٤ و ٥ ، والعهد الجديد مت ٢٦ : ٢٨) على أنه يؤكد لنوح شيئا أكثر بكثير من نجاته بنفسه . فإنه يذهب إلى الفلك ليس كمجرد شخص نجى من الموت ، ولكن كحامل لعهد الله من أجل جيل جديد . وسيأتى كشف محتويات العهد فى ص ٩ ، ويشمل كل من معه ، ولكنه حاليا موجه إلى الإنسان الواحد الذى عن طريقه يخلص الكثيرون ، وتتضح هنا مشيئة الله لخلاص الأسرة مع رأسها ، (قارن ١ كو ٧ : ١٤) ، على أنها تنتظر الاستجابة من الناس . فسنرى رفضا لذات المشيئة فى ١٩ : ١٢ — ١٤ .

العددان ١٩ و ٢٠ : كانت القاعدة أخذ زوج من كل نوع ، والتفاصيل الأخرى لم تأت بعد التى تفيد بأن الحيوانات الصالحة للذبيحة التى دخلت سبعات (٧ : ٢) والتى منها زوج لحفظ النوع (٧ : ٨ و ٩) . إن الاهتمام هنا بالقاعدة وليس بالاستثناء[1] .

عدد ٢٢ : تعبر طاعة نوح الكاملة عن كمال الإيمان ، وهذا هو الأمر الذى يعتبر ذات مغزى فى نظر عب ١١ : ٧ . وهو أمر ذو مغزى أيضا أن يعطى الله عملا مصيريا إلى هذا الحد لإنسان وليس لملاك ولإنسان واحد ليقوم بكل ذلك ، وهذا يوافق بما عمله فى الخلاص الأعظم « بإطاعة — الواحد » (رو ٥ : ١٩) . إن المبادأة بجملتها من الله : ومن ثم نجد تكرار كلمات « أمر الله » (قارن ٧ : ٥ و ٩ و ١٦) . وكانت النتيجة المترتبة على ذلك « ذكر الله » (٨ : ١) .

---

(١) إنه لأمر بلا مبرر أن يعتبر الاستثناء فى (٧ : ٢) كمناقضة كما يفعلون أحيانا . فتجهيزات خيوانات إضافية من أجل الذبيحة لا تتعارض مع مطلب اثنين لأجل التكاثر . انظر الملاحظة الإضافية عن الطوفان الفقرة (جـ) .

الأصحـاح السابـع

أعداد ١ ــ ٥ : الأمر بالدخول إلى الفلك :

إن سبب الإسهاب فى إعطاء التعليمات (٦ : ١٨ وما بعده) وتكرار القول ثالثة عن تحقيقها (ع ٨ و ٩) هو لتأكيد عناية الله واقتراب الكارثة . فقد كان الترديد مقصودا وله أثره البالغ .

عدد ١ : أمر الرب « بالدخول » إلى الفلك (ع ٧) على أن الجدير بالملاحظة هو أن الأمر جاء له فى العبارة « أنت وجميع بيتك » مع الإيضاح « إياك (وليس إياكم) رأيت بارا » (قارن التفسير على ٦ : ١٨) .

عدد ٤ : هناك إصرار ولكن بلا تعجل « بعد سبعة أيام » ــ زمن من أجل إنهاء كل العمل ولكن لا تأجيل لشىء . فى رؤى النهاية (دا ٩ : ٢٧) ربما قصد برمز السبعة أيام أو سنين الأخيرة ، وربما قصد بقصرها أن يخطر ببالنا أول إغلاق ليوم النعمة .

عدد ٥ : انظر التفسير على ٦ :٢٢ .

أعداد ٦ ــ ٢٤ : الطوفان المنتظر :

عدد ٩ : « اثنان اثنان » انظر التفسير على ٦ : ١٩ و ٢٠ .

عدد ١١ : إن التاريخ المحدد للطوفان حقيقة وليس رمزا وهو حقيقة واضحة نتذكرها جيدا يؤكدها ما ذكر عن تفاصيل دقيقة عن تاريخه فى القصة . وهذا ما يميز كتابة الكتاب المقدس التى تربط المحليات بالكونيات : قارن تقديم تاريخ مضبوط فى لو ٣ : ١ و ٢ عن عصر الإنجيل . ونستطيع أن نستنتج من العبارة عن « ينابيع الغمر العظيم و .. طاقات السماء » ، حدوث تقبب هائل لقاع البحر ، مع سقوط مطر وابل . ولكن التعبيرات تتعمد إعادتنا إلى ما جاء فى الأصحاح الأول : فإن المياه التى فوق الجلد والمياه التى تحت الجلد ، قد اندمجتا معا فى عمل عكسى للخليقة ويعيد الخراب .

عدد ١٢ : لتفسير الأربعين يوما انظر الملاحظة الإضافية عن الطوفان فقرة (جـ) .

عدد ١٣ : بالرغم من مثال لامك الذى مر ذكره (٤ : ١٩) وبالرغم

من الانحدار الأدبي العام فقد كان لكل من نوح وبنيه زوجة واحدة . فقد كان عدد كل الأسرة ثمانية أفراد (١ بط ٣ : ٢٠) . وأول ذكر لتعدد الزوجات بين الصالحين كان فى قصة إبراهيم .

عدد ١٦ : « وأغلق الرب عليه » : فى التعبير بيان جميل للّمسة الأبوية الإلهية حتى عند وشوك الدينونة . وذات الرعاية التى اهتمت بهذا الأمر تتمم خلاصنا إلى نهايته .

أعداد ١٩ ــ ٢٤ : هذه الأعداد فى حد ذاتها لا تقدم قولا فصلا بالنسبة لموضوع طوفان محلى سواء بالتأييد أو النقض (انظر الملاحظة الإضافية عن الطوفان الفقرة (أ) ، وحتى « كل السماء » (ع ١٩) يحتمل أن تكون تعبيرا عما يظهر (يستخدم بولس حديثا مشابها فى التعميم فى كو ١ : ٢٣) . إن مهمة القصة هى تسجيل الدينونة التى جرها الإنسان على كل العالم ، وليس الهدف التوسع فى الكلام عن الجغرافيا . وكون كلمة عبرية واحدة فى استخدامها العادى يمكن أن تستخدم بمعنى « بلاد » ، أو « الأرض » يوجهنا للاهتمام العملى وليس النظرى .

عدد ٢٠ : « خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع » تشير إلى ارتفاع المياه فوق الجبال وليس هذا كل عمق المياه . ويحتمل (حسب رأى البعض) أن يكون ذلك القياس من غاطس الفلك المحمَّل (نصف ارتفاع الفلك ذاته وهو ثلاثون ذراعا) والذى لم يصطدم بعقبات . وربما تلزم الإشارة إلى أن بعض الكتاب الذين يعتبرون الطوفان شاملا كل الكرة الأرضية، يظنون أن سلاسل الجبال الرئيسية لم تكن قد ظهرت بعد فى العالم الذى كان قبل الطوفان .

عدد ٢٢ : تفسيراً لمعنى نسمة انظر الحاشية على ٢ : ٧ .

الأصحاح الثامن

أعداد ١ ــ ١٤ : هبوط الطوفان :

عدد ١ : عندما يقول العهد القديم « ذكر الله » فإنه يجمع بين الفكرتين المحبة الأمينة (قارن إر ٢ : ٢ ، ٣١ : ٢٠) والتداخل الوقتى : « دائما يتضمن تذكر الله حركته تجاه موضوع ذاكرته » (قارن ١٩ : ٢٩ ، خر ٢ : ٢٤ ، لو ١ : ٥٤ و ٥٥) .

عدد ٤ : جبل أراراط ذاته ارتفاعه ١٧٠٠٠ قدما ، ولكن السجل لا يقول أكثر من « على جبال أراراط » (أو تلال أراراط) أى فى مكان ما فى البلاد التى بهذا الاسم ، ويظن أن هذا هو [أورارتو urartu] أرض جبلية شمال بين النهرين بقرب بحيرة فان .

عدد ٦ : الكلمة المترجمة « طاقة » ليست الكلمة النادرة المستخدمة فى ٦ : ١٦ ، ومعنى الكلمة هنا واضح .

أعدد ٧ ــ ١٢ : الارجح أن نفسر ما ورد عن الغراب والحمامة على اعتباره مثل . وفى الحقيقة عندما اتخذ الروح القدس هيئة حمامة ، فربما كان يشير إلى هذه القصة بما يفيد الحساسية والتمييز فى بشير الخليقة الجديدة (هذا ، فضلا عن السلام ، الذى نراه فى ورقة الزيتون ع ١١) ، والمرشد للذين ينتظرونه . أما الغراب فبالعكس لم يكن بشيرا لأى شيء إذ كان قانعا بالرمم ، وعدم تمكنه من العودة قطع الأخبار مثل ديماس (٢ تى ٤ : ١٠) بالنسبة لأحوال المجتمع .

ونتج عن ذلك ، كما يقول فون راد[1] « ما يغرينا لنشاهد أولئك المحبوسين فى الفلك ينتظرون ويرجون » . ثم تفتق ذهن نوح عن فكرة ظهرت فى ع ١٣ و ١٤ لكن الأهم من ذلك ترويضه للنفس فى انتظار الزمن المحدد من الله وكلمة منه .

---

(١) تك صفحة ١١٧ .

٥ ــ التجديد وإعادة العمران (٨ : ١٥ ــ ١٠ : ٣٢)

أعداد ١٥ ــ ١٩ : المهمة الجديدة :

لازال نوح هو الشخص الذى يتعامل الله معه . وقد تركز فيه كل مشروع الخلاص ، فإن أولاده منتفعون بالمشروع ولكنهم غير مشاركين فيه حتى ص ٩ وتقريبا مثل آدم ثان (٩ : ١) يدخل إلى دنيا عذراء غسلتها ونظفتها الدينونة ، ويظهر الخلاص عن طريق الفلك كمجرد بادرة للخلاص الأصيل ، الذى هو الخليقة الجديدة . ويرى العهد الجديد الطوفان كتوأم للمعمودية من حيث كونهما تعبيرين عن هذه الحقيقة (١ بط ٣ : ١٨ ــ ٢٢) أى إعداد طريقة للحياة عن طريق الموت .

أعداد ٢٠ ــ ٢٢ : الذبيحة المقبولة :

عدد ٢٠ : يستحضر ملاخى ٤ : ٢ صورة الفرح النفسى للخروج من الأسر . ولكن أول ما فكر فيه نوح هو الاتجاه إلى الله . وفى « المحرقات » تعبير عن الولاء والتكريس والكفارة جميعا ، أن تكون الأرض الجديدة لله ، إذا شاء الله أن تكون له .

عدد ٢١ : أسلوب التعبير عن « رائحة الرضا » أسلوب جرىء جدا . إذ أنه يتحدى الرواية البابلية الفجة التى تنسب إنهاء الطوفان إلى شره الإلهة وحاجتها إلى ذبائح البشر . وذلك أن العهد القديم لا يخشى أن يقدم انطباعا مثل (مز ٥٠ : ٨ ــ ١٥) فى أسلوب بليغ يلذ للعهد الجديد أن يردده (أف ٥ : ٢) .

وبحسب نحو اللغة العبرية يجوز أن يعتبر التعبير « لأن تصور قلب الإنسان » متعلقا بالجملة « من أجلِ الإنسان » .. ويمكن أن يكون متعلقا بالسبب الذى من أجله لن يحدث ذلك مرة أخرى . لاهوتيا يجب أن يؤخذ الاعتبار الأول ، أن قرار الله بألا يعيد هذه الدينونة ، مبنى على الذبيحة المقبولة (قارن ١ صم ٢٦ : ١٩ ، كو ١ : ٢٠) وليس على عدم قابلية إصلاح الإنسان ، التى كانت ذات سبب للدينونة (٦ : ٥ ــ ٧) بل ولا زالت تستوجبها من جديد ، ولا يمكن أن تكون فى صالح الإنسان . وقد يبدو من هذا أن سهولة التكفير عن خطايا وشر الإنسان أمام الله ، إلا أن هذا مرجعه من ناحية إلى

بساطة الأسلوب ، ومن ناحية أخرى إلى محدودية ذبائح العهد القديم « التى لا يمكن أن ترفع خطايا » . إن الكفارة الحقيقية التى فى ذهن الله هى ذبيحة يسوع (رو ٣ : ٢٥ و ٢٦) .

عدد ٢٢ : ويقدم الله ضمانا إلى أبعد من ع٢١ — ضمانا لا يزيل المصائب ، ولكن يجعل لها حدودا بحيث يمكن للأسرة الإنسانية أن تتغلب عليها بتدبير سابق ، مثل ما فعل يوسف ؛ أو بالتعاطف ، كما فعل بولس (٢ كو ٨ : ١٤) .

ملاحظة إضافية عن الطوفان

(أ) مدى الطوفان وتاريخه التقريبى :

لو لم يكن لدينا أى دليل مادى عن التاريخ القديم للأرض والتوزيع البدائى للبشر فإن هذا سيوقفنا أمام معضلة بلا حل بالنسبة لبعض التعبيرات ، أنفهمها بمعناها الحديث أم القديم — تعبيرات مثل « الأرض » « جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء » « كل ذى جسد » (تك ٧ : ١٩ و ٢١)[1] . إن المعلومات الجيولوجية التى كان يعتقد أنها تؤيد بشدة حدوث الطوفان فى كل العالم بدأت تتضاءل بحسب رأى معظم العلماء ولم يبق إلا بعض الشكوك المعقولة جداً (مع أن البعض يجادلون فى ذلك) حول كون الأحداث فى تك ص٦ — ٨ لابد أنها حدثت فى مساحة محددة ولو أنها شاسعة ، لكنها لا تشمل كل الكرة الأرضية بل حدثت فى مسرح القصة البشرية فى الأصحاحات السابقة . ويحددها البعض بمنطقة ما بين النهرين ، وآخرون يتصورون منطقة أوسع وبالتأكيد يوجد مجال لاستقصاء أبعد .

ولكن يظهر أيضا ، من الشتات ومن التاريخ المتفق عليه بالنسبة للآثار البشرية ، أن بعض سلالات البشر كانت قد استقرت فى أقطار أبعد من آفاق العهد القديم منذ العصر الحجرى Palaeolithcage ، وما لم نوسع العالم المأهول قبل الطوفان ليشمل مجاورات ما بين النهرين ، أو ما لم تدعو الحاجة

---

(١) من أمثلة الرأى الثانى « كل وجه الأرض ... كل الأقطار .. كل الأرض .. فى ٤١ : ٥٦ و ٥٧ ، وكلمات بولس فى كو ١ : ٢٣ « الإنجيل .. المكروز به فى كل الخليقة التى تحت السماء » قارن أيضا أع ٢ : ٥ (كل أمة تحت السماء) بالمقابلة بالقائمة فى اع ٢ : ٩ — ١١ .

إلى إعادة تفسير فعال لأدلة دراسة العصر الحجرى ، فإن نتيجة ذلك على ما يبدو هى أن إبادة الحياة ـــ بإغراق الأرض ـــ كانت كاملة نسبيا وليس بالمعنى المطلق ، ونقصد بكلمة « نسبى » ، مقدار المساحة التى يهتم بها العهد القديم مباشرة . وعلى حد قول برنارد رام : « إن السجل لا يؤيد ولا ينفى أن الإنسان كان موجودا خارج وادى بين النهرين . وبالتأكيد لم يكن نوح كارزا للبر بين شعوب أفريقيا والهند والصين وأمريكا ـــ وهى أماكن تدل الدلائل على أنه وجد فيها الإنسان قبل الطوفان بآلاف كثيرة من السنين .. إن التنبير فى سفر التكوين هو على مجموعة الحضارات التى أتى منها إبراهيم أخيرا . فإذا صح هذا ، لكان أسلوب هذه القصة فى الحقيقة هو أسلوب الحياة العادية اليومية المستخدم فى الكتاب المقدس الذى يصف الأمور من وجهة النظر المفضلة لدى الراوى وفى الاطار المعهود بالنسبة لقرائه . انظر أيضا التفسير على ٧ : ١٩ ـــ ٢٤ .

وسواء كان هذا هو التقدير الصحيح للدليل أم لا ، فيجب أن نحترس لنقرأ القصة بكل إمعان وبحسب ما جاء فى عباراتها التى تصف دينونة « شاملة » على العالم الشرير الذى وصفه لنا سفر التكوين من قبل ـــ ليس كحدث له أبعاده غير المتفق عليها فى عالم نحاول أن نبنيه . لقد أطاح الفيضان بالحياة كلها ويطلب منا العهد الجديد أن نتعلم من هذا الحادث عن الدينونة الأعظم التى تنتظر ليس فقط كل الكرة الأرضية بل الكون كله (٢ بط ٣ : ٥ ـــ ٧) .

إن الأنساب المسجلة فى تك ٥ ، ١١ ، لا تصلح لوضع تاريخ للطوفان (حيث أنها موضوع اختلاف تفسيرى .. قارن الملاحظة الإضافية على الأصحاح الخامس) . والدليل الرئيسى الوحيد الكتابى لتاريخ الطوفان هو كون الأمم فى الأصحاح العاشر تناسلوا من أولاد نوح . ويبدو أن هذا ينطوى على تاريخ مبكر جدا حقيقة بضعة آلاف من السنين قبل الطوفانات البابلية التى كانت حوالى ٣٠٠٠ ق . م والتى تركت آثارا طبيعية فى أزمنة مختلفة عند أور وشوربّك ، وقيش وأماكن أخرى . أما أى محاولة لوضع تاريخ أكثر تحديدا فسيكون مجرد تخمين .

(ب) قصص الطوفان خارج الكتاب المقدس :

توجد فى معظم أجزاء العالم قصص عن طوفان عظيم ـــ من أوربا إلى البحار الجنوبية ومن الأمريكتين إلى الشرق الأقصى . وتندر هذه القصص بصورة

ملحوظة فى أفريقيا فقط .

وتذكرنا التفاصيل المتناثرة فى هذه القصص بطوفان نوح بدرجات متفاوتة . فها طوفان يرسله الغضب الإلهى ، ويحذر منه رجل واحد . فى القصة اليونانية كانت سفينة ديوكاليون مثل سفينة نوح ، فلك (ولو أنها لم تكن فى ذات ضخامة فلك نوح) ومثلها استقرت أخيرا على جبل . وتروى قصص هنود أمريكا الشمالية عن نقل ازواج من الحيوانات على متن عوامة وعن إرسال طيور كوسيلة استكشاف . ومن المعقول أن نفتكر أن بعض ذكريات طوفان نوح قد ذهبت إلى بقاع بعيدة عن طريق انتشار أحفاده فى دوائر بعيدة ، إلا أنه يجب أن نذكر أن الطوفانات ليست أندر الكوارث وأن اختبارات الناجين منها تتشابه كثيرا . وأن أوجه الشبه المعينة بين قصة سفر التكوين ومعظم القصص الأخرى تفوقها فى الأهمية الاختلافات ، وأن الأسطورة البابلية فقط هى التى بها مشابهات قريبة من قصة نوح .

وهناك عدة روايات لهذا التقليد البابلى[1] ، وفيها أطلق على البطل عدة أسماء مثل زِيُوسودْرَا ، أوتنابشتم ، وأتراهازس (أسماء عن موضوع الحياة والحكمة ؛ أما اسم نوح فمشتق من « الراحة ») . قضى مجلس الآلهة بالطوفان باعتباره لابد مما ليس منه بد ، بحسب رواية أتراهازس ، لكى يخرسوا عربدة الإنسان حتى تستطيع السماء أن تنام قليلا . إلا أن إلها انشق على المجلس وحذر البطل وهو أحد عابديه لكى يبنى لنفسه سفينة ، على أن يحتفظ بهذا سرا مسكتا كل متسائل بقصة مطمئنة .

والسفينة البابلية من سبعة طوابق فى شكل مكعب طول ضلعه ١٢٠ ذراعا ، وقد استخدم القار ليجعلها منيعة ضد الماء ، وذودت بالمال والمؤن ثم نزلت بها أسرة البطل مع الحيوانات والفنيين . ثم هبت العاصفة بعنف جعل حتى الآلهة أنفسهم فى فزع مما فعلوا . وبعد سبعة أيام فتح البطل طاقة أخيرا لكى يرى الأرض من على بعد . ثم استقرت السفينة على جبل « نِصِير » وبعد سبعة أيام أخرى أرسل ثلاثة طيور واحدا بعد الآخر الأول والثانى كانا حمامة وعصفورا وقد عادا ولكن الثالث وكان غرابا إذ وجد أن المياه قد قلت لم يعد .

---

(١) انظر الحاشية الأولى للمقدمة .

فنزل البطل إلى البر وقدم ذبيحة للآلهة التى كانت جائعة فى ذلك الوقت لعدم تقديم الذبائح . لذلك « تنسمت الآلهة رائحة الرضا واجتمعت الآلهة كالذباب حول الذبائح » وتعلمت السماء الدرس ، وانتهرت المحرض الرئيسى للفتنة ، ولكى يصحح ما وقع فيه من خطأ منح الألوهية لبطل الطوفان .

هناك إجماع على أن هذه القصص تافهة ومخجلة بالمقارنة مع سفر التكوين . وحتى الأمور العرضية مثل الشكل المكعبى للفلك ، وتتابع الطيور لا يمكن تقبلها بالمقارنة بالتكوين . فكم بالحرى التخبط اللاهوتى من سخافة إلى أخرى . وتختلف الآراء بالنسبة للعلاقة التى تربط قصة بأخرى . والرأى الغالب أن رواية بابلية وقد كتبت ونقحت قبل موسى عدة مرات عبر القرون لاشك كانت هى المادة الخام التى وصلت إلى صورتها النهائية فى سفر التكوين(1) . ويدعون أن التركيبة بابلية وحتى كلمة « قار » فى ٦ : ١٤ لا توجد إلاّ هنا والكلمة العبرية هى المقابل للكلمة البابلية فى قصيدة جلجاموش .

ولكن هناك رأيا آخر هو أن لكلا الروايتين أصل واحد لكن التكوين أورده بأمانة ، وأما الرواية البابلية فأفسدته . ويدعم هذا الرأى أن سفر التكوين يروى قصة أبسط وأكثر ترابطا إن كنا نقبل أن خلف هذه القصص أحداثا حقيقية قد حدثت . أما الأدلة المضادة لهذا الرأى فهى غير نهائية أو حاسمة ، فإن موقع ما بين النهرين هو ما يثبته الكتاب المقدس ذاته عن هذه الفترة الزمنية (قارن ١١ : ٢ و ٢٨) والكلمة المترجمة « قار » Koper (قارن البابلية Kupru) هى إحدى ثلاث مرادفات عبرية منها الأخريان يردان ثلاث مرات فقط فى العهد القديم — وهى إحصائية أضأل من أن يبنى عليها سند ضد قصة التكوين . ويبقى بعد ذلك أن أسرة متسقة معروف عنها حرصها الشديد على تقاليدها لدرجة أن تبقى على أنسابها من سام إلى موسى — يليق بها أن تقدم لنا فى سجلها حادثة تستحق أن تذكر .

(جـ) التحليل الوثائقى لقصة الطوفان :

يستعرض النقاد فنون نقدهم فى تلك ص ٦ — ٨ وقد استخدموا هذا الجزء

---

(١) هذا الرأى يجعل سفر التكوين كشهادة للأحداث الأصلية أقل قيمة كسند يعتمد عليه من الرواية البابلية — ذلك مهما كانت لسفر التكوين مآثر أخرى ! .

مثالا كتاب مدرسى عن فن تقصى الكتابة وتفسير التراكيب القصصية . ويقولون بوجود تقليدين هنا هما اليهوى (J) ، والكهنوتى (P) ويعتبران متنافران لدرجة الحاجة إلى معاملة منفصلة لكل منهما . هكذا يقول معظم المفسرين المحدثين . وعادة يقدمون النقاط الآتية :

أولا – يقول اليهوى بوجود سبعات من الحيوانات الطاهرة والطيور الطاهرة ، ومثنى من غير الطاهرة بينما الكهنوتى لا يوجد هذا التمييز .

ثانيا – ينسب اليهوى الطوفان إلى مطر وابل ، بينما الكهنوتى ينسبه إلى مياه من الغمر العظيم وطاقات السماء .

ثالثا – استمر الطوفان فى الوثيقة اليهودية مدة أربعين يوما يضاف إليها مدة الثلاثة أسابيع التى أرسلت فيها الطيور أما فى الكهنوتى فمدة الطوفان سنة وعشرة أيام .

رابعا – إن التكرار والأسلوب الخداعى يناقضان وجود مصدرين ومن الممكن الرد على كل من هذه الافتراضات .

١ ــ فى الواقع يمكن أن تكون مسألة السبعات والأزواج مجرد أسلوب ، فيه ميّز الرشاقة فى الكتابة على الملل فى السرد ، ذلك أن رواية تضيف العبارات الوصفية دائما سرعان ما تصبح غير محتملة ــ والتعبير المشهور « اثنين اثنين » هو ارشاد لنوح فيما يختص باستبقاء الحياة ، وهذا كان قد حسم فى ٦ : ١٩ و ٢٠ والاستثناء للحيوانات الطاهرة فى ٧ : ٢ و ٣ ، أما إعادة ذكر الاستثناء فى عددى ٩ و ١٥ فسيفسد صياغة القصة . (إن الجملة الاعتراضية « اثنين اثنين » فى ٧ : ٩ سببت ارتباكا لتحليل القصة انظر الرد رقم ٤ فيما يلى) . لذلك فالسكوت لا يثبت شيئا سوى ذوق الكاتب الإنشائى .

٢ ــ لا يعتبر أمرا زائدا عن الحد أن ترد ثلاثة تعبيرات عن اكتساح الطوفان . فبدون وجود فرض سابق عن ازدواج الوثائق لا توجد قضية تناقش هنا . ومع ذلك فانظر مناقشة المفردات والتكرار تحت ٤ .

٣ ــ انقطع من الجدول الزمنى مدة أربعين يوما من المجموع (٧ : ١٢ ، ٨ : ٦) وتخفيض الزمن إلى فترة واحدة ثم زيدت ثلاثة أسابيع (٨ : ٦ ــ ١٢) فصار مجموعهما ٦١ يوما (والذى يمكننا أن ندعوه الطوفان الأقصر) ،

مقابل السنة وعشرة أيام التى هى كل المدة ونسبوهما إلى اليهوى J والكهنوتى P [1] على أن التوقيت على ما هو عليه يحتوى على صعوبة واحدة وهى علاقة الأربعين يوما فى ٧ : ١٢ و ١٧ بالـ ١٥٠ يوما فى ٧ : ٢٤ ، وهذه ليست صعبة الحل . وقد يكون هايدل Heidel على صواب فى رأيه بأن الأربعين يوما قد تبعها تخفيف للمياه (خاصة) التى من فوق ، ولكن لم تتوقف المياه حتى نهاية الـ ١٥٠ يوما ، ولكن ربما الأرجح رأى أ . كاسوتو Cassuto وإ . نيلسن Nielsen (كل على حدة) — بأن ص ٧ ، فى أسلوب سامى حقيقى ، قد أحاط بالطور الأول أى الأربعين يوما وتأثيراتها الدائمة — بتلخيص مدتها (١٥٠ يوما) وبعدئذ ص ٨ يصف الطور الثانى ، طور الخلاص مبتدأ من بداءته المنطقية بتوقف تدفق المياه مدة الـ ٤٠ يوما (٨ : ٢) ، ولكن بملاحظة الفترة المتوسطة التى انقضت قبل رسو الفلك (٨ : ٣) . (انظر الحاشية على [١٢ : ١ — ٩] من تداخل الفقرة السابقة مع لاحقتها) .

وتريك القائمة الزمنية الآتية — التوافق الذاتى فى السجل . من ٨ : ٣ و ٤ يظهر أن الشهر معتبر ثلاثين يوما ، وربما تفيد ٨ : ١٠ « سبعة أيام أخرى » فترة أسبوع بين ٨ : ٧ و ٨ .

---

(١) الأربعون يوما فى ٧ : ١٧ تعقد التحليل وقد نسبوها إلى منقح . عن هذا الرأى الغريب انظر ٤ أدناه .

الشواهد فى تلك	الأحداث	التواريخ (بالنسبة لحياة نوح)
٧ : ١١	بدء الطوفان	١٧ / ٢ / ٦٠٠
٧ : ١٢ (قارن ١٧)	الطوفان حتى اليوم الأربعين	٢٦ / ٣ / ٦٠٠
٧ : ٢٤ (قارن ٨:٣)	الطوفان حتى اليوم الـ ١٥٠	١٦ / ٧ / ٦٠٠
٨ : ٤	استقرار الفلك على الجبل	١٧ / ٧ / ٦٠٠
٨ : ٥	ظهور قمم الجبال	١ / ١٠ / ٦٠٠
٨ : ٦ و ٧	إرسال الغراب	١٠ / ١١ / ٦٠٠
٨ : ٨	ارسال الحمامة	١٧ / ١١ / ٦٠٠
٨ : ١٠ و ١١	الحمامة والورقة	٢٤ / ١١ / ٦٠٠
٨ : ١٢	الحمامة تفارق الفلك	١ / ١٢ / ٦٠٠
٨ : ١٣	ظهور اليابسة	١ / ١ / ٦٠١
٨ : ١٤ ــ الخ	النزول إلى البر	٢٧ / ٢ / ٦٠١

وليس من المبالغة فى شيء أن نقول مع هايدل بأنه « لا يوجد هنا أى تناقض » .

٤ ــ يظهر ضعف الدليل المبنى على وجود تعبيرات نمطية فى كل من J ، P ووجود التكرار ــ من وجود اختلافات كثيرة ــ ولنأخذ مثلا محددا ٧ : ٧ ــ ٩ . فأول عبارة فيها « نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه » وهى من خصائص أسلوب P. (قارن ٦ : ١٨) ، ضدا للعبارة « أنت وجميع بيتك » (٧ : ١) التى هى أسلوب J البسيط . على أن الجميع أجمعوا على أن تلك العبارة (أى فى ٧ : ٧) من J . وإذ كان هذا حرجا للبعض مثل (سكنر) حاول أن يعلل الأمر بأن ربما تغير الأصل أو أن هذه العبارة مجرد حشو . كذلك فى العددين التاليين ، يرد فى عبارة (J) عن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة (وهذا التمييز ما كان (P) ليورده قبل سيناء) ، متبوعة بألفاظ من خصائص أسلوب (P) بما فيها « اثنان اثنان » ، و « ذكرا وأنثى » ؛ وهذا ضدا لأسلوب (J) الذى يرد حرفيا عن « رجل وامرأته » ــ ثم استعمال « الوهيم » فماذا ترك لـ (J) من خصائص أسلوبه ، لدرجة أن المرء ليعجب كيف ينسبون هذا الفصل إلى (J) على الإطلاق !؟ والجواب

ببساطة لأنها تكرار للأعداد ١٣ ـــ ١٦ التى تنتمى إلى (P) . وفى عرفهم أن التكرار لا يمكن أن يحدث فى مصدر واحد . فهذا مقياس نعرف إن كانت القصة مركبة . وهكذا يقع المحلل بين حجرى رحى اللذين هما المفردات والتكرار . ومهربه الوحيد هو استنتاج تدخل محرر يكتب فى أسلوب (P) على أن هذا معناه التخلى عن المنظور من أجل غير المنظور . ولنسمع حكم نيلسن Nielsen فى هذه المسألة بأن نظرية الوثائق « تصدق فقط عندما يصادف أنها تتعارض مع افتراضاتها هى ذاتها » ، ثم يضيف بسخرية ما يبررها بأنه « يلزم للمرء بأن يحمل فى كُمِّهِ محررا جاهزا لكى ينسب إليه ما يريد » .

ولنعد من هذه التمرينات إلى القصة ذاتها ، فإنه بإمكاننا أن نقترح بأن ننتقل مما هو بعيد الاحتمال حقا إلى البساطة والحق بهوائهما النقى .

الأصحـاح التاسـع

أعداد ١ ــ ٧ : الأقضية الجديدة :

مع أنه توجد هنا أصداء لما كلف به الله آدم (ع ١ و ٧) فإن الخطية قد ألقت ظلمتها على المشهد . ولازالت صورة الله موجودة (ع ٦) ولازال الإنسان يقوم بعمله كوكيل عن الله ، ولكن نظامه يغلب عليه الخوف (ع ٢) ، ورفقاؤه من الخلائق قد أضحوا الآن طعامه (ع ٣) وسينتشر العنف فى الأرض (ع ٥ و ٦) .

العددان ٣ و ٤ : قد يكون السماح بأكل اللحوم مستحدثا أو لا يكون ، ربما كان معمولا به ضمنا (انظر التفسير من ١ : ٢٩ و ٣٠) لكنه قد صار الآن جليا ، وربما يكون الأرجح أن هذا الأمر وهب للإنسان أخيرا . والأمر المؤكد كتطور حديث هو ناموس « الدم » الأمر الذى له مغزى لاهوتى بعيد المرمى . فقد حدد حقوق الإنسان تجاه مخلوقات الله ، حيث أن حياتهم (ع ٤) ملك له وقد أكد الناموس الموسوى هذا مرارا وتكرارا (مثلا لا ٣ : ١٧ ، تث ١٢ : ١٥ و ١٦) ، وقد ساعد هذا البشر لكى يقدروا شأن استخدام الدم فى الذبيحة . ويمكن أن نرى كيف أن الدم ، من حيث كونه خاص بالله ، هو هبته الكفارية عن الخطاة ، وليست هبتهم له (لا ١٧ : ١١) .

العددان ٥ و ٦ : يتناول السفر موضوع قدسية الدم بتوسع ويخلد ذلك التعليم فى صيغة شعرية فى ع ٦ وقد حفظت لنا فى القول « سافك دم الإنسان ... » ونجد هنا ما هو أكثر من العقاب . فإن تنفيذ حكم الإعدام فى حيوان قتل إنسانا لا يجب أن يفسر بهذه الألفاظ مع أن هذا يصدق على القاتل . مفتاح المعنى فى ع ٦(ب) . ويفيد غرضا تعليميا مثل ع ٤ . إن كانت الحياة ككل ملك لله فبالأولى حياة الإنسان . ولازال لكلا الدرسين معناهما القوى ، مع أن (كما دللت فى مكان آخر)[1] ربما تختلف الوسائل لتقديم هذه التعاليم ، فالمرء لا يستطيع أن يدخل ع٦ فى سجل القوانين ما لم يكن مستعدا لضم عددى ٤ ، ٥ أ معه . ويجب أن يدافع عن عقوبة الإعدام على أسس أوسع .

---

(١) عقوبة الموت (نبذة فالكون C.P.A.S) سنة ١٩٦٣ ص ١٣ و ١٤ .

أعداد ٨ ــ ١٧ : العهد العام :

إن كنا نقرن علاقة بين ٦ : ١٨ وبين هذا الموضع ، فيتضح لنا اتساع هذا العهد بصورة ملحوظة (فإنه يشمل « كل حى ») ودوامه (إلى أجيال الدهر ، أبديا .. الخ) وسخاؤه ــ حيث أنه قدم بلا شروط ودون استحقاق وعلامته وختمه ، ككل يؤكدان إلى حد بعيد أن مبادأة الله لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى أبعادها .

ومثل هذه الافتتاحية لسلسلة العهود تلغى أى فكرة عن أن العهد قد يبنى على مساومة . وفى نفس الوقت فإن عدم وضع أى التزام على المستفيد[١] ، يوضح مدى غرابة هذا العهد بل ــ كما أوضح ج . مورى ــ يعتبر عهدا لا يستطيع أن ينتج أى علاقة عشرة لأنه « حيث تكون علاقة دينية فهناك تبادل النفع ، »[٢] ولا تبادل نفع هنا .

عدد ٨ : فى هذا الأصحاح يتحدث الله إلى كل الأسرة مباشرة وليس عن طريق نوح ، إنهم شركاء معه فى ميراث عهد جديد ، وكذلك كل الخلائق منتفعة معه .

العددان ١٢ و ١٣ : كانت العلامة مناسبة لتحقيق الهدف الأساسى منها وهو التأكيد والضمان ككل علامات العهود مثلما صارت علامة الختان فيما بعد (رو ٤ : ١١) كختم على عمل قد أنجز ، ولكن لا يعنى هذا أبدا أن العلامة تؤدى حتما للحصول على التبرير .

وهناك رأى جذاب بأن « القوس » يصور للبشر أن الله قد نحّى قوس حربه . فإن المؤكد أن كلمة واحدة مستعملة فى الأصل للقوسين ، كما فى شعر المزامير يصور البروق على أنها سهام الله (مز ١٨ : ١٤ قارن ٧ : ١٢ ، حب ٣ : ٩) ، ومع ذلك فإن كان هذا هو المعنى المقصود فإن المرء يتوقع أن يكون هذا التعبير أكثر شمولا . على أن روعة قوس القزح ، الواضحة بين السحب الداكنة ، يبينه بوضوح كعلامة نعمة ــ حتى دون التأمل فى أنه ناشىء من ارتباط بين الشمس والعواصف كما بين الرحمة والدينونة .

---

(١) يوجد التزام فى ع ٤ ــ ٦ ولكنها غير مرتبطة بالعهد .

(٢) عهد النعمة (مطبعة تندل ١٩٥٤ ص ١٧) .

وقد رأى حزقيال (١ : ٢٨) قوس القزح كأحد عناصر مجد الله ، وكذا يوحنا (رؤ ٤ : ٣ قارن ١٠ : ١) ، وربما كان ذلك كتذكر للوعد الأول للنعمة .

العددان ١٤ و ١٥ : لم يكن الوعد بأن يرى قوس القزح فى كل سحابة . ولكنه عندما يُرى يذكر الله عهده . تستعمل كلمة « يذكر » فى معناها العام وليس بالمعنى فى ٨ : ١ وتفيد النغمة العامة للفصل كله فى تناسب حاجتنا إلى إعادة الاطمئنان .

أعداد ١٨ ــ ٢٩ : مصير سام وحام ويافث :

تقدم العبارة الواردة فى ع ١٩ شمول ص ١٠ ، بينما الأعداد من ٢٠ ــ ٢٧ تعد للاختيار الوارد فى كل العهد القديم ابتداء من ١١ : ١٠ ويحفظ لنا الكتاب المقدس تأكيده على كلا الأمرين : على وحدة البشر كما تبين نبوات الأنبياء عن الأمم ؛ وعلى التخصيص فى داخل هذه الوحدة . أما الفرق العنصرى فقد ألغاه العهد الجديد « حيث ليس يونانى ويهودى .. بربرى سكيثى ، عبد ، حر ، بل المسيح الكل وفى الكل » (كو ٣ : ١١) . لذلك فأى ترتيب لدرجات الفروع البشرية بناء على ع ٢٥ ــ ٢٧ هو إعادة بناء ما أزاله الله ، كما فعل بطرس فى غلاطية وانتهره بولس من أجله (غل ٢ :١٨) انظر أيضاً تفسير ع ٢٥ .

وتسرد قصة سكر نوح بدون تفسير أخلاقى عن دوره هو فى هذا الموقف المخزى : كلمة « بدأ » (ع ٢٠) يمكن أن تعنى أن اللوم هنا يقع على عدم الخبرة ، وإن كان هذا غير أكيد[1] .

إن ما تتسم به قصة السكر الأولى الواردة فى الكتاب المقدس من عدم اللياقة والوقار ، تتسم بأسوأ منه القصة الثانية قصة لوط (١٩ : ٣٠ الخ) .

---

(١) ترجمت العبارة « كان نوح الفلاح الأول . وغرس كرما ... » ولا نوافق على هذه الترجمة . ربما تحتمل العبرية : « نوح الفلاح .. كان أول من غرس كرما » وحتى هذه نادرة الاستعمال بهذا التركيب .. والترجمة الحرفية هى « نوح ، رجل الأرض ، بدأ وزرع .. » المكان الوحيد الآخر الذى فيه ترد « بدأ ، و .. » فى عز ٣ : ٨ فى حين أنه من بين ٤٠ مرة « بدأ أن » ترد أربعة فقط (تك ١٠ : ٨ ، قض ١٠ : ١٨ ، ١ صم ١٤ : ٣٥ ، وربما ١ صم ٢٢ : ١٥) يمكن أن تترجم « كان أول من » هذا يتضح من درس تك ٦ : ١ ، ٤١ : ٥٤ ، عد ٢٥ : ١ الخ .

وليس هذا هو الجانب الوحيد (قارن ١٤ : ٢٦ ، مز ١٠٤ : ١٥ ، ام ٣١ : ٦ و٧) ، بل فى أم ٣١ : ٤ و٥ تعليق على الفصل الأخير ، زد على ذلك ما يدعمه من قول مهيب فى أم ٢٣ : ٢٩ — ٣٥ . لهذا كان لابد أن يحتاط الناموس للنذور فنهى عن استخدام الخمر .. كشهادة بدائية بسيطة (عدد ٦ : ١) ، ولكن حالات النذر هذه كانت دعوة خاصة (انظر أيضا إر ٣٥ ، لو ٧ : ٣٣ و ٣٤) . لكن السكر هنا موضوع عرضى ، إن موضوع القصة هو إفساد ميراث حام بسبب عقوقه وعدم حيائه . إنه فعل مخالف للوصية الخامسة الأمر الذى جعل مصير أمة يرتكز على ذات النقطة — إذ أن هذه الوصية ليست وصفة اجتماعية بل هى دعوة للاعتراف بالسلطان المخول له من الله ، وبذا ينال بركته .

عدد ٢٤ : « الصغير » — هذا هو المعنى الطبيعى للكلمة العبرية . وهذا ما يدعمه (١٠ : ٢١) وتجاور شعوب سام وحام وبعد موقع يافث فى كل عصور العهد القديم ، ربما هو الذى قاد إلى ترتيب الأسماء بحسب ع ١٨ الخ .

عدد ٢٥ : كون اللعنة قد وجهت إلى كنعان وهو أصغر أبناء المخطىء (١٠ : ٦) كان بدوره أصغر أولاد نوح — تعنى أن اللعنة لم توجه لحام نفسه بل إلى نسله . إنه بسبب عدم وفائه لأسرته فإن أسرته شخصيا ستضطرب . وبما أن اللعنة قد تحددت فى هذا الفرع من الحاميين ، فلذلك من يظن بأن نسل حام عموما قد قضى عليه بالانحطاط ، لم يقرأ العهد القديم ولا العهد الجديد . وكذلك يحتمل أن إخضاع الكنعانيين لإسرائيل تمم النبوة بالكفاية (قارن يش ٩ : ٢٣ ، ١ مل ٩ : ٢١) .

عدد ٢٦ : من بين الثلاث نبوات نجد النبوة الخاصة بسام فقط هى التى يرد فيها اسم الله « يهوه » (الرب) وتبدأ أهمية هذه الحقيقة من ١٢ : ١ ثم تسود كل العهد القديم (قارن تث ٤ : ٣٥) وحيث أن سام يعنى « اسم » فقد يكون من الطريف أن نرى فيها جناسا هنا . قارن التفسير على ع ٢٧ . ويبين النص الذى بين أيدينا « مبارك الرب إله سام » بأن سام ذاته فى عهد مع يهوه وأن البركة بجملتها فى ربه . ومع أن ترجمة أخرى أوردتها « مبارك سام من الرب إلهى » وذلك بنطق مختلف للكلمات يجعل سام نائل البركة مباشرة ، ولكن هذا البناء اللفظى للجملة رغم كونه أبسط ولكنه يحمل معنى

لا تؤيده الترجمات القديمة .

عدد ٢٧ : كذلك « يفتح » فيها جناس مع « يافث » (قارن التفسير على ع ٢٦) ؛ ومن الواضح أن النبوة تصادق على الصلاة التى قدمت عند ميلاده . وتقريبا لا جدوى من البحث فى العهد القديم عن إتمام للنبوة « فيسكن فى » (أو بين) « مساكن سام »[1] ولكن تبدو أمام أعيننا فى العهد الجديد فى شركة الأمم ومعظمهم من الغرب (أف ٣ : ٦) . إن هذه القراءة للنبوة ـــ باعتبارها تدل على أحداث عظيمة ـــ بدلا من النظر إليها باعتبارها نظرة للوراء لسياسة القرن الثانى عشر تزعج المتشككين فقط .

أعداد ١ ـــ ٣٢ : أسرة الأمم :

لم تذكر هنا كل الأمم المعروفة فى العهد القديم لكن ما ذكر منها[2] فى هذه القائمة يكفى لتوضيح فكرة وحدة البشر ، رغم تنوعهم تحت سيادة خالق واحد . وربما كان للعدد سبعين اسما (فى السبعينية ٧٢) تأثيره عند اختيار الرب لهذا العدد الرمزى ليكونوا مبعوثيه فى لو ١٠ : ١ . ويعقب ديلتش قائلا : « إن فكرة شعب الله تتضمن أنهم يعتبرون كل الأمم شركاءهم مستقبلا فى ذات الخلاص[3] ، ويتقبلونهم بمحبة راغبة راجية ـــ لم يسمع بها فى أى بقعة أخرى فى العالم القديم » .

معظم الأسماء يظهر أنها أسماء أفراد ، مع اننا سنقابلها فيما بعد كشعوب بالضبط مثل الأسماء : إسرائيل ، آدوم ، موآب .. الخ .. يبين المعنى الطبيعى للأصحاح أن هؤلاء هم مؤسسو مجموعاتهم نسبيا ، إلا أن الاهتمام يقع على المجموعة التى تكونت ، وعلى علاقتها بالشعوب الأخرى . وهذا يسنده استخدام صيغة الجمع (مثل كتيم ، وودانيم ع ٤ قارن ١٣ و ١٤) والمثنى (مصرايم ع ٦) والصيغة الوصفية (ع ١٦ ـــ ١٨) ، والتى تبين أن من قام بجمع قائمة الأسماء ، لم يذكر تلقائيا أسلاف هذه المجموعات . كذلك جدير بالذكر ، أن معظم المدن المذكورة أسماؤها فى القائمة ، واضح أنها مدن فعلا وليست أناسا فقد كانت جزءا من « مملكة » (ع ١٠) أو أنها مذكور

---

(١) فون راد يرى الفلسطينيين آتين من كريت ، ولكن ١٠ : ١٤ يرتبهم ضمن أنساب حام .

(٢) قارن مثلا تث ٢ : ١٠ ـــ ١٢ .

(٣) قارن تك ١٢ : ٣ .

عنها أنها « بنيت » (ع ١١) .. وهذا لا يجعل الأمر عسيرا أن نفكر فى ما يخالف ذلك كاستثناء مثل أشور (ع ١١ وانظر التفسير) وصيدون (ع ١٥) كانا المؤسسين اللذين أعطيا اسميهما لمدنهما مثل الإسكندر الذى على اسمه سميت الاسكندرية .

من الثلاث أسر التى تفرعت منها البشرية ، تناول السفر يافث (ع ٢ ـــ ٥) وحام (ع ٦ ـــ ٢٠) أولا لكى يفسح المجال لتاريخ سام فى بقية السفر . وهذا هو النظام المتبع فى سفر التكوين فى موضوعات ثانوية ، فسيطبق هذا فى (١١ : ١٠ ـــ الخ) على سام ذاته ، مع التخلص من الفروع غير الإبراهيمية قبل أن يركز على خط الآباء .

أعداد ٢ ـــ ٥ : يافث :

تمتد الشعوب المذكورة فى هذه الفقرة من بحر إيجة غربا إلى قرب بحر قزوين ، ويمتد شمالا ليشتمل بقاع الهلال الخصيب . ولكن هذه الشعوب مصنفة (وكذلك الحاميون والساميون ع ٢٠ و٣١) تصنيفا ليس جغرافيا صرفا (بأراضيهم ع٥) ولكن أيضا باختلاف لغاتهم[1] وأجناسهم[2] وأممهم الأمر الذى يأخذ فى الاعتبار التبديل والاختلاط الذى تعرضت له المجموعات البشرية .

« جومر » (قارن حز ٣٨ : ٦) يعتبر على وجه العموم أنه شعب السيمريين Cimerians ويضيف إ . أ . سبايزر بأن الاسم لازال يستعمله شعب ويلز : [سيمرى] . « ماجوج ، وتوبال ، وماشك » فى (حز ٣٨ : ٢ و٦ ، ٣٩ : ١ و ٢) « من أقاصى الشمال » . وواضح أن « مادای » هم شعب الماديين ، وقد وجدوا غربى بحر قزوين فى ق ٩ ق . م . « ياوان » وهم الأيونيون Ionians ، فرع من اليونانيين وهذا هو اسمهم الذى يطلق عليهم فى العهد القديم (مثلا دا ٨ : ٢١) والكلمة التى تؤدى معناها فى النص اليوغاريتى فى ق ١٤ ق . م هى « تيراس » وربما هم « الاتروسكانيون »

---

(١) يبدو أن اللغات كان معظمها هندآرية Indo-Arian .

(٢) ولكن د . ج . وايزمان فى تفسيره (تك ١٠) يورد بعض الاعتبارات فى علم الحفريات ، ويبين أن « القبائل » تعنى معنى سياسيا وليس تناسليا .

العددان ٣ و ٤ : « بنوجومر » (ع ٣) وبنو ياوان (ع ٤) يمكن أن يكونوا شعوبا إما تناسلت أو خضعت لهما . وفى ع ٣ أدق تحديد « لأشكناز » هو السكيثيون وكذلك فى ع ٤ لكتيم وهم سكان قبرص والسواحل المجاورة . أما « رودانيم » والأرجح « دودانيم » انظر (١ أى ١ : ٧) فهم أهل رودس .

عدد ٥ : « جزائر » أو « الأراضى الساحلية » ، لفظ يعنى « أقاصى الأرض » إلى الغرب (خاصة فى إش ٤٠ وما بعده) . فاذا حملنا الكلمة على هذا المحمل الضيق فإن ع ٥ يشير بصفة خاصة إلى ع ٤ . ولكن هذا يبدو بعيد الاحتمال فى نور ع ٢٠ و ٣١ .

أعداد ٦ ــ ٢٠ : حام :

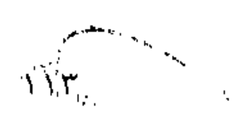
هؤلاء بصفة خاصة جغرافيا هم الشعوب إلى الجنوب بدءاً من كنعان ، ولكنهم ليسوا ببساطة الأجناس الأفريقية ــ كما تبين ع ٨ ــ ١٢ بصورة كافية . والخطة فى هذه الفقرة هى ذكر أسماء أربع أمم فى ع ٦ ، وتتبع نسل ثلاث منهم فى :

(أ) ع ٧ ــ ١٢ (كوش) ، (ب) ع ١٣ و ١٤ (مصرايم) ، (جـ) ع ١٥ ــ ١٩ (كنعان) .

(أ) « **بنوكوش** (ع ٧ ــ ١٢) يظهر أن شعبين حملا هذا الاسم : الأثيوبيين من ناحية والكوشيين فى شرقى أشور من ناحية أخرى . وهذا الفصل يرى أنهما مرتبطان . فمن جهة ع ٧ يبين أن معظم هذا الأصل السلالى مجاور للبحر الأحمر : غرب « كوش » وهذه اثيوبيا وعلى شاطئه الشرقى « سبا » (وربما هو شبا أو مرتبط به جدا) « حويلة » (قا ١ صم ١٥ : ٧)[1] « ودواق » (إش ٢١ : ١٣) جميعها فى شبه الجزيرة العربية ويأتى ترتيبها من الجنوب إلى الشمال . ومن الجهة الأخرى (ع ٨ ــ ١٢) تبين سليلا آخر من كوش مستقلا ، يكون مملكة على الجانب الأقصى من الهلال الخصيب . وربما تزعم نمرود جماعة مهاجرة من الكوشيين لكى يخضع الكاسبين (الكوشيين) ويطلق عليهم اسم الكوشيين وهذا أشبه بما فعله الغزاة الفلسطينيون بفلسطين سابقا . ويبين د . ج . وايزمان أن أول سكان عرفوا

---

(١) حويلة فى تك ٢ : ١١ يظهر أنه مختلف تماما .



فى كلا من مصر (مصرايم ع ٦) وكنعان (ع ٦) لم يكونوا ساميين وهم أشبه بالسومريين فى بابل القديمة وهم أيضا غير ساميين .

« **نمرود** » [١] يبرز نمرود من التراث القديم على أنه « أول العظماء على الأرض » ، وله ذكراه بالنسبة لأمرين يعجب بهما العالم هما بسالته وقدرته السياسية . ولا يبخسهما الكتاب حقهما ، فإن تكرار العبارة « أمام الرب » (ع٩) يبين تقدير الله لمهارته — إن العبارة أكثر من مجرد صيغة ثابتة للكلام . وفى ذات الوقت يوجد تهكم مؤلم ، وإن لم يظهر هذا بعد فى القصة ما ذكر عن أعماله الأخرى « وكان ابتداء مملكته بابل ... » ، فإن الأصحاح التالى ، ثم ما يليه من تطور لبابل حتى كارثة الرؤيا ١٨ — كل هذا يضيف إلى التعليق على النجاح الأرضى .

عدد ١٠ : « ابتداء » يجب أن تترجم « الجزء الرئيسى »[٢] والمدن الثلاث الأولى معروفة جيداً فى علم الآثار « كلنه » Calneh ربما يكون اسم مدينة تدعى نِبُّور — أو ربما كتب الاسم بحركات نطق أخرى يجعله يعنى «كلها» .

عدد ١١ : يظهر أن موضوع الكلام هنا لازال نمرود وأن « أشور » هو المكان الذى قصد إليه نمرود . يؤيد هذا أن الاسم الحديث لـ « كالح » هو نمرود .

عدد ١٢ : ربما التعبير « المدينة الكبيرة » يقصد به الثلاث مدن معا ، بحسب ما ورد فى يونان ١ : ٢ ، ٣ : ٢ ، ٤ : ١١ بما ذكر عن اتساع رقعتها ودلالة ذلك .

(**ب**) **مصر وفروعها** (ع ١٣ و ١٤) « مصرايم » اسم فى صيغة المثنى لكلمة مصر (أصل ذلك من أجل مصر العليا والسفلى ؟) وباقى الأسماء فى صيغة الجمع (انظر الملاحظة الافتتاحية على هذا الأصحاح) . ويدل الاسم « فتروسيم » على سكان سكنوا فى مصر العليا فى جنوب مصر . ويدهشنا أن نجد فلشتيم (الفلسطينيين) وكفتوريم (الكريتيين) فى صلة مع مصر ، فهذا يدل على وقت قبل استقرارهم فى كريت (التى منها غزوا فلسطين [عا ٩ : ٧] بعد محاولة لغزو مصر) أو أن هذا تعبير عن اخضاعهم لمصر جغرافيا

---

(١) لمناقشة هذه الواقعة انظر ح . ك . ق . فى مقال نمرود .

(٢) انظر إرميا ٤٩ : ٣٥ (أول قوتهم) .

وسياسيا عندما احتلوا الساحل الجنوبى الغربى لفلسطين .

(جـ) **كنعان (ع ١٥ ـــ ١٩)** معلوماتنا عن الكنعانيين الأقدمين تبين أنهم لم يكونوا ساميين وهكذا يبين هذا الأصحاح . وبحسب اللعنة الواقعة على كنعان فى ٩ : ٢٥ و ٢٦ وبسبب شرهم (١٥ : ١٦ ، تث ٢٠ : ١٧ و ١٨) ، كان لابد لإسرائيل أن يطرد معظم هذه الشعوب وأن تخرب مدنهم (ع ١٩ب) بقضاء إلهى .

أعداد ٢١ ـــ ٣١ : سام :

قد أفسح المجال لأسرة الشعوب التى ستكون مركز اهتمام العهد القديم ، ومن هؤلاء أفرد ذكر خاص فى الحال « لعابر » (وهو الأصل الذى اشتق منه الاسم عبرانى انظر ع ٢٤) . ولهذا ضاقت القائمة سريعا إلى نسل ارفكشاد (ع ٢٢ و ٢٤) وهكذا إلى عابر (ع ٢٤) ولكن الفرع الأكثر أهمية فى هذه الأسرة (فالج) الذى خلد ما يرويه ص ١١ : ١٠ ـــ الخ بينما « يقطان » (ع ٢٦ أبو الكثيرين من الأجناس العربية) أغفل بحسب خطة هذا السفر (انظر التفسير الافتتاحى لهذا الأصحاح) .

عدد ٢٢ : يسبب « عيلام » مشكلة إذ أنه من الواضح أنه ليس ساميا . وقد سبق أن رأينا « أشور ولود » فى القائمة الحامية (ع ١١ أشور ، ع ١٣ لوديم) . ويرى د . ج . وايزمان « أن الساميين فى عصور باكرة قد تداخلوا فى عيلام مع أنهم فى النهاية لم يكونوا السواد الأعظم ؛ بينما فى أشور (الحامية) ، فى النهاية ورثوا الحضارة السومرية » .

و« ارفكشاد » اسم غير سامى ، وربما كان له تاريخ مشابه ، بل من الممكن أنه يخفى اسم بابل .

عدد ٢٤ : « عابر » أصل اشتقاق الكلمة عبرانى « عبرى » وقد أطلق عليه الاسم من الفعل (عبر) الذى يعنى « يمر فوق أو يخترق » ؛ وترد فى الشرق الأدنى كلمة مماثلة الاسم عبيرو habiru ، التى تعنى فئة من الناس بدون مكان آمن فى المجتمع . ولازال الجدل يدور حول ما إذا كان اللفظ أصلا عرقيا وصار اجتماعيا ، أو إذا كانت هناك علاقة بين عبرانى وعبيرو . والواضح هو أن « أبرام العبرانى » (١٤ : ١٣) شريك فى سلالة شعوب أخرى سامية متسلسلة من عابر .

عدد ٢٥ : « فالج » بمعنى فلج أو فلق أى قسم . أما هل يشير إلى تقسيم

الحدود (قارن ١١ : ٨ و ٩) أو تقسيم قنوات الرى فهذا مسألة تخمين .

العددان ٢٨ و ٢٩ : « شبا » (إذا كان هو ذات الاسم سبا) « وحويلة » وقد سبق وروده فى قائمة حام (ع ٧) — هذا يعنى إما أن الحدود قد نقلت أو أن الشعوب قد اختلطت . ويوجد حويلة آخر (هذا اسم وصفى ربما يعنى « رملى ») مذكور فى ٢ : ١١ .

٦ — النهاية والبداية : بابل وكنعان

(أعداد ١ — ٣٢)

أعداد ١ — ٩ : بابل :

يصل التاريخ البدائى إلى قمة عقمه عندما يسعى الإنسان ، وهو واع بإمكاناته الجديدة ، لتمجيد ذاته وتقوية نفسه بالجهود الجماعية . وعناصر القصة نموذج لروح العالم فى كل العصور . فالمشروع ضخم ، يصفه الناس باهتمام بعضهم لبعض كما لو كان قمة الانجاز — أشبه بفخر الإنسان الحديث بمشروعاته للفضاء . ولكنهم فى تجمعهم للحفاظ على هويتهم والسيطرة على مصيرهم (ع ٤) فإنهم يظهرون شعورهم بعدم الأمان .

وقد كشفت الرواية عن سخافة الفعلة ، وعن خطورتها فى ذات الوقت . وقد استخدموا مواد بديلة لكن البنائين مازالوا ضعفاء . ويوجد تهكم فى موقف الله إزاء اتجاهاتهم « هلم . هلم .. » فقال الله « هلم ننزل ... » والنتيجة فشل بعد قمة النجاح : « كفوا ... » وقد صارت المدينة الناقصة البناء أثرا هاما جدا يشير لهذا الجانب من الجوانب البشرية .

ومع ذلك فالأمر مأخوذ فى غاية الجدية : وع٦ ب يتفق تماما مع الإنسان العصرى : « هذا ابتداؤهم ... لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ... » أما عن نغمة الحيلولة بين قصدهم وتنفيذه فهذه تدل على اهتمام من جانب خالق وأب ، ولا تدل على منافسة . وهى تشبه قول ربنا « إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا ... » (لو ٢٣ : ٣١) وتوضح أن الوحدة والسلام ليسا الخير النهائى ، فالانقسام أفضل من الضلال الجماعى (قارن لو ١٢ : ٥١) .

والنتيجة تعلن عمل يد الله الحاسمة فى شئون البشر . ولنسلم بأن لعدم التفاهم أسبابه الطبيعية مثل مواقف الكبرياء والخوف ذاتها التى يعبر عنها فى ع ٤ (والتى يمكن أن تكون شعار القومية الحديثة) . ولكنها فى النهاية هى التهذيب الإلهى المناسب لجنس عنيد .

وقد فتح يوم الخمسين فصلا جديدا فى القصة بالنطق بإنجيل واحد فى لغات كثيرة . والعكس النهائى موعود به فى صف ٣ :٩ : « لأنى حينئذ أحوّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة » .

عدد ١ : « لغة واحدة » (حرفيا : [مجموعة] واحدة من الكلمات) حدث هذا إما حالا بعد الطوفان (قارن ١٠ : ٥) وغيرها . أو كانت محدودة بشعب معين ، إلا إذا كانت كلمة « الأرض » يجب أن تترجم قطرا (الانطباع بأن هؤلاء كانوا قوما قاطنين ، ولكنهم كانوا خائفين من هجوم ما [ع ٢ و ٤(ب)] يعطى بعض الدعم للمعنى الأخير) .

عدد ٩ : « بابل » وقد دعت نفسها « باب إيلى » أى باب الله (الذى قد يكون إعادة تفسير للاسم الأصيل كنوع من التملق) . إلا أن الكتاب المقدس عن طريق جناس لفظى أو رد المعنى المفروض لاسمها الحقيقى (إذ جانسه مع balal أى بلبل) وقد صار اسم هذه المدينة فى الكتاب المقدس شيئا فشيئا رمزا للمجتمع الفاسد بما فيه من مزاعم (تك ١١) واضطهادات (دا ٣) ، ومباهج وخطايا وخرافات (اش ٤٧ : ٨ ــ ١٣) ويختم الكتاب بدينونتها المرتقبة (رؤ ١٧ و ١٨) . كان أحد أمجادها (الزيجورات) الهائل وهو جبل صناعى يتوجه معبد يسمى [أ تمنانكى] وهو يوحى بربط السماء بالأرض ، ولكن ما وصل للسماء حقا هو خطاياها (رؤ ١٨ : ٥) . ويقارن سفر الرؤيا بينها وبين المدينة المقدسة « النازلة من السماء » والتى أبوابها المفتوحة توحد الأمم (رؤ ٢١ : ١٠ و ٢٤ ــ ٢٧) .

أعداد ١٠ ــ ٢٦ : نحو الشعب المختار :

يتحول بنا النسب المختار عن العالم القديم إلى نسب الآباء . من الأسماء الواردة فى ١٠ : ٢٢ ــ الخ لا يظهر مرة ثانية إلا اسلاف عابر ، ثم بعد ذلك نقطة الانطلاق هو فالج وليس يقطان بعكس ١٠ : ٢٥ ــ الخ . ويقدم هنا عشرة أجيال ربما لكى تماشى العشرة أسماء من آدم إلى نوح ، ولكن نمو

الأمم الوارد في ص ١٠ بغض النظر عن أى اعتبار آخر ، يبين جليا أن بين هذه الأجيال قد مرت فترات عظيمة من الزمن[١] .

وقد استمرت أطوال العمر تتقلص[٢] ، إذا قيست بما كان قبل الطوفان حتى بلغت ١٧٥ سنة (إبراهيم) ، ١١٠ سنة (يوسف) . والأمر الأكثر أهمية ما يتضح بمناسبة الوعد بميلاد اسحق أن عمر الآباء قد نزل إلى حد ليس أزيد كثيرا عن مستواه فى وقتنا الحاضر .

أعداد ٢٧ ــ ٣٢ نحو أرض الموعد :

يبين يش ٢٤ : ٢ أن تارح وأسلافه قد « عبدوا آلهة أخرى » واسمه وأسماء لابان ، وسارة ، وملكة تدل على أن عبادة القمر أهم هذه المعبودات . والأمر المؤكد هو أن أور وحاران كانتا مركزين لعبادة القمر الأمر الذى يعلل لماذا توقف الرحيل فى حاران (ع ٣١) وربما كان الدافع لخروج تارح هو الحرص (فقد خرب العيلاميون المدينة حوالى سنه ١٩٥٠ ق . م .) ولكن أبرام كان قد سبق أن سمع دعوة الله (أع ٧ : ٢ ــ ٤) . لو قارنا ع ٣١ مع ١٢ : ٥ لرأينا كيف أن انعدام الرؤيا قد ضيع رغبة تارح فى المثابرة ، ذلك أنه ، حسب الدرس المستفاد من عب ١١ : ٩ و ١٠ ، لا يستطيع أن يكمل المشوار إلا الإيمان . وهكذا يصل هذا الأصحاح بالتاريخ البدائى إلى ختام موفق من جهتين : إلى حيث وصلت الجهود الذاتية إلى البلبلة فى بابل ، وإلى التوفيق هنا .

عدد ٣٢ : يسبب عمر تارح عند موته صعوبة حيث أن عمر ابنه ١٣٥ سنة (ع ٢٦) بينما كان إبراهيم ٧٥ سنة فقط (١٢ : ٤ قارن أع ٧ : ٤) . ونرى حلا لهذه المشكلة أن أبرام كان أصغر البنين وقد ولد بعد أخيه الأكبر بـ ٦٠ سنة ولكن يذكر أولا فى القائمة فى ١١ : ٢٦ و ٢٧ بسبب أهميته (مثل تقدم أفرايم على منسى) . وهناك حل آخر هو أن نقبل النص السامرى الذي يجعل عمر تارح عند موته ١٤٥ . ويبدو أن هذا أفضل ، ولو لمجرد أن أبرام تعجب فى ١٧ : ١٧ وما كان ليفعل ذلك لو أن أباه ولده وهو فى عمر الـ ١٣٠ سنة .

---

(١) انظر الملاحظة الإضافية على ص ٥ .

(٢) انظر التفسير على ٦ : ٣ والملاحظة الإضافية على ص ٥ .

(ب) الأسرة المختارة

أصحاح ١٢ ــ ٥٠

سيكون الموضوع الأعظم لهذه الأصحاحات النسل الموعود أو الذرية الموعودة ، وبالتحديد أرض الموعد التى تتعلق بها الجماعة الصغيرة بإصرار . وفى الأصحاح الأخير يعاود السفر النظر إلى هذه الأرض مع توكيد العودة إليها .

ويسود الوعد بابن الاصحاحات ١٢ ــ ٢٠ والتأخير الذى يزيد الشوق . بينما يعرض أبرام هذا الوعد للمخاطر إما لفقد الأعصاب أو فقد الرجاء (ص ١٢ ، ١٦ ، ٢٠) ويتمسك به بالإيمان (ص ١٥ ، ١٧ ، ١٨) .

وبعد مولد اسحق فى ص ٢١ يتركز الاهتمام فى متابعة الخيط الرفيع لهذا الوعد . وأخيرا تتحول القصة إلى ما هو أبعد من الآباء ، إذ يقود الله الأسرة إلى مصر ويعلن بدايات مصائر الأسباط . وفى نهاية السفر نجد مكانة إسرائيل بين الأمم التى ستجاورها طيلة فترة العهد القديم ــ وتثبيت دعوتها الفريدة ثم ترتيب المسرح لأحداث سفر الخروج العظيمة .

١ ــ أبرام تحت الدعوة والموعد

(أصحاح ١٢ ــ ٢٠)

أصحاح ١٢ : ١ ــ ٩ : أبرام يتبع الدعوة :

يبدأ تاريخ الفداء ، مثل تاريخ الخليقة بالله متكلما : وهذا ببساطة هو ما يميز قصة أبرام عن قصص آبائه . والدعوة لترك كل شيء واتباع الله لها ما يناظرها فى الأناجيل (وهى أقرب إلى الطابع الذى يتسم به الآباء منه إلى طابع الناموس ــ قارن غل ٣) ، وتاريخ إبراهيم المبكر إلى حد ما هو يوضح تخلصه التدريجى من الأرض والعشيرة وبيت الأب ــ العملية ــ التى لم تكتمل حتى نهاية ص ١٣ .

وقد سمع أبرام الدعوة أولا فى أور (أع ٧ : ٢ ــ ٤)[١] ، ويلوم بعض المفسرين أبرام لعدم إنهاء علاقته منذ ذلك الحين مع أبيه وابن أخيه . إلا أن القصة لا تصور ذلك على أنه تباطؤ مثل لوط (١٩ : ١٦) . ومن المعقول أن نفتكر أنه انتظر ميعاد الله الذى تنفصم فيه العلاقات الأسرية فى وقار . فإن التأنى دون التضحية بالرؤيا عمل متقن (وهو مطلوب من الكثيرين من الخدام والمرسلين الجادين) . وفى الوقت المناسب تحقق العمل وقد كرم الله المناسبة بتجديد المواعيد (١٣ : ١٤ ــ الخ) .

أعداد ١ ــ ٣ : يعبر عن دور أبرام بأمر واحد لكنه امتحان فاحص ، بينما يقابله من جانب الله العديد من الوعود التى تعلن عن عظمة دور الله . وفى نفس الوقت تنبر مستقبليتها على الإيمان المجرد المطلوب . أى يجب أن يقايض إبراهيم ما يعلمه بما لا يعلمه (عب ١١ : ٨) ويلقى مكافأته فى ما لم يعاينه « أمة عظيمة » ، وفى أمر لا يدرك بالحواس « اسمك » وفيما يمكن أن يمنح « بركة » والجملة الأخيرة فى ع ٣ يمكن أن نفهمها نحويا (قارن ١٨ : ١٨ ، ٢٨ : ١٤) على أنها مبنى للمجهول « تُبَارَك » أو « تتبارك » [مثل ترجمتنا العربية] أى يأخذون بركة لأنفسهم (أى قد أتبارك أنا أو أنت مثل إبراهيم) على أن العهد الجديد يحذو حذو الترجمة السبعينية فى اعتباره مبنيا للمجهول (أع ٣ : ٢٥ ، غل ٣ : ٨) وفى الحقيقة تعامل السبعينية الفعل على أنه مبنى للمجهول أيضا فى ٢٢ : ١٨ ، ٢٦ : ٤ حيث أن الفعل فى كل الحالات[٢] فى الصيغة الانعكاسية .

كانت بركة العالم قبلا رؤيا مرئية بصورة متقطعة (اختفت بين عصر الآباء وعصر الملوك ، عدا التذكير بالدور الكهنوتى فى خر ١٩ : ٥ و٦) . وأخيرا ظهرت ثانية فى المزامير ، وفى الأنبياء ، وحتى فى حالاتها الضئيلة ، كانت تحمل معنى إرسالية إسرائيل ورسالتها . ومع ذلك فلم تكن أبدا برنامجا لعمل متفق عليه حتى الصعود .

---

(١) فى الفعل البسيط « وقال » ــ إشارة إلى تجديد الدعوة ويمكن أن تكون « توضيحا وتفسيرا » للقصة السابقة باعتبارها كلا لا يتجزأ ولم يقصد بها مجرد استمرار مرتب زمنيا للدعوة السابقة .
(٢) انظر أم ٣١ : ٣ ، جا ٨ : ١٠ (هـ . ك . ص ٥٤) .

العددان ٤ و ٥ : بالنسبة لعمر أبرام انظر تفسير ١١ : ٣٢ ، وعن العلاقة ، بين تارح وهجرة أبرام ، انظر الفقرة الختامية ــ ص ١١ ، والفقرة الافتتاحية . (ص ١٢) .

العددان ٦ و ٧ : « شكيم » فى ممر بين جبلى عيبال وجرزيم ، عند تقاطع الطرق وسط فلسطين . وقد صارت مكان اتخاذ القرار . ففى هذا المكان سيجتمع الإسرائيليون لكى يختاروا إما البركة أو اللعنة (تث ١١ : ٢٩ و ٣٠) وفيه سيقدم يشوع إرشاداته الأخيرة (يش ٢٤) وهو ذات المكان الذى فيه انقسمت مملكة سليمان إلى اثنتين (١ مل ١٢) ــ الحدث الذى ترك أثره فى مجتمع السامريين ــ ومازال هذا الأثر باقيا فى هذه البقعة (نابلس الآن) . « بلوطة مورة » (معلم) ــ وربما اتخذت هذا الاسم من العائفين (قارن قض ٩ : ٣٧) أما كلمة « مكان » فربما تدل على وجود معبد كنعانى كما تشير الجملة النهائية . فإن صح هذا ففيه تلميح إلى أشياء آتية . فإنه فى معقل الآلهة الآخرين أعلن الله حضوره وقسم الأرض لعبده ، وتقبل العبادة النظامية .

عدد ٨ : « ودعا باسم الرب » انظر تفسير هذه الآية فى التعليق على ٤ : ٢٦ . إن فعل إبراهيم هذا بمثابة رفع العلم فى قلب أرض الموعد ، والإعلان بأن أحكام الله تجرى فى كل مكان ، وكان يجدد التعبد حيثما حل (ع ٨ قا ١٣ : ٤ و ١٨) ويوجد فى التعبير المقارن بين « نصب » ، و « بنى » تنبير قوى للتمييز بين فعلين أحدهما فعله من أجل نفسه والآخر من أجل الله . ولاحظ كيف أنه لم يخلف بعده من المنشآت سوى المذابح ، ولا أثر لغناه .

والاسم « عاى » معناه « الأطلال » (ودائما فى العبرية مسبوق بأداة التعريف . ويحتمل أنه (مثل بيت إيل قا ٢٨ : ١٩) هو اسمها المكتسب (يش ٨ : ٢٨) أما اسمها الكنعانى فقد اندثر[١] .

عدد ٩ : و« الجنوب » أو « نقب » وهو الدائرة جنوبى غربى البحر الميت وهى منطقة صحراوية جافة الآن ، التى يصفها نلسن جُلوك على أنها « الجزء

---

(١) قا إ . ف . كامبل ا.ك . ٢٨ سنة ١٩٦٥ ص ٢٧ .

الرئيسى من الأرض ذات الأهمية الاستراتيجية العظمى .. الذى يربط آسيا بأفريقيا » .[1] وقد دلل جلووك بإسهاب على أن « النقب » كان مأهولا فى عصر ابراهيم ، ويعلق جلووك على تأييد علم الحفريات « لصحة الذكريات التاريخية بالنسبة لنصر إبراهيم الباقية لنا عموما فى ص ١٢ و ١٣ و ١٤ من سفر التكوين »[2]

أعداد ١٠ ــ ٢٠ : أبرام فى مصر :

ليس من الواقعية فى شىء أن نعتبر أن مصر كانت بالضرورة مقاطعة ممنوعة على شعب الله فى هذه المرحلة ،[3] لأنه سرعان ما ستوصف لهم بعد قليل وبصراحة كملجأ ، ووجودهم هناك لا يقلل من آمالهم فى كنعان . كان على إبراهيم أن يجد طريقة (ع ٨ و٩) دون إعلان خاص فى كل خطوة . وقد كانت القيادة بالنسبة له مثلنا تقوده الظروف (قارن ١ : ١ ، مت ١٢ : ١٤ و ١٥) . وقد تكون من عناية الله قرب مصر التى يرويها فيضان نهر النيل .

ومع ذلك فكل الدلائل تدل على أن أبرام لم يقف ليستفهم بل سار بدافع نفسه ، آخذا فى اعتباره كل شىء إلا الله . وبلاشك أن حساباته الناشئة عن مخاوفه تعلن عن أمرين معا : عن طبيعة شخصية هذا العملاق الروحى (قارن يع ٥ : ١٧ أ) ، وعن التغير المفاجىء من مستوى الإيمان إلى مستوى الخوف الذى يمكن أن يحدث . وإذ تورط فى هذه الخدعة ، وجد نفسه عاجزا عن رفض مكاسبه المريبة (ع ١٦) حتى لو رغب فى ذلك ، بل وعجز عن الإجابة على تأنيب فرعون اللاذع . ومع ذلك فلو جاء هذا الاختبار بعد الجواب الرائع على ملك سدوم فى ١٤ : ٢٢ .. الخ ، فقد بقى له شىء قد أنقذ .

---

(١) ا . ك . ١٢ سنة ١٩٥٩ ص ٨٤ .

(٢) ذات المقال ص ٨٨ انظر أيضا أ . ك ١٨ ص ١٩٥٥ ص ٢ ــ ٩ .

(٣) حتى الكلمات الطبوغرافية « انحدر » ، « صعد » (ع ١٠ ، ١٣ أ) يفسرهما بعض المفسرين على أنهما كلمات تعنى الانحدار أو الصعود الأخلاقى . لكن براعتهم تخالف بعض الفصول مثل ١٩ : ٣٠ ، ١ مل ٢٢ : ٢٠ وغيرها .

على أن الأهمية القصوى للقصة هى صلتها بوعد الأرض والشعب . هذا هو الموضوع الحقيقى لهذه الأصحاحات ، حيث نجد رؤيا أبرام محك الامتحان . هنا عند اللمسة الأولى بالجوع والخوف والنظر إلى الغنى ، ضاعت الرؤيا ، وتعرضت شجاعته للخطر ، وظهرت الحاجة إلى الضربة لإعادة سارة إلى الخط المرسوم لها (ع ١٧) وإبعادها (ع ٢٠) لكى يعود أبرام إلى كنعان .

عدد ١٣ : « إنك اختى » ــ هذا صحيح (٢٠ : ١٢) ، وقد نبه إ . أ . سبازر إلى الاعتبار الحارانى (المعمول به فى حاران) والذى يفيد عن علاقة الأخت الزوجة ، إذ يمكن للزوج أن يعلن عن أخوته لزوجته لكى يزيد من سلطانه ، ويرفع من منزلة الزواج . ولكن استخدام نصف الحقيقة لكى يخفى الآخر ، واضح أنه كذب ، لدرجة أن أبرام فى هذه المناسبة لم يحاول الدفاع .

عدد ١٤ : وتتضح مسألة جمال ساراى الرائع من مفارقات بقية القصة ، فإنه فى هذا الموضوع واضح أنها كانت حديثة السن فى الـ ٦٥ من عمرها[1] ، بينما فى وقت ميلاد اسحق كانت بلاشك مسنة فى التسعين . فالأمر الذى يعقد المسألة هو أن التاريخ يعيد نفسه فى ص ٢٠ (بجمالها) وواضح أن ذلك كان قبيل مولد اسحق .

ومفتاح المسألة كلها هو أن عمر الآباء كان تقريبا ضعف عمرنا (يظهر أن هذا كان بعناية خاصة [قارن تث ٣٤ : ٧] ، ولا يوجد دليل على أن ذلك كان شائعا) . مات إبراهيم فى عمر ١٧٥ وسارة فى ١٢٧ . وقد فكر يعقوب أن الـ ١٣٠ سنة « قليلة ورديئة » . ويبين نشاطهم المستمر أنه لم يكن مجرد تأجيل الموت بل امتداد عملية الحياة كلها ، مثلا كان لإبراهيم لنقل فى سنه الـ ١٢٠ [ص٢٢] ، حيوية رجل فى السبعين على الأكثر ، كذلك كانت ستينات ساراى مساوية ثلاثيناتنا أو أربعيناتنا ، والتسعون ، عمرها وقت ميلاد اسحق ربما خمسيننا . وقد كانت قد تعدت عمر الحبل فى التسعين ، ولكنها لم تتعد كل تفكير الأمومة . وجدير بالذكر أنه فى ص ٢٠ خلافا لما جاء فى

---

(١) كانت اصغر من ابرام بمقدار عشر سنين (١٧ : ١٧) قارن ١٢ : ٤ . وربما كانت أصغر منه بأكثر من عشر ، فإنه إما عمرها فى ١٧ : ١٧ كان تقريبيا أو كان عمر إسحق فى ٢٥ : ٢٠ تقريبيا .

ص ١٢ لا يوجد ذكر لجمالها . فبالنسبة لأبيمالك كانت أهمية الزواج منها ترجع إلى غناها ، وللحلف مع « أخيها » ، كما يدل مسعى ابيمالك إلى ذلك الحلف عندما فشل مسعى الزواج ، هذا مستنتج من ٢١ : ٢٢ — الخ .

الأصحاح الثالث عشر

أعداد ١ ــ ١٨ : الاعتزال عن لوط :

إن اختبار طاعة أبرام للرؤيا الذى دام العمر كله يأخذ الآن دورا جديدا فى هذا الأصحاح أمام تجربة تأكيد الذات إزاء لوط وإغراء مدن السهل . إذ خاب رجاؤه فى أرض الموعد للمرة الثانية (ع ٦) وفى هذه المرة مع ما بدا من عدم ملاءمة المكان لهما فقد كان التفكير السليم يقضى بترك الأرض إلى أرض أخرى أخصب . ولاشك أن إبراهيم قابل الموقف بإيمان كما يتضح فى ع١ ــ ٤ التى توضح أن رحلته إلى بيت إيل كانت تشبه الحج إلى مكان مقدس (لاحظ العبارات التى تذهب إلى ما بعد علم الجغرافيا المجرد فى ع ٣ و٤ وقمتها فى ع ٤ ب) ، كما كانت تجديدا لطاعته المفقودة ، وليس محاولة لاسترداد روعة الرؤيا ــ إذ لم يتجه نحو شكيم (قارن ١٢ : ٦ و ٧) .

حدث الامتحان (كما فى ١٢ : ١٠ ، قارن مر ١ : ١٢) بعد التجديد . وتعامل أبرام معه نموذج للبصيرة والذوق السليم والكرم ، وتذكيره للوط بالقول « نحن أخوان » ، أظهر الجانب الذى يهم فى عالم غريب (قارن ع ٧ ب) ، وعرضه الذى اتصف بالإيثار والواقعية معا ، أذاب التوتر الوقتى بدون خلق توترات أخرى فيما بعد . نشأت هذه الحكمة من إيمانه . هذا الإيمان الذى جعله يترك كل شيء حتى يجعل الاختيار ممكنا . وبالإيمان استطاع أن يرى ما لا يرى ، ولهذا لم تكن به حاجة إلى المخاصمة ــ كما كان للوط ، « برؤيا عينية » .

ولنا الدرس مما آل إليه حال كل منهما . فقد اختار لوط الأشياء التى ترى ، فوجدها فاسدة (ع ١٣) وغير آمنة ، لقد اختار بإثرة ، واختاره عزلة وجعله غير محبوب . أما أبرام من الناحية الأخرى ، فقد وجد الحرية ، وقد تحققت له الدعوة المذكورة فى ١٢ : ١ أخيرا ، وتحقق وعد الله فى ما يختص « بأرض الوعد » و « النسل » بفيض عظيم (ع ١٤) . وقد تكرر الوعد بالنسل ثلاث مرات فى ع (١٥ و١٦) وصار أمرا ملموسا (ع ١٧) . لقد كان النظر والفعل تاليان للإيمان ، فاختياره العشوائى بدون رؤية (ع ٩) نال مجازاته من الله « ارفع عينيك » (ع ١٤) وما رأته عيناه بوجه عام صار واقعا تكشفه

بالسير فيه على قدميه (ع ١٧) . ويمكننا أن نقارن تتابع عددى ١٤ و ١٧ مع ما جاء فى اف ٣ : ١٨ ، ٤ : ١ .

عدد ١٨ : « بلوطات ممرا » (قارن تفسير ١٢ : ٦) وهى على بعد ٢٠ ميلا جنوبى بيت لحم . وقد صارت مركز تحركات أبرام ، والتى اشترى بجوارها ملكه الوحيد مغارة المكفيلة وهى المدفن . وكان ملخص طريقة حياته خيمة ومذبح .

الأصحاح الرابع عشر

أعداد ١ ــ ٢٤ : حرب الملوك ومقابلة ملكي صادق :

لأول مرة تتوافق الأحداث الكتابية توافقا صريحا مع التاريخ الخارجى . ولكن مركز الثقل هو هو ــ ذلك أن أبرام « فى » العالم ولكن ليس « من » العالم ، وهو مستعد أن يحارب من أجل الهدف السليم كأحد الأقارب الصالحين (ع ١٤) وكحليف صالح (ع ١٣ جـ و ٢٤ب) ولكنه كان واعيا بدعوته (ع ٢٠ب ــ ٢٤) . إنها لعاقبة ــ مليئة بالدروس أن يسجل ص ١٤ نصيب لوط وقد جاء سريعا بعد ص ١٣ ، وكانت إمكانات أبرام يسيرة لكنها كانت فعالة ، وازدادت منزلته الأدبية .

وللأصحاح مميزاته ، ويتسم بسمة القدم[١] ، حيث بعض كلماته وبعض تفاصيله التوبوجرافية ترجع بنا إلى منتصف العصر البرونزى . أى باكرا فى الألف الثانية ق . م . ويقدم إ . أ . سبايزر E.A.Speiser حيثياته للتفكير بأن الأصحاح عبارة عن خلاصه أو اقتباس من وثيقة أجنبية . فإن صح هذا فهو شهادة مستقلة لتاريخية أبرام .

أعداد ١ : ١٢ : هزيمة سدوم وسبى لوط :

يتبع مجرى الأحداث النمط المتكرر غالبا فى العهد القديم أن مجموعة من الولايات الصغيرة تحدث التسلط عليها فجلبت على نفسها العقاب السريع .

عدد ١ : تبدو هذه الأسماء صحيحة بالنسبة للبلاد المختلفة ، ولكن هناك محاولات فاشلة قد بذلت لكى تعين هذه البلاد بالتحديد . « أمرافل » اسم سامى وليس مرادفا فعليا ل « حمورابى » كما كان يعتقد فى وقت ما . وأريوك اسم حورى و « كدر لعومر » يتبع نظام الأسماء العيلامية و « تيدال » غالبا هو تيداليا اسم مسمى به عدة ملوك من ملوك الحثيين . ولكن هناك أربعة ملوك معاصرين يحملون هذه الأسماء يحتاجون إلى تتبع .

---

(١) اعتبرها جيل أسبق من النقاد فصلا كتب متأخرا ولكن هذا الرأى قد أقلعوا عنه فى نور دراسة لآثار .

عدد ٢ : من الخمسة ملوك المتمردين أفلت الأخير فقط من الكارثة المسجلة فى ص ١٩ والاسمان الأول والثانى (ربما بطريقة مفتعلة) تركيبة لفظية تعنى « الشر » ، و « الفساد » .

عدد ٣ : وبالابقاء على اسم الوادى وطبيعته (ع ١٠ أ منذ غاص (كما يبدو) تحت البحر الميت فإن السجل يقدم دليلا مقنعا لأقدميته .

أعداد ٥ ــ ٧ : هنا نجد الوصف التفصيلى للتعديات على القبائل المتاخمة (قارن تث ٢: ١٠ ــ ١٢ و ٢٠) وهذا يوحى بتشديد بأننا نقرأ جزءا من سجل النصرة فى هذه الحملة التى استهدفت أشياء أخرى بالإضافة إلى شئون سدوم .

عدد ١٠ : بالنسبة لوصف الوادى انظر التفسير على ع ٣ . يستخدم سبايزر اللغة العبرية إذ يقول : « كان وادى السديم عبارة عن حفر من القار الواحدة بعد الأخرى » . إن منطقة البحر الميت غنية بالمعادن ، وكان البحر الميت معروفا فى الأزمة الرومانية بأنه Asphaltites إذ كان به كتل من القار غالبا ما توجد عائمة على سطحه خاصة فى المنطقة الجنوبية . ومن المحتمل أن هذه البقع كانت كبيرة الحجم جدا .

أعداد ١٣ ــ ١٦ : إنقاذ أبرام للوط :

عدد ١٣ : يرد الاسم المميز « ابرام العبرانى » كأن الكاتب يقدمه للقارىء لأول مرة ــ علامة أخرى على أن هذا الأصحاح عبارة عن وثيقة مستقلة . وبالنسبة لمعنى « عبرانى » انظر التفسير على ١٠ : ٢٤ .

ترد الأسماء « ممرا ، وأشكول ، وعانر فى هذا الأصحاح فقط كأسماء أشخاص . والأرجح أنها أسماء عشائر . وقد كانوا متعاهدين »[1] مع أبرام فى حلف ، فقد حلفوا أن يكونوا فى ولاء متبادل بعضهم لبعض . ويظهر ع ٢٤ أنهم كانوا يقدرون هذا العهد .

عدد ١٤ : الكلمة العبرية المترجمة « المتمرنين » أى المحتكين لا توجد فى الكتاب المقدس فى غير هذا المكان . وتلقى نصوص اللغة المصرية فى ذلك الزمان ، ضوءا على هذه الكلمة ، على أنها تعنى أتباع زعيم فلسطينى تماما

---

(١) بالنسبة لمعاهدات بشرية أخرى قارن ٢١ : ٢٢ ــ الخ ، ٢٦ : ٢٣ ــ الخ ، ٣١ : ٤٣ الخ .

مثل معناها هنا . أما عن دان فانظر المقدمة .

العددان ١٥ و ١٦ : يتشكك البعض (مثل فون راد) فى نجاح أبرام ومعه جماعة قليلة .. والظاهر أن فون راد فاته حلفاء أبرام ع ١٣ ، وتأثير المفاجأة والارتباك الذى يمكن أن يحدثه هجوم ليلى مخطط جيدا (انقسم عليهم ليلا) وربما كان ذلك على مؤخرة الجيوش فقط (قارن ع ١٦) . ولكن هل كانت الوسائل غير المنظورة لدى أبرام أقل منها لدى جدعون ؟!

أعداد ١٧ ـــ ٢٤ : أبرام وملكى صادق ، وملك سدوم : هنا تبدأ المعركة الأشد ، ذلك أنه يوجد تباين شاسع بين الملكين اللذين جاءا لكى يقابلاه . فملكى صادق ملك وكاهن واسمه ولقبه يعبران عما هو مستقيم وصالح (انظر عب ٧ : ٢) وهو يقدم رمزا لكفاية الله ، ويباركه بركة غير محددة (تنبر على المعطى لا العطية) ويتقبل الهدية الغالية . وكل هذا له مغزى بالنسبة للإيمان فقط . أما ملك سدوم فى الجانب الآخر فيقدم عرضاً لطيفاً أشبه بعرض رجل الأعمال ، وعيبه الوحيد لا يدرك إلاَّ فى ضوء الإيمان . وعلى هذين العرضين المتباينين أجاب أبرام بالقبول أو الرفض دون أن يحاول المساومة مع دعوته العليا .

هذه الذروة تبين ما كان بحق عرضة للخطر نتيجة الأحداث الدولية فى هذا الأصحاح . إن الأمر اليسير فى القصة هو صراع الملوك ، والجيوش ، ونهب المدن . أما الأمر الرئيسى فهو ثبات إنسان واحد أو سقوطه فى امتحان الإيمان .

عند هذا البعد نستطيع أن نرى أن هذا ليس قرارا زائفا بل هو قرار هام أكثر من أعظم الانتصارات دويا أو مصير أى مملكة .

عدد ١٧ : « كسرة » والكلمة تعنى حرفيا « خرب » « عمق شوى » أو « وادى شوى » (قارن ٢ صم ١٨ : ١٨) يبدو أنه قريب جدا من أورشليم . وقد كان مكان اللقاء الذى سيوصف بعد ذلك وليس مكان المعركة .

العددان ١٨ و ١٩ : « ساليم » هى أورشليم . وبالنسبة لاسمها (السلام) ، ولاسم ملكي صادق (ملك البر) ، انظر عب ٧ : ٢ وقد دفع اتحاد « الملك » و « الكاهن » فى أورشليم داود [وهو أول إسرائيلى يجلس على

عرش ملكى صادق] لأن يرنم لملكي صادق آخر أعظم سيأتى (مز ١١٠ : ٤) .

« الله العلى » (إيل علون) ومهما يكن معنى اللقب بالنسبة لسابقى ملكي صادق وبالنسبة لخلفائه فقد قصد هو به الله الحقيقي الذى يعلن نفسه بقدر ما ، كما تفيد الكلمات التالية . وعلى أى حال فإن عشور أبرام (قارن عب ٧ : ٤ ــ ١٠) ووصفه للإله (الرب) ع ٢٢ وهو ذات اللفظ الذى يستعمله ملكي صادق : « الرب الاله العلى » . يحسم الأمر . واللقب الأخير يستعمل كثيرا فى سفر المزامير .

« مالك » (أو « صانع » مشتقة من الفعل (أقتنيت فى ٤ : ١) فإن كان الاقتناء هو المعنى الأساسى ، فإنها تختلف باختلاف الأحوال لكى تعنى مثلا : « تلد » (٤ : ١) « يشترى » « يتعلم » وهنا « يصنع »[1] .

---

(١) انظر و . أ . إروين جـ . أ . ك ٨٠ سنة ١٩٦١ ص ١٣٣ .

الأصحاح الخامس عشر

أعداد ١ ـــ ٢١ : إيمان أبرام والعهد المؤيّد :

إلى هنا ، انصبت امتحانات الله لأبرام على مجال أمنه (وهو أمر مؤلم لرجل بلا وطن) ، من خلال توترات القلق والطموح . والآن ينشأ الضغط حول نقطة جديدة ، الوعد بابن ـــ وهو أمل مؤجل على مدى ستة أصحاحات و لم يتحقق إلا بعد قرابة خمس وعشرين سنة . وحتى عند ميلاده حدثت أزمة من نوع خاص فى ص ٢١ ، وتعرض إبراهيم لأقسى امتحان فى ص ٢٢ .

ينظر العهد الجديد إلى هذا الأصحاح على أنه جليل الشأن جدا فى ناحيتين : الأولى فى تصريحه بأن أبرام تبرر بالإيمان (ع ٦) . وهى عبارة بمثابة قلب إنجيل بولس فى رو ٤ ، غل٣ . وثانيا فى تسجيله للعهد ، لأن هذا العهد ، وليس عهد سيناء ، هو العهد الأساسى ، وهو يتحدث عن النعمة وليس الناموس (غل ٣ : ١٧ ـــ ٢٢) . ولقد كان من أجل هذا الوعد أن أخرج الله شعبه من مصر (خر ٢ : ٢٤) وأتى ابنه إلى العالم (لو ١ : ٧٢ و ٧٣) .

أعداد ١ ـــ ٦ : تصفية إيمان أبرام : معظم المفسرين المحدثين لا يجدون فى الكلمات « بعد هذه الأمور » (ع١) إشارة إلى ص ١٤ (بسبب مصدره المنفصل) . ولكننا مقتنعون تماما بأن أحداث ذلك الأصحاح تالية لأحداث ص ١٣ ؛ وبأن تنازل أبرام الرائع فى ١٤ : ٢٠ب ـــ ٢٤ ، يجعل الوعد فى هذا العدد مناسبا جدا . فإن تداخلات الله لكى يطيِّب قلب عبده المتضايق ليست بقليلة فى الكتاب المقدس وفى الاختبار المسيحى (قارن ٣٢ : ١ ، إر ٤٥ ، يو ٩ : ٣٥ ، أع ٢٣ : ١١) .

« أنا ترس لك ، أجرك كثير جدا » ـــ هذه الترجمة ـــ صحيحة جدا ومتفقة مع مجرى الكلمات العبرية ، ومع رد ابرام . فموضوع الإيمان هو شخص الله ، والرجاء يكون فى الموعد . وجدير بالذكر أن الرؤيا أصلا ليست لأجل تأثيرها المحسوس ولكن لكى تبلِّغ « الكلمة » .

العددان ٢ و ٣ : الكلمات العبرية فى ع ٢ غامضة المعنى ولكن ع ٣

يوضح النقطة التى ترد فى ع ٢ . ومعروف أنه عند الحوريين[1] يمكن لرجل لا ابن له أن يتخذ له وارثا لكى يتأكد من أنه سيدفن دفنا لائقاً ؛ أو يستطيع شخص مدين أن يتبنى دائنه ليتخلص من الدين . وذكر الاسم والمكان بالتحديد تصور مشكلة إبراهيم بصورة حية . وحتى لو كان اليعازر هو ذات العبد الرائع فى ص ٢٤ ، لكنه ليس ابنا بعد حتى يرث الموعد . ومن المهم أن نرى إيمان أبرام رغم أنه لم يشكل بعد بشكله الكامل — وليس عدم إيمانه هذا الإيمان الذى يتجلى فى إجابته . كان ممكنا لرجل أقل منه أن يستكين إلى الراحة المذكورة فى ع ١ . شعر أبرام بالقلق لأنه وضع قلبه على الرؤيا الأصلية والدعوة بما فيها من موعد النسل (١٢ : ١ — الخ) ، ولهذا كان ع ١ بمثابة امتحان ، فإذا بجوابه يفتح الطريق إلى الوعد الواضح فى ع ٤ و ٥ وإلى الإيمان المنتعش فى ع ٦ .

عدد ٤ : يتحدث العهد القديم عن وارث شرعى يعامل « كابن » (مثلا راعوث ٤ : ١٧) إلا أن التركيز هنا على التعبير « الذى يخرج من أحشائك » قد حسم أى شك لدى أبرام . ثم يوجد سؤال آخر عما إذا كان هذا الابن يمكن أن يجيء من ساراى أم لا . وهذا هو التحدى التالى لإيمانه وهذا هو لب موضوع الأصحاحين ١٦ ، ١٧ .

عدد ٥ : يظهر الآن فقط أن الرؤيا كانت ليلا . وأن الأفعال فى ع ٩—١١ حدثت فى اليوم التالى . لم تبرهن علامة الله أى السماء الملأى بالنجوم ، شيئا . فهى ليست هذا النوع من العلامات ولكنها كانت بمثابة « كلمة منظورة » أو ملخص الوعد مثلها مثل الأسرار المقدسة فى هذا المقام ، إذ أن هذا الاختبار صار لا ينسى . وليست النجوم أشبه بالتراب المذكور فى ١٣ : ١٦ (فلقد قرن البعض بين الشيئين وبين أبناء ابراهيم الروحيين والجسديين) لكن هذا تشبيه آخر لذات الشيء . قارن الموازاة فى ٢٢ : ١٧ . ويعلن العهد الجديد أن الوعد قد تم فى جمهور المؤمنين قبل المسيح وبعده (مثلا رو ٤ : ١١ و ١٢ ، ٩ : ٧ و ٨) .

عدد ٦ : هذه الجملة العظيمة يقتبسها بولس مرتين (رو ٤ : ٣ ، غل

---

(١) قارن التفسير على ١٢ : ١٣ .

٣ : ٦) وكذلك يقتبسها يعقوب مرة (٢ : ٢٣) لكى يثبت أن التبرير كان دائما بالإيمان (ويزيد يعقوب أن الإيمان يجب أن يكون أصيلا ٢ : ١٨) . وتظهر هذه القصة ، والحوار فى رو ٤ ، الإيمان ، ليس باعتباره تاج استحقاق بل على أنه الاستعداد لقبول ما يعد به الله . لاحظ أن ثقة أبرام كانت فى شخص « الرب » وفى الموضوع (فالقرينة هى « كلمة الله » المحددة الواردة فى ع ٤ و٥) .

أعداد ٧ ــ ٢١ : الموعد موضحا وموثقا : يتحول التركيز إلى الفرع الآخر من الموعد : على الأرض التى يرثها . تفصح كلمات أبرام عن التوتر الذى كان ينوء تحته ، فإن إيمانه لم يكن بالأمر الهين : « كيف أعلم .. » وروحها كان أشبه بالقول « أؤمن يارب ، فأعن عدم إيمانى » . إنها تختلف عن الحوار الذى تكلم به زكريا فى لو ١ : ١٨ ؛ ولذلك لم يقابلها الله بالتعنيف بل بالتوكيد فقط . إن ترتيبات الله الدائمة لمثل هذه الحاجة هى « العلامات » و« الأختام » (قارن رو ٤ : ٣ و ١١ أ) كى تثبت الكلمة المقولة . وهنا جوابه بأكمله عهد رسمى (ع ١٨) وقد نفذ على مرحلتين . الأولى فى هذا الأصحاح وهى إجراء رسمى من نوع حيوى . والمرحلة الثانية فى ص ١٧ ، وكانت تقديم علامة العهد ، الختان . وإلى حد بعيد كما يبين عب ٦: ١٣ و ١٧ ، كان فى النهاية تثبيت العهد بالقسم فى ٢٢: ١٦ ــ الخ .

العددان ٩ و ١٠ : يشبه طقس العهد هذا الطقس الوارد فى إر ٣٤ : ١٨ . تدل الصيغة الكاملة على أن كلا الطرفين المتعاهدين يعبران بين الحيوانات المشقوقة يحكم كل على نفسه أنه يستحق مصيرا مثل مصيرها إن كسر العهد . إلا أنه هنا كان دور أبرام مجرد تجهيز المشهد وحراسته من الاعتداء عليه (ع ١١) انظر تفسير ع ١٧ .

العددان ١١ و ١٢ : الوصف مقبض فى كل التفاصيل ، ولاشك أن ذلك يرجع من جهة إلى التركيز على أن العهد لابد أن يجرى رغما من المعارضة (ع ١١) وعن طريق دينونة عظيمة (قارن ع ١٣ و ١٤) ولكن الظلمة والدخان والنار (ع ١٢ و ١٧) كما فى سيناء ، مقصود بها على الخصوص أن تعلن « الخوف من الرب » ــ وقع القداسة على الخطية ؛ قارن إ ش ٦ : ٣ ــ ٥ . وحتى العهد الجديد كان لابد أن يبدأ بالأحداث : ظلمة ــ وزلزلة

(مت ٢٧ : ٤٥ و ٥١) .

أعداد ١٣ ـــ ١٦ : والنبوءة بالعبودية لها مغزى مزدوج ، فهى تبين أنه تهذيب مقصود ، مع نتائج محسوبة (لاحظ الكلمات المشهورة « وبعد ذلك .. بأملاك جزيلة » ع ١٤ قارن عب ١٢ : ١١) ، كما تكشف عن صبر الله من نحو سكان كنعان . إن العبارة فى ع ١٦ « لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا » لتلقى ضوءا هاما على غزو يشوع (.وعلى كل حروب العهد القديم بالقياس) على أنها حكم عدل وليس اعتداء . فإلى أن يصبح الغزو واجبا ، يجب أن ينتظر شعب الله حتى ولو كلفهم ذلك قرونا من المصاعب . هذا هو أحد التعاليم المركزية فى العهد القديم .

لا يوجد خلاف بين الرقم التقريبى « أربع مئة سنة » (ع ١٣) و « الجيل الرابع » (ع ١٦) حيث يمكن أن يعنى « جيل » (دور) مدة الحياة . وفى قرينة عصر الآباء القرن مرادف محافظ لهذا المعنى . خر ١٢ : ٤٠ يجعل المدة ٤٣٠ سنة .

عدد ١٧ : كان الدخان والنار (انظر التفسير على ع ١١ و ١٢) مثل عمود السحاب والنار فى وقت الخروج ـــ كان واضحا أنه ظهور إعلانى لله . ويفيد الرمز أن الله وحده هو صانع العهد . والتنبير هو على مبادأته وعلى عطائه كما يتضح من ع ١٨ بعكس العهد الأشبه بالمساومة كما فى ٣١ : ٤٤ مثلا . وهذا التنبير ثابت فى كل المكتوب ، انظر خاصة عب ٩ : ١٥ .. الخ حيث يعلق على جناس عهد ، ووصية .

أعداد ١٨ ـــ ٢١ : فى حكم داود فقط تحققت حدود ع ١٨ وكان ذلك حينئذ كامبراطورية وليس كوطن . وقد جذبت شعوب القينيين والكنزيين إلى أسرة إسرائيل ، واليبوسيون الذين قهرهم داود وأخذ حصنهم أورشليم وبقية قائمة الشعوب تبين مختلف المجموعات التى سكنت فى الأرض فى هذا الوقت اختلافا شهدت له مراجع معاصرة ، وعن اتمام الموعد انظر ٢ أى ٨ : ٧ و ٨ .

الأصحاح السادس عشر

أعداد ١ ــ ٦ : ميلاد اسماعيل :

يحدد هذا الأصحاح مرحلة أخرى فى استبعاد كل وسيلة إلا الوسيلة المعجزية فى سبيل الميلاد الموعود . ومن السخرية أنه بعد الصعود الذى حققه أبرام فى الأصحاحين السابقين ، أن استسلم تحت ضغط منزلى أمام خطط زوجته وتعنيفها ، مسرعا بغسل يديه من النتائج . إلا أن الزب الذى « ليس عنده تغيير » ساهر على الشخص الذى لا يهتم به أحد « ويجرى مشيئته » .

أعداد ١ ــ ٣ : أجازت العادات السائدة وقتئذ هذه الطريقة للحصول على طفل (مع أن هذه القصة ، وكذلك ص ٣٠ أثبتت عدم حكمتها) ، ويجب أن لا يفوتنا أن أبناء يعقوب الذين ولدوا بهذه الطريقة قد حسبوا أبناء بنوية كاملة بل ورؤوس أسباط . واستطاع أبرام أن يفكر أن الوعد فى ١٥ : ٤ يمكن أن يتحقق بهذه الطريقة ، كذلك فإن مرور عشرة سنين وهو فى كنعان (ع ٣) لابد أنها شددت الضغط عليه نحو هذا التصرف .

لأجل كل هذا زل عن الإيمان ، لكى ينقاد إلى الفكر ، وإلى رأى ساراى (ع ٢) ، وليس إلى الرب (قارن مت ١٦ : ٢٢ ــ الخ) . ويشبّه العهد الجديد ابن هاجر الذى « ولد حسب الجسد » ، بناتج المجهودات الشخصية فى الدين (غل ٤ : ٢٢ ــ الخ) باعتبارها غير متفقة مع الروحيات (غل ٤ : ٢٩) .

عدد ٢ : « أرزق .. بنين » الفعل يعنى حرفيا « أُبْنَى » (قارن أمثال ٢٤ : ٣) .

أعداد ٤ ــ ٦ : يمثل كل من الثلاث شخصيات نوعا من الباطل الذى هو جزء من الخطية ، الكبرياء الزائفة (ع ٤) واللوم الخاطىء (ع ٥) والحيادية الخاطئة (ع ٦) ؛ الا أن قناع ساراى قد انكشف حالاً (ع ٦ ب) ، لكى يبين الكراهية الكامنة خلف حديث العدل .

أعداد ٧ ــ ١٦ : هاجر والملاك :

أعداد ٧ ــ ٩ : كانت هاجر مندفعة إلى موطنها الأصلى مصر (كانت

برية شور على حدودها الشمالية الشرقية) وربما كانت قد سافرت مرة سابقة حتى قاربت قادش (ع ١٤) ولكن نصيبها وقع مع أبرام الآن ، وقد ربطها به صلاح الله (ع ٩ و ١٥) .

أعداد ١٠ ــ ١٢ : وكذلك فإن تعزية الله لها فى محنتها (ع ١١) كانت مشددة أكثر منها ملطفة محولة فكرها إلى أشياء آتية بدلاً من التأمل فى جراح الماضي . والاسم اسماعيل (« الله يسمع ») انظر تفسير ١٧ : ١٩ يذكرنا بهذه المواجهة وهذه النبوة . وربما خطر ببالها أن الوعد (الذى ينقصه إيمان أبرام الجاد فى طلبه) ، قد يمنحها كل ما تتمناه مع أن الوعد لم يقل شيئا عن بركة للعالم أو عن أرض موعد . يكفى أن إسماعيل سيكثر نسله ، وأنه لن يكون خاضعا لأحد . وإلى حد ما سيكون هذا الابن صورة مشوهة لأبيه ، وأولاده الرؤساء الاثنا عشر سيكونون مشهورين فى زمانهم (١٧ : ٢٠ ، ٢٥ : ١٣) . ولكن لا دور له فى تاريخ الخلاص ؛ وحياته القلقة ليست مرحلة بل نهاية فى ذاتها ؛ وعدم خضوعه عادة فكرية ولن يكون نورا للأمم .

وتحوى العبارة الأخيرة فى ع ١٢ نبوة عن المصير لها خاصية الازدواج (انظر الحاشية فى ٣ : ١٥) حيث أنها لها معنى محلى وبنفس القدر لها معنى عدائى (تعنى حرفيا « ضد وجه ») وكلا المعنيين صحيح بالنسبة لعلاقته ببنى عمومته . ونجد صدى لهذا القول فى ٢٥ : ١٨ .

العددان ١٣ و ١٤ : والآن يكشف عن أن ملاك الرب هو الرب نفسه[1] (قارن ١٨ : ١ ــ الخ ، خر ٣ : ٢ و ٤ ، قض ٦ : ١٢ و١٤ .. الخ) ، وتبين كلمات هاجر رهبتها لدى هذه الحقيقة . إنه الله ، قد رؤى فضلا عن أنه راءٍ ، هذا هو موضوع العددين حيث المجانسة بين كلمتين من الأصل « رأى » وهذا هو معنى كلمات هاجر حرفيا : « أنت إله الرؤية » (رئى معناها مرئى « إله منظور » قارن ١ صم ١٦ : ١٢ عن منظر داود) ، ثم تضيف « قد رأيت بعد (أو رأيت خلف[2]) رائيَّ » (رائىَّ= الذى يرانى

(١) انظر المقدمة .

(٢) قارن « فتنظر ورائى » (خر ٣٣ : ٢٣) والتعبير تقريبا مماثل وهنا يمكن جدا أن يترجم : « هل رأيت قبسا ... ؟ » .

قارن أى ٧ : ٨) .

فى هذه الكلمات يرد ما يعبر عن شعور بغرابة البقاء على قيد الحياة بعد رؤية الله أشبه برد فعل الرؤية على يعقوب فى فنيئيل (٣٢ : ٣٠) . إن فكرة القداسة كانت معروفة جيدا من قبل .

(بير لحى رُئى) معناها الحرف « بئر الحى رائىّ »، لهذا فيخلد الاسم العنصر الباقى وليس العنصر الزائل فى الاختبار .

العددان ١٥ و ١٦ : تؤكد الخاتمة مسئولية أبرام عن إسماعيل الأمر الذى وضحه عودة هاجر ــ مسئولية معترف بها أكثر فى الأصحاح التالى .

الأصحاح السابع عشر

أعداد ١ ــ ٢٧ : تأكيد العهد وختمه :

إن مرحلتى صنع العهد فى ص ١٥ ، ١٧ لم يكونا اختبارا لإيمان أبرام بطول الانتظار فقط بل أظهرا جانبين لعملة واحدة . فقد قرر ص ١٥ مثال النعمة الأساسى ، واستجابة الإيمان ؛ فلم يطلب من أبرام شيء سوى أن يؤمن « ويعرف عن يقين » . وها نحن إزاء ما يتضمنه العهد فى عمقه وامتداده ! لأن الإيمان يظهر فى التكريس الكلى (ع ١) ؛ وفى امتداد لأن كل الرفاق يجب أن يحملوا العلامة ، واحدا فواحدا جيلا فجيل (ع ١٠ ــ الخ) . إذاً فالأصحاحين معا يرسمان المشاركة الخاصة والعامة ؛ الإيمان الداخلى والختم الخارجى (قارن رو ٤ : ٩ و ١١ ؛ البر المحسوب والولاء الواضح (١٥ : ٦ ، ١٧ : ١) .

أعداد ١ ــ ٣ : المقدمة : هذه الافتتاحية لا تروى قصة مساومة ، فإن المكتوب هنا هو الشروط التى بها يمكن لله أن يعطى بدلا من أن يأخذ (فى الحقيقة ع ٢ يبدأ بما يعنى حرفيا « لكى أعطى [أو أمنح] ... ») إنه يرغب فى علاقة ليست عن بعد ، أو ذات قلب منقسم[1] .

مناسبة مميزة باسم جديد لكل من الطرفين (ع ١ و ٥) شيء أشبه بما صار بعد ذلك من كشف اسم يهوه وارتباطه بالعليقة المشتعلة (خر ٣ : ١٤ ، ٦ : ٣) . « الله القدير » هى ترجمة لـ « إيل شَدَّاى » كما فهمه مترجمو السبعينية . على أن التحليل التقليدى للاسم هو « الله (إيل) كفايتى » . وحديثا توصلوا إلى أن شداى تعنى « جبل » (استخدم الوصف الله صخرتى فى العهد القديم) ، ولكن لا يوجد اجماع على ذلك . ويجدر الاهتمام باستخدام الكلمة مع التأكيد المعروف عن القدرة ، خاصة مقابل ضعف الإنسان ، وهو اسم إلهى محبب فى (سفر أيوب) . ويميل سفر التكوين إلى استعماله لمواجهة أحوال يعانى فيها عبيد الله من الضغط ، ويحتاجون إلى الطمأنينة[2] .

إن انبطاح أبرام أمام الله (ع ٣ قارن ع ١٧) بعكس صلف آدم ، بين

---

(١) بالنسبة لمعنى « كاملا » (بلا لوم) انظر التفسير عن ٦ : ٩ .

(٢ انظر تك ١٧ : ١ ، ٢٨ : ٣ ، ٣٥ : ١١ ، ٤٣ : ١٤ ، ٤٨ : ٣ ، ٤٩ : ٢٥ .

أساس العهد بين سيد وعبده . ومثل هذه العلاقة نمت حتى صارت علاقة صداقة كاملة (يع ٢ : ٢٣) .

أعداد ٤ ــ ٨ : المواعيد (« **وأما أنا ...** ») تأمل التركيبة « وأما أنا .. » (ع ٤) « وأما أنت ... » (ع ٩) من الناحية المادية نجد أن موعد الأرض لا يتغير ، ولكن نجد حديثا عن أمم وملوك ، ويروى سفر التكوين نشأتهم بما فيهم المديانيين (٢٥ : ٢) والاسماعيليين (٢٥ : ١٢) ، وملوك من أدوم ومن إسرائيل (٣٦ : ٣١) وبعد هؤلاء نرى فى العهد الجديد جماهير المسيحيين فى « الأمم الكثيرة » (رو ٤ : ١٦ و ١٧) . والاسم « إبراهيم » يوعز بأنه حدث اتحاد بين الجزئين الأصليين (أب ــ رام = أب ــ رفيع) مع جزء من ثالث هو (هامون = جمهور) .

إن جوهر العهد روحيا شخصى مثل « أكون » فى عهد الزواج ، كذلك العهد « أكون الههم » (ع ٨ب) قارن (ع ٧ب) وهذا يفوق الامتيازات الخاصة . هذا هو العهد .

أعداد ٩ ــ ١٤ : الاشتراطات (« **وأما أنت ...** ») إن الأمر المذهل فى هذه الاشتراطات هى خلوها من التفاصيل . كل المطلوب أن يكون « ملتزما » . علامة الله هى الختان ؛ أما المضمون الأخلاقى فغير مكتوب (حتى عهد سيناء) وهنا نجد شخصا قد تعاهد مع سيد . أما تعهده بأسلوب حياة فهو يأتى فى مرتبة ثانوية .

كان الختان واسع الانتشار فى الشرق الأدنى . وقد استهجن الشعب الفلسطينيين الآتين من الغرب لأنهم لا يمارسونه . والجديد فى هذا الأمر هو معناه الجديد ، فهو يبين المدخل إلى العهد ، وليس إلى الرجولة (كما يعتبره العرب فى العصر الحديث) . ومن هنا كانت ممارسته المبكرة (ع ١٢) متضمنة الارتباط بشعب الله (ع ١٤ ب) ، وبالله (إر ٤ : ٤) . كذلك صار رمزا إلى نبذ الطرق الوثنية (يش ٥ : ٩) ، والمشيئة الذاتية الطبيعية (تث ١٠ : ١٦ قارن كو ٢ : ١١ و ١٢) . لاحظ أن العهد كان متاحا للأمم (ع ١٢ ب و ١٣) ولكنهم يجب أن ينتموا انتماءً كاملا للمجتمع (قارن خر ١٢ : ٤٥) .

أعداد ١٥ ــ ٢٢ : سميت سارة من أجل دورها : يبدو أن ساراى

وسارة هما الصيغتان ، القديمة والحديثة لذات الكلمة « أميرة » ، ولكن إعادة تسميتها هى إحدى العلامات المحددة التى أدخلتها إلى الوعد وجعلت لها حقائق فيه (ع ١٦ و١٩) .

العددان ١٧ و ١٨ : عندما نفحص ضحك إبراهيم فى نور جواب الله وفى نور رو ٤ : ١٩ ــ الخ نجده رد فعل يعبر عن الشك ، مكتفيا بأمر واقعى كما يظهر من محاولته الرقيقة أن يحول نظر الله إلى مسار أكثر معقولية (ع ١٨) ، ولكنه كان مستعدا لتلقى التصويب . ولا يقسو الله أبدا على مثل هذا الإيمان الصريح فى صراعه (انظر التفسير على ١٥ : ٨) ولقد خفف من شك إبراهيم ما ظهر فى حديثه من إيمان ومحبة فى طلبته لأجل إسماعيل .

أعداد ١٩ و ٢١ : اسم « اسحق » مثل اسماعيل ، ويهوذا ويوسف نموذج شائع فى ذلك الزمان ، وهى أسماء تعبر غالبا عن صلاة مثل « ليسمع الله » (إسماعيل) ، الخ . فإن كان على قياس ذلك معنى اسحق (ليبتسم له الله) فإنه يحمل رسالة إلى كل من ضحك سراً إنها رسالة الضحك ، وهذا هو الوعد والمعجزة اللذان جعلا ميلاده فريدا ، هذا الميلاد المخطط من الله دون شك . انظر أيضا تفسير ٢١ : ٦ .

عدد ٢٠ : يقابلنا حق الله المطلق فى الاختيار فى كل مكان فى هذه الأصحاحات (قارن رو ٩ : ٩ ــ الخ) ؛ ولكن لديه بركات أخرى غير التى حفظها لإسرائيل ، وفى النهاية لديه ورثة آخرون للعهد غير أولئك الذين انتقل منهم تاريخيا (قارن رو ٩ : ٢٤ ــ الخ) وهناك كرامة لإسماعيل مناسبة لإمكاناته (انظر التفسير على ١٦ : ١٠ ــ الخ) وصيغة الأفعال فى ع ٢٠ تلقى نورا على الصلاة والاستجابة وإتمامها .

عدد ٢٢ : أنهى الله المحادثة كما كان هو الذى بدأها . حقيقة لها معناها ويمكن ملاحظتها بصفة خاصة فى الفصل الشفاعى فى ١٨ : ١٦ ــ الخ .

أعداد ٢٣ ــ ٢٧ : ختان إبراهيم وأهل بيته : التنبير الرئيسى فى هذه الفقرة فى ع ٢٦ و ٢٧ على جمع الناس على اختلافهم فى العمر ، والحالة ، والاختبار الروحى إلى عهد واحد : أما بالنسبة لإبراهيم فقد كان الختان ختما لاتفاقية قديمة (رو ٤ : ٩ ــ ١٢) . وأما بالنسبة للآخرين فقد كانت تعرفا مفاجئا (فى ذلك اليوم عينه ع ٢٦) إلى علاقة مع الله ومع بعضهم البعض .

وهذه المفاهيم يجب أن نفهمها وأن نعيشها . وبذات المعنى الذى نفهم به أن يوم الخمسين كان يوم ميلاد الكنيسة ، كان ذلك اليوم هو يوم ميلاد كنيسة العهد القديم .

الأصحاح الثامن عشر

أعداد ١ ـــ ١٥ : افتقاد الله لإبراهيم :

اللقاء فى الظهيرة فى هذا الأصحاح وفى الليل فى الأصحاح التالى يظهران الفرق بين الظلمة والنور بأجلى معانيهما . ففى اللقاء الأول الودى اللطيف الملىء بالمواعيد والذى توج بشفاعة إبراهيم نرى إيمان إبراهيم ومحبته التى تدل على مدى اهتمامه بالآخرين .

أما المنظر الثانى فقد عمه الارتباك والخراب ، اخلاقيا وطبيعيا ، وينتهى الأصحاح فى قذارة خالية من مجرد الحب ، أقبح حتى من خراب المدن .

أعداد ١ ـــ ١٥ : لا نجد إضافة إلى الوعد المذكور فى ١٧ : ١٥ ـــ الخ ، والجديد هنا هو أسلوب تقديمه ، وتحدى إيمان سارة ـــ إذ كان يجب أن تشترك فى الإيمان . وتوضح الأعداد ١٢ ـــ ١٥ كم كان ذلك التحدى ضروريا . وفى عب ١١ : ١١ يظهر نجاحه .

العددان ١ و ٢ أ : تعرض المفسرون المسيحيون لتجربة اعتبار ظهور الثلاثة أقانيم هنا ، ولكن الفصل يفرق بين الرب وبين رفيقيه (انظر ع ٢٢ ، ١٩ : ١) قارن التفسير على ١٦ : ١٣ و ١٤ .

أعداد ٢ ب ـــ ٨ : إن الحفاوة الملكية المقدمة إلى زائر مفاجىء ـــ والترحاب الحار بغض النظر عن الميعاد (فقد كانت وقت النوم ظهرا ع ١ب) ، والتأكيد بأن وصول الضيف شرف (ع ٣) بل تشريف[1] (ع٥ ب) ووجبة الكرم التى وصفها مقدمها بأنها « كسرة خبز » (ع ٥) ـــ كل هذه من خواص كرم الضيافة البدوية ؛ إلى درجة إصرار المضيف فى بعض الأحوال على البقاء واقفا حتى ينتهى الضيوف من الطعام . ويستطيع القارىء أن يرى كيف أنه كان هذا الاحترام لدرجة تفوق حد القصور ، ويسترسل العهد الجديد لكى يبين أن هذا لم يكن مجرد صدفة (قارن عب ١٣ : ٢ ، مت ٢٥ : ٣٥) .

---

(١) « لأنكم » يمكن أن تعنى حيث أنكم وبهذا المعنى أيضا وردت فى ١٩ : ٨ .

أعداد ٩ ــ ١٥ : « وكانت سارة سامعة » . والمصدر هنا يعطى صورة حية . وضحكتها هنا تعنى إما أن إبراهيم لم يكن قد أخبرها بعد بالوعد ، أو أنه فشل فى إقناعها به . على أن انتهار الله لها ، فى حين أنه كان رفيقا بإبراهيم (١٧ : ١٧ و ١٩) يرجح الرأى الأخير ، أى أن سارة كانت على إصرارها على عدم الإيمان ، وليس مجرد أنها كانت مندهشة . ويضيف تعقيبها الجسدانى (ع ١٢ ب) على الانطباع أن اهتمامها بالموعد والعهد كان لازال سطحياً .. ومع ذلك فقد كان كلامها سببا فى صدور أحد الأقوال العظيمة فى الكتاب المقدس (ع ١٤) الذى صار فيما بعد نقطة البداية لمحاورة فاحصة عن القدرة على كل شيء (إر ٣٢ : ١٧ ــ الخ) وكذا عاد إليها زكريا (٨ : ٦ ع).

أعداد ١٦ ــ ٣٣ : إبراهيم يترافع عن سدوم :

كانت المبادأة فى هذه الشفاعة العظيمة من الله ، إذ أنه هو الذى افتتح الكلام عن الموضوع بنفسه (ع ١٧) وتوقع رجاء إبراهيم (ع ٢٢ انظر التفسير) ، واختار النقطة التى عندها ينتهى الأمر (ع ٣٣) . والأمر غير الظاهر هنا أن روح العدالة والمحبة لدى إبراهيم مستمدة كلية من الله كما أنه استخدم هذه الروح فى حواره مع الله . لكن يعزى إلى إبراهيم لباقته وتماسكه مما يبين أن موهبة الله قد تأصلت فيه وترعرعت . فلم يكن الرجل الموافق فقط بل الشريك الحقيقى .

أعداد ١٧ ــ ١٩ : يبرهن السؤال « هل أخفى .. » أن إبراهيم « خليل » الله (إش ٤١ : ٨) حسب مقياس الله (يو ١٥ : ١٥) ويؤكد على ذلك أكثر التعبير « عرفته » (ع ١٩) فهو يعنى فى الواقع « قد جعلته خليلى » .

ويبين ع ١٩ خاصة وبوضوح كيف تعمل النعمة والناموس معا ؛ إذ أنه يبدأ بالنعمة (« عرفته ») ويتجه ناحية التهذيب الناموسى الصارم (« يوصى .. طريق .. برا .. وعدلا ») الذى عن طريقه تصل النعمة فى النهاية إلى هدفها « لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به » . كذلك هو تفسير كاشف بالنسبة للمسئولية الأبوية متمشية مع ١٧ : ١١ ــ الخ ، قارن تى ٣ : ٤ و ٥ .

العددان ٢٠ و ٢١ : قد يعنى « صراخ سدوم » « الصراخ ضدها » أو ببساطة « شر المكان الصارخ » ويرد التعبير ثانية فى ٩ : ١٣ . ويعلن هذا

القول الإلهى دينونة شديدة الخطر ، وهى تقدم أساسا متينا لصيحة إبراهيم فى ع ٢٥ جـ .

٢٢ : يوجد فى بعض الترجمات أن الرب انتظر إبراهيم . ولكن الترجمة العربية مع عدة ترجمات أخرى تقول إن إبراهيم لم يزل قائماً أمام الرب حتى تقدم ليحادث الله .

أعداد ٢٣ ــ ٣٣ : من السهل أن نقول إن هذه الصلاة تكاد تكون نوعا من المساومة . والأجدر أن نسميها استكشافا : فإن إبراهيم يتحسس طريقه للأمام بوداعة فى روح الإيمان (وقد عبر عن هذا تعبيرا رائعا فى ع ٢٥ جـ ، حيث يتمسك بعدل الله البار الواسع المدى) ــ وقد ظهرت الوداعة فى طريقة حديثة ، مع المحبة التى ظهرت فى اهتمامه بكل المدينة ، وليس بأقربائه فقط .

هذه هى المرة الثانية التى يتداخل فيها إبراهيم من أجل سدوم (قارن ١٤ : ١٤) . وهذا جزء من البركة التى يتبارك بها كل العالم عن طريقه (١٢ : ٣) ــ وهو نوع من بذل النفس كوسيلة لذلك . وقد واصل موسى هذا الأمر إراديا (خر ٣٢ : ٣٢) وواصله العبد الإلهى عملا (إش ٥٣ : ١٢) .

الأصحاح التاسع عشر

١٩ : ١ ــ ٢٩ افتقاد سدوم :

فى تطور القصة يظهر موضوعان يتداخلان مع قصة حياة إبراهيم والموعد ــ موضوع لوط البار الذى فقد روح السائح ؛ وموضوع سدوم المثال الصارخ للوعود العالمية ، وعدم الأمان (ص ١٤) والفساد ــ وهنا يصل هذان الموضوعان إلى ختامهما . وفى رواية بلغت الروعة نجد إبراهيم الذى عايش الذين انغمسوا فى العالمية ، واقفا فى موقع الشفاعة (ع ٢٧) شهادة صامتة على الكارثة التى سعى أن يمنعها . إنها دراسة رائعة لجانبين من الدينونة : الجانب الانقلابى المفاجىء إذ تختفى المدن بفعل النار والحمم ؛ والعقاب التدريجى إذ يصل لوط وأسرته إلى مرحلة الانحلال وتفكك الأسرة عند دعوة الملاكين له للخلاص .

عدد ١ : « الملاكان » هناك تمييز واضح بينهما وبين الرب نفسه : انظر ع ١٣ وتفسير ١٨ : ١ . أما عن لوط ومكانه « فى باب سدوم »[1] (قا ٣٤ : ٢٠) فيظهره كرجل له قدره فى سدوم ولكن ذلك لم تكن له قيمة مقابل طرق سدوم (٢ بط ٢ : ٧ و ٨) . وفرق شاسع بين عدم تأثيره فى محيطه وبين تأثير كل من يوسف ودانيال فى مركزيهما الرفيعين . والفرق هنا راجع إلى أن هذه المراكز كانت بتعيين من الله وليست بناء على استحسان شخصى .

العددان ٢ و ٣ : يبين انزعاج لوط فى ع ٣أ أنه كان يعرف مدينته سدوم وقد كانت أحداث تلك الليلة نموذجا حقيقيا لما كان يدور فيها . « فطيرا » ، لأنه سريع الصنع ، وهذا يبين أن هذا العشاء لم يكن يشبه بتلك الحفاوة الكريمة التى ظهرت فى ص ١٨ (قارن خر ١٢ : ٣٩) هنا نجد فكرة العجلة التى تتزايد إلى قمة الحدث .

العددان ٤ و ٥ : بهذا العمل الذى ورد فى أول الكتاب المقدس وصفت

---

(١) هذا التعبير معناه إن لوط كان قاضيا فى سدوم (قارن ع ٩) وكلمة الباب أو باب المدينة تعنى الحكمة (انظر تث ١٦ : ١٨ ، را ٤ : ١ ، تث ٢١ : ١٩ ، ٢٢ : ١٥ ، يش ٢٠ : ٤ ، مت ١٦ : ١٨ وغيرها) ــ المترجم .

خطية سدوم باعتبارها عملا شائناً ، ويعتبرها الناموس من الكبائر ، ضمن مجموعة منها الفسق بالمحارم أو مضاجعة البهائم (لا ١٨ : ٢٢ ، ٢٠ : ١٣) وذكرها مروع أيضا فى العهد الجديد كذلك (رو ١ : ٢٦ و ٢٧ ، ١ كو ٦ : ٩ ؛ ١ تى ١ : ١٠) .

وقد عملت محاولة لإعادة تفسير القصة (انظر الملاحظة الإضافية فى آخر هذا الأصحاح) .

أعداد ٦ ــ ٨ : يتضح هنا بجلاء أن الفضيلة المبالغ فيها ما يمكن أن تتخذ شكل رذيلة ؛ إذ أن شجاعة لوط فى اندفاعه نحو الغوغاء يبرهن على إخلاصه ، وذات العرض فى قض ١٩ : ٢٤ ، يبين ذات المستوى من القيم . فالعرف البشرى فى أى جيل مقياس خادع غير معصوم من الخطأ .

أعداد ٩ ــ ١١ : بذل لوط قصارى جهده ، فجازف بابنتيه ، وأسخط مواطنيه وأخيرا طلب النجدة من الذين حاول أن يحميهم . إن زيارة الملائكة قد زعزعت السلام المقلقل الذى عاش فيه زمنا طويلا . وربما تدل الكلمة النادرة المترجمة « العمى » ، على حالة خطف البصر ، مثلما حدث لشاول وهو فى طريقه إلى دمشق . وقد وردت الكلمة ذاتها فى ٢ مل ٦ : ١٨ وهناك أيضا فى قرينة ظهور ملائكة ..

أعداد ١٢ ــ ١٤ : إن وحدة الأسرة فى نظر الله (قارن ٧ : ١ ، ٩ : ١ ، ١٧ : ٩ ، ١٨ : ١٩) وحرية أفرادها فى رفض العرض ــ كلاهما حقيقتان حيويتان هنا . وبلاشك فى أن فشل لوط فى أن يؤثر فى أصهاره الذين سيتزوجون بناته[1] يعكس شخصيته ، كما يعكس بنفس القدر شخصياتهم . لم يكن لغوغاء سدوم أى أذن تسمع نداء (ع ٩) ، ولا استجاب أقرب المقربين إليه لتحذيره . هذا كان طابع المدينة ، بل حتى زيارته الليلية اليائسة لهم لم يأخذوها مأخذ الجد .

بالنسبة لـ « صراخهم » (ع ١٣) انظر تفسير ١٨ : ٢٠ .

---

(١) الموافق الترجمة التى تترجم المصدر فى ع ١٤ « الذين سيتزوجون ... » على أن الجمع هنا (بنتاو) يختلف عن (مثنى بنتاو : المثنى فى ع ١٦) وهما اللتان لم ترتبطا برجل الموجودتين (ع ١٥) وماذا عن بنيه (ع ١٢) ؟ أرى أنه كان له أولاد وهلكوا مع زوجاتهم السدوميات ، وبنات أخر متزوجات هلكن مع ازواجهن ــ المترجم .

أعداد ١٥ ـــ ٢٣ : فى هذا الصراع فى الدقيقة الأخيرة ، تظهر بقوة قبضة « هذا العالم الشرير » حتى على أولئك الذين يحبونه بضمير شرير . لدينا التحذير « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) . وهذا يدعونا لكى نرى مدى قدراتنا فى ضوء مماطلة لوط نفسه ومماحكته بينما يسحبه الملاكان سحباً إلى السلامة . وحتى الحمم لم تصنع منه سائحا ، فى رأيه أنه يجب أن يسكن فى سدوم صغيرة مرة ثانية إن أمكن المعيشة فيها (ع ٢٠ جـ) .

ومقابل هذا يظهر صبر الله راعيا حتى المقاومين للوصول بهم إلى السلامة . (لاحظ ع ٢٢ قارن ٢ بط ٢ : ٧ ـــ ٩ ، ١ كو ٣ : ١٥) انظر أيضا العوامل الإضافية المعبر عنها فى ع ٢٩ .

أعداد ٢٤ ـــ ٢٦ : كانت عناصر الدمار الطبيعية (انظر تفسير ١٤ : ٣ و ١٠) متوفرة فى هذه البقعة حيث البترول ، وغاز البتومين و الملح والكبريت ، لكن هذه الكارثة لم تكن عشوائية أو حدثت صدفة بل كانت دينونة . أما غمر امرأة لوط بمواد الانفجار المنصهرة التى سقطت عليها ، فليس ذا بال من الناحية الفيزيائية ، ولكن فى قرينة الدينونة تصور بطريقة مؤثرة مصير أولئك الذين يلتفتون للوراء (قارن عب ١٠ : ٣٨ و ٣٩ ، لو ١٧ : ٣١ ـــ ٣٣) .

أعداد ٢٧ ـــ ٢٩ : إذ يأخذ إبراهيم طريقه فى الفجر إلى حيث كانت له الفرصة الرائعة مع الله ، يرى منظرا يفاجئه بالجواب المريع ـــ منظرا يحكى القصة بشكل عام بعد تركيزها على أسرة واحدة بل ويصور دينونة الله فى ضوء خلفية من طول أناة الله ، وتشفع الإنسان . وذات الخلفية تثبتت فى أمر خلاص لوط فى ما قل ودل : « أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطا من وسط الانقلاب » (ع ٢٩) .

أعداد ٣٠ ـــ ٣٨ : خاتمة : لوط وابنتاه :

كان موقف لوط بالنسبة لصوغر مثالا كلاسيكيا للقلق الناجم عن الخوف . فالخوف هو الذى دفعه إلى هناك (ع ١٩ ـــ الخ) والخوف أيضا هو الذى أخرجه منها . لقد نحى الخوف الدعوة جانبا ، والآن ينحى المنحة التى منحها له (ع ١٧ و ٢١ و ٣٠) .

إن « مغارة » لوط ع ٣٠ نهاية مرة للبيت (ع ٣) الذى تتضاءل أمامه

خيمة عمه إبراهيم وعاش ثلاثتهم مأساة بعد الكثرة العظيمة فى ١٣ : ٥ ــ الخ . وكانت نتيجة اختياره أن يشق طريقه بطريقة ذاتية أن خسر حتى سيطرته على جسده ، وقدم نسله : موآب وعمون أسوأ (ع ٣٧ و ٣٨) . كان إغراء جسدانى فى تاريخ إسرائيل (بعل فغور عد ٢٥) وأقسى ممارسة دينية وحشية وحشية (مولك لا ١٨ : ٢١) نتج كل هذا عن الاختيار الذاتى (١٣ : ١٠ ــ الخ) والتشبث به .

ملاحظــة إضافيــة

عن خطية سدوم

فى كتاب انتشر كثيرا وتأثر الكثيرون بأفكاره يدعى « الجنسية المثلية والعرف المسيحى الغربى » (لونجمانز سنة ١٩٥٥) ، ينكر د . شيروين بيلى أن الفعل « يعرف » فى تك ١٩ : ٥ وفى قض ١٩ : ٢٢ ، له مدلول جنسى . ويبنى إنكاره على (أ) برهان إحصائيٍ للكلمات (حيث وردت كلمة يعرف خمسة عشر مرة فقط بمعنى جنسى فى العهد القديم مقابل ٩٠٠ مرة فى معناها الأصلى) . (ب) برهان نفسى (يعلن بأن المضاجعة طريق إلى المعرفة الشخصية « مبنى على الاختلاف الجنسى وليس على مجرد الاختبار الجنسى الجسدى ») (جـ) برهان ظنى (حيث أن كلاً من لوط وجمهور قض ١٩ كانوا متغربين فيبدو أنهم اعتبروا أن لوط قد تعدى حق المتغرب فى قبول أجنبيين لم تعرف هويتهم .

بحسب هذا الرأى فإن احتجاج لوط كان ضد الفظاظة فى طلب الهويات . وكان شر سدوم العام (الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان » حز ١٦ : ٤٩)[١] ، قد تأكد للملاكين بالكناية عن طريق الهياج الهمجى وعدم إظهار حسن الضيافة والظهور بمظهر خشن » .

على هذا نجيب : (أ) الاحصائيات لم تكن قط بديلا للدليل القرينى (والا فالمعنى القليل الاستعمال يصبح غير محتمل على الإطلاق) . وفى كلا هذين

---

(١) ولكن لاحظ ما يقوله فى العدد التالى « وعملن الرجس أمامى » .

النصين الطلب « لمعرفة » الضيوف يواجه بعرض استعملت كلمة « يعرف » فى المعنى الجنسى (تك ١٩ : ٨ ، قض ١٩ : ٢٥) وبغض النظر عن الارتباط اللفظى — فإن جواب لوط على طلبهم معرفة هوية الضيوف بتقديم ابنتيه ، يجعل الكلام غير مترابط بشكل مضحك (ب) وعلم النفس يقدم المعرفة (أو التعارف) باعتبارها نتيجة للاتصال الجنسى . على أن استعمال الكلمة مرن جدا . لا يستطيع أحد أن يقول بأن رجال جبعة فى قض ١٩ : ٢٥ كانوا يتعرفون على السرية بمعنى التفاهم الشخصى ، ولكن مع ذلك استعملت كلمة « عرف » (جـ) والظن هنا يستجدى المعنى استجداء خاصا . إذ أنه يبدل السبب الخطير بسبب تافه (الهياج .. وعدم كرم الضيافة) ، كأساس لقرار الملاكين .

زيادة على ذلك فإن هذا الرأى يسكته يهوذا فى رسالته ع ٧ بقول يفرض على دكتور بيلى أن يعتبره إضافة متأخرة .

كان لابد أن نناقش هذه النقطة بتوسع حيث أن الشكوك التى اختلقها دكتور بيلى قد ذهبت إلى أبعد من الأسباب التى ابتدعها من أجلها . وواضح أن كل هذه الأسباب لا تستطيع أن تقاوم التدقيق الجاد .

الأصحـاح العشــرون

أعداد ١ ــ ١٨ : إبراهيم يخدع أبيمالك :

بعد جهاد إبراهيم الرائع هوى إلى تخطيط خال من الإيمان أشبه بمواقفه الأخرى بعد قمم حياته السابقة (انظر ١٢ : ١٠ ــ الخ ص ١٦ وتفسيرها) وكانت كل تلك اللحظات تحمل فى ذاتها انذارا له . ولكن القصة مثيرة حقا . فإنه على هامش قصة ميلاد إسحق ، يجازف إبراهيم بالوعد ذاته ويجعله ثمن سلامته الشخصية . فإذا تحقق فالفضل فيه لا يعود إلى الإنسان . وواضح أنه لا يحصل عليه أدبيا ، أو جسديا إلا بنعمة الله .

ويعتبر النقاد القصة تكرارا لما جاء فى ١٢ : ١٠ ــ الخ ، ويستندون فى ذلك إطلاقا على أن الشخص لا يمكن أن يكرر زلة من هذا القبيل . على أن التوفيق النظرى أسهل من التصرف تحت تأثير الخوف ؛ وعلى أى حال فإن ع ١٣ يبين أن إبراهيم قد جعل هذا الاحتياط خطة له متفقا عليها (انظر المقدمة ٢ (ب) ٣ وتفسير ٢٦ : ١ ــ ١١) .

عدد ١ : « الجنوب » أصلها « نجب » (النقب) انظر تفسير ١٢ : ٩ يخبرنا الجزء الأول من العدد عن دائرة رحلات إبراهيم عموما ، وتقودنا الجملة الأخيرة إلى القصة التالية الواقعة فى مكان يبعد عنها قليلا إلى الشمال ، نحو غزة .

عدد ٢ : أبيمالك « (الله) الملك هو أبى » ــ وربما كان هذا اللفظ لقبا ملكيا . فهناك أبيمالك آخر بعد ذلك فى ص ٢٦ ، كذلك يسمى بهذا الاسم ملك أخيش فى مز ٣٤ [العنوان] . وأما عن أخذ سارة فى هذا العمر فانظر التفسير على ١٢ : ١٤ .

أعداد ٣ ــ ٦ : هنا تستعمل الكلمات الأخلاقية « بارة .. بسلامة قلبى .. تخطىء » فى معنى ضيق . يلقى ضوءا غير مقصود على دعوى البراءة المؤكدة فى بعض المزامير .

عدد ٧ : فى الديانات الوثنية كانت قداسة نبى أقرب للسحر منها إلى الأخلاقيات (قارن عد ٢٢ : ٦) ؛ ولذلك يستطيع القارىء أن يرى أكثر من أبيمالك كيف نزل إبراهيم عن لقبه كنبى وهو يتكلم الكلام الخادع ،

ويستطيع أن يقارن خجل إبراهيم وهو يصلى لأبيمالك ، بأمجاد الصلاة من أجل سدوم . ويستطيع أيضا أن يلاحظ كيف يقف الله إلى جوار خادمه ليسترد إبراهيم من حماقته حالا بعد استرداد لوط .

أعداد ٨ ــ ١٣ : توضح أسئلة ابيمالك الثلاثة فى ع ٩ و١٠ أن إبراهيم لم يسأل نفسه إلا سؤالا واحداً هو « ماذا سيحدث لى بسبب هذا ؟ » وقد أخمد الخواطر الأخرى « ماذا سيحدث لهم ؟ » « ماذا يستحقون ؟ » « ما هى الحقائق ؟ » (« ماذا رأيت ؟ » ع ١٠) نهاية ع ٩جـ « أعمالا لا تعمل »[١] ، فقد أساء إلى أبسط مبادىء الضيافة .

وقد اعترف إبراهيم فى جوابه بأنه اختار اختيارا خاطئا هو فى الواقع مسلك أى إنسان معرض للخطأ فى ضوء هذه الحقائق (ع ١١) . والقيم (مثل التحايل على القوانين والشرع) (ع ١٢) والدوافع (الجبن فى ع ١٣) . ولكنه أفسد الاعتراف بمحاولته أن يلقى التبعة على غيره مثل آدم (ع ١٣) التى يمكن أن نقرأها « عندما أتاهتنى الـ آلهة .. »[٢] هذا أسلوب الوثنى ، الذى يتحدث به إنسان عالمى إلى صاحبه .

بالنسبة للزوجة الأخت انظر تفسير ١٢ : ١٣ ، وبالنسبة لأهمية القول « فى كل مكان » (ع ١٣) فيما يتعلق بالزلات السابقة انظر المقدمة على هذا الأصحاح .

أعداد ١٤ ــ ١٨ : وتبين هدايا أبيمالك الوافرة ، مدى تقديره لقدرة إبراهيم فى صلاته التى لازال يحتاج إليها (انظر ع ١٧ و ١٨) وفى ضوئهما يتقرر معنى ع ١٦ الصعب الفهم . فمعنى « غطاء عين » هو « إنها تمنع كل لوم » . والفعل الأخير فى العدد يمكن أن يترجم « تزكيت » كما فى أى ١٣ : ١٥ . ففى تقديم التعويض قد اعترف ابيمالك بخطئه (رغم أن اللفظ « أخاك » يؤكد من جديد براءته) وفى قبول إبراهيم له قرر أن الأمر صار منتهياً .

---

(١) قارن ٣٤ : ٧ .

(٢) قارن إش ٣ : ١٢ ، إر ٢٣ : ١٣ و ٣٢ .

٢ - إسحق واختبارات الإيمان الأخرى
(الأصحاحات ٢١ - ٢٦)

الأصحاح الحادى والعشرون

أعداد ١ ــ ٧ : ميلاد إسحق :

هكذا تنتهى فترة الترقب التى زادها الحدث الأخير حدّة . فالأسلوب العملى الواقعى فضلاً عن التأكيد على ما قاله الله ... تكلّم ... تكلّم (١ و ٢) يعبر عن سيطرة الله على مجريات الأمور بإحكام بالغ الدقة .

عدد ٦ : طبقاً لترجمة RSV : « لقد صنع إلىَّ الله ضحكاً » ، وعلى هذا فإن الاسم الذى يحمل فى طياته احتمال اللوم أو التأنيب (١٨ : ١٥) نراه الآن لا يعطى سوى البهجة والفرح (انظر اسم يزرعيل فى (هو ١ : ٤ ، ٢ : ٢٢) وترجمة RV وهامش ترجمة RSV) .

وإبان ذلك لم تكن سارة تهيم فى عالم الخيال بل الإيمان (عب ١١ : ١١) بيد أن نزعتها كانت عائلية ومادية – وليس ثمة شك فى أن العناية الإلهية دبرت لها ما يبهجها ، ذلك أنه قد توفرت لإسحق كل الأمور العادية التى يحتاجها طفل لكى يكون مصدر سعادة لعائلته ، وكذلك من أجل المستقبل الذى ينتظره .

أعداد ٨ ــ ٢١ : طرد إسماعيل :

والخلاف ، مهما بدا تافهاً للوهلة الأولى (١١) ، إلا أنه نجم عن أمر جوهرى كان للزمن أن يكشف عنه ، وهو ما فسره العهد الجديد بأنه التنافر بين ما هو حسب الجسد وما هو حسب الروح (مز ٨٣ : ٥ و ٦ ، غل ٤ : ٢٩ وسياق الكلام) . وكلام سارة كان صادقاً بأكثر مما كانت تدريه . بيد أن العاقبة تبين مدى اختلاف موقف الله عن موقفها بالنسبة للمنبوذين – وهى حقيقة يجب تذكرها عند دراستنا لإرادته السامية . وفى النهاية (٢٠ و ٢١) بدأت تظهر الميول الطبيعية لكل منهما لتؤكد حكمة الفرقة بينهما .

والقصة تعد تكملة للأصحاح ١٦ ، حيث كانت كل الأطراف تتصرف

بحسب دوافعها وكانت قد ذُكّرت بأنه عليها أن تعيش معاً مدة أربع عشرة سنة أو يزيد (انظر ١٧ : ٢٥) . أما الآن ، وبعد أن وُلد الابنان وتم ختانهما ، فقد جاء الوقت الذى عيّنه الله ، انظر فترة نضج بطيئة أخرى فى (١٥ : ١٦) .

عدد ٩ : « يمزح » (بما يُفهم منه أن سارة كانت تشعر بغيرة بالغة) ترجمة غير منصفة ، ويجب أن تُترجم « يسخر من » (ترجمة RV ، AV) . وهذه هى الصيغة القوية للفعل المأخوذ منه اسم إسحق « يضحك » ، أما معناه الخبيث هنا والذى يتطلبه سياق الكلام ، وما جاء فى غل ٤ : ١٩ فهو « يضطهد » . بل إن ترجمة RSV نفسها ترجمته « كمازح » (١٩ : ١٤) ، « يداعب » (٣٩ : ١٤ و ١٧) .

عدد ١٠ : « طرد هذه الجارية ... » ذُكرت هذه الواقعة فى غل ٤ : ٣٠ وكأنها أمر مُوحى به . ولقد تنبهت سارة فى غضبها إلى حقيقة هذا الصدام ومضامينه .

عدد ١٢ : عبارة « لأنه بإسحق يُدعى لك نسل » لا تسمح بأى مجال للشك فيما يتعلق باختيار الله ، إذ تفصح علانية حقيقة الأختيار بحسب ما وضحها بولس فى رو ٩ : ٧ – ٩ ، كما وضحت أيضا لإبراهيم أنه لا يمكن أن يحل أحد مكان إسحق بالنسبة لمقاصد الرب . ولا مفر من حتمية ضربة المطرقة على هذا السندان والموضحة فى الأصحاح التالى ، ويبين مما جاء فى عب ١١ : ١٨ و ١٩ أن إيمان إبراهيم وصل إلى الكمال عن طريق هذه الوسيلة .

العددان ١٤ و ١٥ : بالنسبة لهذا الرحيل « المبكر » ، قارن ٢٢ : ٣ ويبدو أنه من الممكن أن نستدل من ذلك على أنه يمثل عادة تُتخذ لمواجهة أى مهمة صعبة بكل حسم . أما تدبير الماء – وهو أمر يدعو إلى الرثاء بالنسبة لمن سيتوجه إلى الصحراء – فكان لابد وأن يكون بأكبر كمية ممكنة ، دليل ذلك أن القربة كان لابد من حملها على الكتف . ومفسرو هذا العصر إذ يعزلون هذه القصة عن الواقعة التى ذُكرت من ١٧ : ٢٥ من ناحية الترتيب الزمنى ، تراهم يميلون إلى التأكيد أن إسماعيل كان يُحمل أيضاً (مستندين إلى قوة كلمة « طرحت » الواردة فى الآية ١٥ ، وإعادة ترتيب النسق اللفظى للآية ١٤(ب) ، حيث جاء ترتيب كلمات العبارة صعباً) . غير أنه إذا

ما تركنا ما جاء فى ١٧ : ٢٥ جانباً ، فلسوف تحتاج القصة إلى أن يكون إسماعيل قد كبر إلى الحد الذى لا يحتاج معه الأمر إلى حمله (لأن إسحق نفسه سيكون قد بلغ الثالثة من عمره عند فطامه) ، ثم إن الكلمة « طرحت » تناسب العمل المجهد لامرأة كانت مضطرة لأن تسند ابنها حيناً وتجره حيناً أخرى حتى تصل به إلى ظل إحدى الأشجار .

أعداد ١٦ – ٢١ : كان بكاء هاجر يفتقر إلى الرجاء (ولقد خففت ترجمة RSV من حدة ذلك بأن اتبعت نهج الترجمة السبعينية وأعادت ترتيب المشهد ، انظر هامش ترجمة RSV) ذلك أن صوت الغلام وليس صوتها هو الذى كان سبباً فى مجيء العون ، واسمه فُسر فى العبرية بعبارة « الرب قد سمع » (انظر ١٦ : ١١) . وهذا الحدث يصوّر وبشكل معبر ومؤثر محنة الإنسان ونعمة الله . فمن ناحية نجد تناقضاً خطيراً فى المؤن ، وندرة المأوى ثم الإحباط ، ومن ناحية أخرى نجد بئراً غزيرة (بعد أن تم الكشف عنها) ووعداً بالحياة والرزق بنسل عظيم ، ثم تواجد الله (٢٠) .

أعداد ٢٢ – ٣٤ : الميثاق مع أبيمالك :

المشهد هنا فى منطقة تبعد بما يقرب من خمسة وعشرين ميلاً عن « جرار » (انظر التعليق على ٢٠ : ١) ، حيث ستنشب النزاعات سريعاً حول حقوق الرعى ، ويوضح هذا الحدث الشكوك وتجارب الحياة التى تحملها إبراهيم ، غير أن بئر سبع التى تقع على الطرف الجنوبى من أرض الميعاد ستظل القاعدة الرئيسية سواء بالنسبة له أو بالنسبة لإسحق . وعلى صعيد آخر ، كان على يعقوب أن يعرف المزيد عن أقصى شمال ووسط هذه المنطقة .

وهنا وعلى النقيض من الأصحاح ٢٠ ، وجد إبراهيم أن الله كان ترساً له بحسب ما سبق أن وعد (٢٢) وأثبت قيمة الصراحة (٢٥) ، والوضوح (٣٠) .

عدد ٢٢ : بالنظر إلى أن « أبيمالك وفيكول » يعودان للظهور فى ٢٦ : ١ و ٢٦ فى معاملات مماثلة تماماً مع إسحق ، فلقد اعتُبرت القصتان على أنهما صورة طبق الأصل . لكن انظر التعليق على الآية ٢٥ والتعليق على ٢٦ : ٢٦ .

– « **الله معك** » : نفس هذه الحقيقة سنعرفها بالنسبة لإسحق (٢٦ : ٢٨) ، ويعقوب (٣٠ : ٢٧) ، ويوسف (٣٩ : ٣) .

عدد ٢٣ : كان لأبيمالك بعض الحق (لكن انظر الآية ٢٥) فى أن يتكلم عن « المعروف » أو المعاملة بأمانة (ترجمة RSV) بعد المناوشة التى ذُكرت فى الأصحاح ٢٠ . وكلمة (hesed : معروف) هى فى الواقع من الكلمات التى تُستخدم فى العهد ، والآية كلها تشابه إلى حد كبير اللغة التى تحدث بها يوناثان إلى داود فى ١ صم ٢٠ : ١٤ و ٢٥ .

عدد ٢٥ : الكلمة العبرية يُستشف منها أنه كان على إبراهيم أن يكرر شكواه عدة مرات ، وربما كان ذلك مرجعه أن أبيمالك كان ماهراً فى أساليب المراوغة . والإشارة إلى منافسة على امتلاك بئر يجعل من إعادة فتح الموضوع برمته فى الأصحاح ٢٦ أمراً متوقعاً تماماً .

أعداد ٢٧ - ٣٠ : وبالنظر إلى أن المواثيق كانت تُختم عادة بالدم (انظر التعليق على ١٥ : ٩ - ١٠) فإن الحيوانات المذكورة فى الآية ٢٧ ربما قُدمت لهذا الغرض ، أما « السبع النعاج » فكانت هدية تُعبر عن حسن النية . وإذا قبلها أبيمالك طبقاً لشروط إبراهيم (٣٠) فإنه يكون بذلك قد قبل الالتزام بهذه الشروط .

عدد ٣١ : « بئر سبع » ومعناها « بئر السبعة » (انظر ٣٠ ، والتعليق على ٢٦ : ٣٣) . وحقيقة أن « يحلف » مأخوذة من أصل مماثل لهذه الكلمة يجب ألاّ يغيب عن انتباهنا ، غير أن الكلمة الافتتاحية « لذلك » تعود بنا إلى الآية ٣٠ ، أما كلمة « لأن » فلربما يجب ترجمتها « حين » .

عدد ٣٢ : وصل الفلسطينيون إلى « أرض الفلسطينيين » بأعداد كبيرة مع بداية القرن الثانى عشر ، ولابد وأن أبيمالك ومجموعته كانوا الرواد الأوائل ، ولعل ذلك كان من خلال التجارة .

عدد ٣٣ : « أثلا » : « شجرة أثْل » والاسم الإلهى (el olam) الرب الإله السرمدى ربط بينهما لإثبات أن إبراهيم يعبد الإله المحلى وبالصورة المحلية . غير أنه ليس ثمة إشارة إلى أنه كان للشجرة أى هدف آخر سوى الناحية الاحتفالية التذكارية ، أما بالنسبة للاسم المقدس ، فيشير « سبيسر » إلى أنه كان بمثابة لقب منطقى للإله الذى تمت مناشدته لدعم ميثاق رسمى ... كان من المتوقع له أن يكون سارياً بصفة دائمة . وهذا اللقب أو الاسم هو واحد من سلسلة أسماء من بينها إيل إليون « العلى » (١٤ : ١٨) ، إيل رئى

(١٦ : ١٣) ، إيل شداى القدير (١٧ : ١) ، إيل « إله إسرائيل »
(٣٣ : ٢٠) ، إيل بيت إيل (٣٥ : ٧) . وكل من هذه الأسماء يعبر عن
ناحية من نواحى إعلان الله لذاته (انظر المقدمة) .

الأصحاح الثانى والعشرون

أعداد ١ - ١٩ : تقديم إسحق محرقة :

يقف كل من الأب والابن مكشوفاً بوضوح غير عادى فى هذه اللحظة السامية . فهذا الطلب الأليم لا يثير فى إبراهيم سوى المحبة والإيمان ، فقد كان واثقاً كما هو واضح أن « جهالة الله » هى الحكمة المستورة . ولذلك فقد أعطى القدرة من خلال تقديم ابنه على أن يعكس مع ذلك محبة الله التى لا تماثلها محبة أخرى فى عظمتها ، فى حين أن إيمانه أعطاه لمحة أولية عن القيامة (انظر التعليق على الآية ٥) . فبدلاً من أن يحطم الاختبار إبراهيم ، نراه يأتى به إلى ذروة مسيرته مع الله التى استمرت طوال حياته .

ثم إن إسحق حقق فى مدة وجيزة ما يستحق المديح من أجله - ولم يكن ذلك من خلال أمور أنجزها ، بل من أجل ما لاقاه من معاناة . وهذا ما يبدو أنه الدور المنوط به ، على الرغم من أنه قد لا توجد فى شخصه سمة تميزه عن غيره . وثمة آخرون سيأتون بأعمال عظيمة ، إلا أنه قد تُرك لهذه الضحية الوديعة المستكينة أن تبين ، ومن خلال حدث واحد ، النموذج الذى عينه الله بالنسبة « للنسل » المختار لأن يكون العبد الذى يُقدم كذبيحة .

عدد ١ : « جرب » من الأفضل ترجمتها « امتحن » أو اختبر (ترجمة RSV و RV) . وكان لابد أن تُوزن ثقة إبراهيم وعواطفه البشرية وطموحاته المتعلقة بحياته كلها عن طريق عمل يناقض كل ما هو دنيوى .

عدد ٢ : وكل عبارة من العبارات الافتتاحية ترفع من حدة التوتر درجة فدرجة .

- « المُريا » ، نجدها ثانية فى ٢ أخ ٣ : ١ ، حيث وُصفت بأنها المكان الذى أوقف فيه الله البلاء الذى حاق بأورشليم ، كما أنها المكان الذى بنى فيه سليمان الهيكل . وفى العهد الجديد ، يُذكر أنها على مقربة من المكان الذى صُلب فيه المسيح .

عدد ٣ : بالنسبة لعبارة « بكّر » إبراهيم ، انظر التعليق على ٢١ : ١٤ .

عدد ٤ : والإشارة الزمنية « فى اليوم الثالث » تصادف أنها تتفق مع

الأوصاف الثلاثة التى وُصفت بها « المريّا » فى التعليق على الآية (٢) عاليه ، ولكنها تشير بصفة رئيسية إلى فترة الامتحان الممتدة والطاعة المؤكدة .

عدد ٥ : والتأكيد بأن إسحق وإبراهيم سيرجعان « ثم نرجع » بعد تقديم الذبيحةً لم يأت من فراغ : لقد جاء وليد قناعة إبراهيم التامة ، القائمة على وعد الرب : « لأنه بإسحق يُدعى لك نسل » (٢١ : ١٢) . وتكشف الرسالة إلى العبرانيين (١١ : ١٧ – ١٩) أن إبراهيم كان يتوقع إقامة إسحق من الأموات ، فمن الآن فصاعداً سيعتبره قد عاد ثانية بالقيامة من الأموات . ولنظرة موسعة بالنسبة لهذا الموقف انظر تأملات الرسول بولس بالنسبة للحياة الناجمة عن الموت فى (٢ كو ولا سيما ٥ : ١٤ – ١٦) .

عدد ٦ : ووضع « الحطب » على إسحق لابد وأن يعيد إلى ذاكرتنا تلك المعلومة الواردة فى يو ١٩ : ١٧ : « فخرج وهو حامل صليبه » . بيد أن « النار والسكين » كانتا بيد الآب . فالذبيحة ومقدمها « ذهبا كلاهما معاً » (وهذه اللازمة المؤثرة نجدها ثانية فى الآية ٨) ، ربما تشير إلى المشاركة الأعظم التى تم التعبير عنها فى إش ٥٣ : ٧ و ١٠ .

عدد ٨ : وقول إبراهيم : « الله يرى » (الله يدبِّر ، بحسب تفسير آخر) كان لابد وأن يُخلّد فى اسم المكان ، انظر التعليق على الآية ١٤ . ويمكن أن يُسمى هذا أيضاً الشعار الذى اتّخذه طوال حياته ، وثمة كثيرون عاشوا فى ظل هذا الشعار منذ ذلك الحين . فثقته الكاملة فى الله ، مع الصراحة التامة بالنسبة لهذه المعلومة ، جعلت من هذا القول إجابة نموذجية بالنسبة لأى سؤال صعب أليم . فالأسلوب الذى ينتهجه الله أمر يخصه هو وحده ، ولسوف تأخذ الدهشة إبراهيم وابنه من التصرف الذى سيتخذه الله إزاء هذا الموقف الأليم .

العددان ٩ و ١٠ : ويلفت فون راد الانتباه إلى بطء الحركة الذى لازم القصة حتى إلى اللحظة الحاسمة . وفى الآية ١٠ ما من حركة إلا وسُجلت بمفردها . إنه لسرد رائع كان بادياً طوال القصة .

العددان ١١ و ١٢ : ولحظة التدخل ذاتها تعتصر آخر قطرة من المعنى من هذا الاختبار . فمن الجانب البشرى تمت مواجهة ذروة لحظة تقديم المحرقة وكان العزم بشأنها أكيداً ، أما من الجانب الإلهى ، فلم يكن يسمح بأية ذرة من الأذى ، ولم يذهب مثقال ذرة من الإيمان دون أن يكون ملحوظاً ظاهراً

(وهذا ما يُستشف من عبارة « ابنك وحيدك » التى أُخذت عن الآية ، ثم أعيد تكرارها فى الآية ١٦) . وهذه هى الإجابة التى جاءت حاسمة للسؤال الذى سأله ميخا النبي (ميخا ٦ : ٦ و ٧) دون أن تشوبها أية شائبة من السطحية .

عدد ١٣ : وللمرة الثانية (انظر ٢١ : ١٩) نجد أن تدبير الله كان معداً وفى الانتظار . ونلاحظ أنه بالنسبة لهذه المحرقة بالذات ، كانت الضحية أو الذبيحة بديلاً (عوضاً عن ابنه) ، ويبدو أن الطقس الذى جاء لاحقاً فى (لا ١ : ٤) يعبر تماماً عما ذُكر هنا بكل وضوح .

عدد ١٤ : « يهوه يرأه » – فضلاً عن أنه اسم الله – فهى نفس التعبير الذى سبق أن استخدمه إبراهيم فى الآية ٨ . والفعل « يدبر » هو المعنى الثانوى للفعل يرى : « يرأه » فى هذه الآية ، وقد جاء بنفس المعنى فى ١ صم ١٦ : ١(ج) . ويبدو أن كلا المعنيين يردان معاً فى العبارة القصيرة فى ١٤(ب) (والتى تستحق أن تُعرف بشكل أفضل) وأعنى بها عبارة « فى جبل الرب يُرى » .

أعداد ١٥ – ١٨ : ومن يطع يجد تأكيداً جديداً ، وهذا هو الأمر الذى اكتشفه أبرام فى ١٣ : ١٤ – ١٧ ، لاحظ أيضاً الوعد الجديد فى تلك ٢٢ : ١٧(ج) . وأفضل تعليق على قَسَمْ الرب نجده فى عب ٦ : ١٦ – ١٨ .

أعداد ٢٠ – ٢٤ : أبناء « ناحور » الاثنا عشر :

هذه الأخبار العائلية التى وصلت إبراهيم بعد تكرار الوعد ، ربما تكون هى التى أوحت أو أكدت الفكر الذى نجم عنه القرار الذى اتّخذ فى ٢٤ : ٤ .

والاسمان المهمان هما « بتزئيل » و« رفقة » ، أما بقية الأسماء فترجع أهميتها الرئيسية إلى أنها تُعد دليلاً على الاهتمام بحفظ السجلات من ناحية واهتمام إسرائيل أيضاً من ناحية أخرى بالأقرباء حتى ا لبعيدين منهم . أما « عوص » فهو اسم أرض ذُكرت فى سفر أيوب ١ : ١ ، وإرميا ٢٥ : ٢٠ ، ولربما تكون لها علاقة باسم ابن ناحور ، أو قد لا يكون الأمر كذلك .

الأصحاح الثالث والعشرون

أعداد ١ - ٢٠ : مقابر العائلة :

أهمية هذا الأصحاح تكمن فى عبارة : « فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون » . وإذ ترك الأباء عظامهم فى كنعان فقد قدموا شهادتهم الأخيرة للوعد ، الأمر الذى توضعه كلمات يوسف الأخيرة (٥٠ : ٢٥) .. وكما قال كالفن : « فى حين أنهم كانوا هم أنفسهم صامتين .... إلا أن عظامهم صرخت بصوت عال ، أن الموت لم يكن حائلاً دون دخولهم لهم أرض الميعاد وامتلاكها .

عدد ٢ : الاسم القديم لحبرون (التى من المحتمل أن يكون قد أعيد تسميتها عند إعادة بنائها ، انظر عد ١٣ : ٢٢) يبدو وأنه « قرية أربع » إلا أن الاسم قُصد به فى الواقع الاحتفاء بذكرى « أربع » وكان « الرجل الأعظم فى العناقيين » (يش ١٤ : ١٥) . ويقول « سبايسر » إن « أربع » ربما كان اسم شخص أجنبى هو عبرازن Hebraized وهو فى هذا المجال يذكر المكانة البارزة التى كانت « لبني حث » غير الساميين .

— « فأتى إبراهيم » كما فى العربية وليس « دخل إبراهيم » (ترجمة RSV) .

عدد ٣ : وحين كان « بنو حث » فى حبرون ، فإنهم بذلك يكونون قد ابتعدوا كثيراً عن مواطنيهم الشماليين ، وربما أقاموا هناك نتيجة عملهم فى التجارة . وكثيراً ما يُقال إن « بني حث » هؤلاء كانوا « حوريين » لا « حثيين ، ومن الواضح أن « عفرون »[1] (آية ١٠) كان واحداً منهم ، ثم إن الكلمتين العبريتين « حث » و« حثيين » تعطيان نفس المعنى .

أعداد ٤ ـــ ٩ : « غريب » (gér) كان مستوطناً غريباً حقق له منزلة فى المجتمع بيد أن حقوقه كانت محدودة . ذلك أنه فى إسرائيل ، على سبيل المثال — لا تمنح أرض للغريب ليتملكها ، وفى هذا الأصحاح فإن السؤال

---

(١) ومع ذلك يشير ليهمان M.R. Lehman إلى أن قانون الحثيين ينص على أن شراء ممتلكات شخص ما معناه تحمل التزاماته وما عليه من تبعات ، ومن ثم فلربما كانت مناورة عفرون هنا يقصد بها أن يبيعه الكل وليس الجزء الذى طلبه فى آية ٩ . ولكن بالنظر إلى أنه لا يمكننا معرفة ما إذا كان هذا الحقل يشكل كل ممتلكات عفرون أم لا ، لذلك تظل هذه النقطة محل الحدس والتخمين .

الذكى فى إطار مجاملات مدروسة كان يدور حول ما إذا كان يُسمح لإبراهيم بأن يحصل على موطىء قدم دائم له أم لا . والإطراء الوارد فى الآية ٦ ما كان سوى إغراء كى يظل مقيماً دون أن يتملك أرضاً . أما إجابة إبراهيم التى ذكر فيها اسم أحد الأشخاص ، فقد انتفع بها وبذكاء من حقيقة أنه فى حين أن مجموعة قد تميل إلى الامتعاض من أحد الدخلاء ، إلا أن مالك الأرض قد يرحب بوجود عميل .

أعداد ١٠ ــ ١٦ : كان « عفرون » يعرف قوة مركزه . واللمحة التى تضمنتها الآية ١١ ما هى إلا مجرد عرض تقليدى وليس مقصوداً بحذافيره ، بل ويمكن التشكك فى أن ثمنه الحقيقى كان مرتفعاً[1] . وإذ لم يكن أمام إبراهيم خيار آخر ، فقد تقبل بفطنته هذا العرض بلباقة .

أعداد ١٧ ــ ٢٠ : التفصيلات الخاصة بهذا العقار ، وذكر الشهود يشير إلى أن ما تم كان عقداً مستكملاً كافة الشروط اللازمة . أما الإشارة إلى « الشجر » (آية ١٧) فهى من سمات معاملات الحثيين بالنسبة للأراضى ، حيث كانوا حريصين على توضيحها . ويبدو أن الأصحاح كله يعكس قوانين الحثيين التى كانت سائدة زمن الآباء ، ولو أنه يتعين تبيان أنها لم تكن فريدة فى نوعها ، حيث يمكن ذكر أمثلة بابلية عديدة من هذه النوعية .

---

(١) لقد دفع إرميا سبعة عشر شاقلاً لشراء حقل (إر ٣٢ : ٩) ، واشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلاً (٢ صم ٢٤ : ٢٤) . ومن ناحية أخرى دفع داود ذهباً وزنه ست مئة شاقل « لكل الأرض التى بُنى عليها الهيكل » (أخ ٢١ : ٢٥) ، واشترى عمرى جبل السامرة بوزنتين من الفضة (٦٠٠٠ شاقل : ١ مل ١٦ : ٢٤) . وبالنظر إلى عدم وجود بيانات مفصلة عن هذه الممتلكات أو أسعارها الحالية فلا يمكن القطع فى الموضوع . .

الأصحاح الرابع والعشرون

أعداد ١ - ٦٧ : العروش المختارة لإسحق :

كانت إرادة الله بالنسبة لإسحق لها متطلباتها بالنسبة لإيمان إبراهيم ، الأمر الذى لازمه حتى آخر أيامه . ومع تقدمه فى العمر ، ومع ما توفر له من ثروة كانت تسنده فى ماضيه كما فى حاضره ، فقد أصبح والحال هذه يتطلع وبثبات إلى المرحلة التالية من الوعد وكان يتصرف بعزم . والقصة ، وقد سُردت بأسلوب فنى غير مفتعل ، تقدم صورة حية للنصيحة القائلة : « فى كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك » (أم ٣ : ٦) . وعلى الرغم من بعدنا عن هذا الحدث ، غير أنه بمقدورنا أن ندرك كيف أن كان للطاعة الشجاعة التى أظهرها أقرباء قلائل تأثيرها الحاسم بالنسبة لموضوع عائلى شكلت مجرى التاريخ .

عدد ١ : « طاعنا » فى السن (ترجمت RV و AV) لا تُعد ترجمة دقيقة ، ذلك أن الكلمة العبرية تعنى «تقدم» فى الأيام (RSV) . أو شاخ كما فى العربية .

عدد ٢ : « كبير بيته » ويُعد من بين أكثر الشخصيات الصغرى جاذبية فى الكتاب المقدس ، بما يتميز به من حسّ سليم ، وتقوى (آية ٢٦ - ٢٨ و ٥٢) ، وإيمان ، وإخلاصه لسيده (١٢(ب) ، ١٤(ب) ، ٢٧) وثباته وجديته فى تنفيذ المهمة التى أُنيطت به (٣٣ و ٥٦) . وإذا كان هو « أليعازر » المشار إليه فى ١٥ : ٢ و ٣ ، فإن إخلاصه يزداد روعة بخدمته الوريث الذى سيأخذ مكانه ، كما لو كان هو يوحنا المعمدان لسيده (انظر يو ٣ : ٢٩ و ٣٠) .

وخصوصية « الفخذ » وعلاقته بالإنجاب (٤٦ : ٢٦) أضفت على القسم وقاراً خاصاً . ووصية يعقوب حين أشرف على الموت لابنه يوسف دُعمت بنفس الطريقة .

العددان ٣ و ٤ : الوصية بعدم الزواج إلاّ من شعب الله كان لها أن تظل سارية طوال العهدين القديم والجديد . قارن تث ٧ : ٣ و ٤ ، ١ مل ١١ : ٤ ، عزرا ٩ - حيث نرى أصوات الناموس ، والخبرة ، والندم ، انظر ما يذكرنا به الرسول بولس « فى الرب فقط » (١ كو ٧ : ٣٩) .

أعداد ٥ - ٨ : يظهر إبراهيم فى هذه المناقشة بالسمة الرئيسية المعروفة عنه

وهى أنه رجل الإيمان . وإذ لم يكن بوسعه أن يتنبأ بالنتيجة فما كان منه إلا أن يصر على التسمك بأمرين اثنين : أولاً الله لن يرجع عما وعد به أساساً ، والأمر الثانى هو أنه يجب على الإنسان ألاّ يتراجع بل يثق فى وعد الله . انظر الأفعال الواردة فى الآية ٧ والوصية المتكررة فى الآيتين ٦ ، ٨(٣) . وهذه النقطة تناولها كاتب العبرانيين فى ١١ : ١٥ .

عدد ١٠ : « جمال » حيوانات كانت قد استُؤنست قبل عصر الآباء ، ولكنها لم تُستخدم على نطاق واسع فى حياة البداوة والأغراض العسكرية قبل عام ١٢٠٠ ق . م .

— « مدينة ناحور » : ويمكن أن تعنى المكان الذى يحمل هذا الاسم ، بالقرب من حاران ، أو قد تكون بالأحرى هى المدينة التى عاش فيها أخو إبراهيم .

عدد ١٢ : وعبارة « إله سيدى » لا تعنى أن المتكلم لا يؤمن بهذا الإله ، بل إنها تشدّد على إبراز العهد الذى قطعه مع إبراهيم (انظر شروط العهد : الإحسان والمراحم والمحبة الراسخة) هذا العهد الذى أُعطى لإبراهيم وبيته وكان الختان (١٧ : ١٣) علاقة هذا العهد ، والذى قال هذه العبارة إنما كان يدعم طلب إبراهيم .

عدد ١٤ : والملفت للنظر هنا أن طلبات العبد لم تتجه إلى ما هو فخم مثير ، بل ولم يتعنت فى طلباته ، ولكنها أيضاً لم تأت اعتباطاً أو دونما تمييز ، فهذا الاختبار بما يطلبه من جهد جهيد سيكشف عن الصفات التى يقدرها الرب .

أعداد ١٥ ــ ٢١ : ومن خلال أعمال بسيطة قليلة ، مع بعض التفصيلات القوية المعبرة (تحركات بالجرة ، الركض ، صمت الرجل وهو فى حالة من التوتر) أصبح المشهد يثير اهتمامنا ، وظهرت أمامنا رفقة باعتبارها الشخص الذى عينه الله للعبد .

عدد ٢٢ : نعرف من الآية ٤٧ (والنص السامرى أضافه هنا) أن العبد هو الذى وضع هذه المجوهرات على أنف ويدى رفقة ، وهو بهذا العمل يعبر بلباقة عن آيات التوقير والشكر .

العددان ٢٦ و ٢٧ : النجاح ، الذى يملأ الإنسان الطبيعى بالغرور ، نجده يشعر رجل الله بمدى ضآلته . فأول ما فكر فيه هذا العبد هو الرب ، ثم بعد ذلك سيده (٢٧(ب) (وأخيراً وبكل بساطة فكر فى نفسه : « هدانى الرب إلى بيت ... » .

العددان ٢٩ و ٣٠ : والإثارة التى تملكت الجميع تنبىء عنها التحركات السريعة لكل فرد منهم ، وذلك بدءاً من الآية ١٧ وما بعدها . أما الآية ٢٩ فتزيد من سرعة إيقاع القصة ، وتفسح المجال للآية ٣٠ كى تذكر أن المجوهرات لم تمر دون ملاحظة ، وهذه حقيقة لن تفقد شيئاً من نكهتها بالنسبة للقارىء بعد أن تزيد معرفته بلابان .

العددان ٣١ و ٣٢ : قارن حسن ضيافة لابان هنا بالاستقبال الذى لقيه يسوع فى لو ٧ : ٤٤ — ٤٧ .

عدد ٣٣ : هذه الوقفة مع ما صاحبها من تمهل وتخفيف من سرعة إيقاع الأحداث والتى تتسم بها أعراف الأدب واللياقة أضفت أهمية غير عادية على كلامه (وثمة حالة مماثلة فرضت على تلاميذ ربنا يسوع المسيح فى لو ١٠ : ٤ ، انظر ٢ تى ٤ : ٢) .

أعداد ٣٤ — ٥١ : وما بين البساطة التى نراها فى الآية ٣٤ ، والسؤال الصريح الذى جاء فى الآية ٤٩ نجد أن أقوال هذا السفير الرائع تكتسب قوتها ووضوحها وشفافيتها . فلم تتضمن تملقاً أو ضغطاً ، وإذا ما كانت الناحية المادية فى الآيتين ٣٥ و ٣٦ تشير إلى الفصاحة فى الحديث إلا أن نتيجة الحلف والوعد والتدبير الإلهى الذى تضمنته الآيات ٣٧ — ٤٨ تجعل من دعوة الله النغمة السائدة . ومن ثم فقد تولدت عن كل ذلك إجابة على نفس المستوى فى الآيتين ٥٠ و ٥١ « .. تكلم الرب »* .

عدد ٥٢ : هنا نرى العبد يصلى للمرة الثالثة . وكانت نقطة هامة أنه وقف مترقباً الإجابة ، كى يعلن طلبه (١٢ ، ١٣(أ) ، انظر ترجمة RSV) ،

---

* وإذ نرى لابان شقيق رفقة يأخذ مكان الصدارة ، فلربما افترض أن أباها بتوئيل قد مات ، إلا أن ظهوره فى هذه الآية دحض هذا الافتراض . ولعله كان قد تقدم فى السن إلى درجة لم يكن المطلوب منه سوى أن يعطى موافقته ، ما لم يكن العرف قد جرى على أن يتغيب كبير العائلة ولا يحضر المفاوضات المبدئية .

فالإجابات هى التى دفعته للسجود تدريجياً (آية ٢٦ : خَرَّ ، آية ٥٢ « إلى الأرض ») .

عدد ٥٣ : والهدايا التى قُدمت للعائلة ربما كانت المهر الرسمى للعروس (انظر ٢٩ : ١٨) ، وهى التى حسمت الموضوع .

أعداد ٥٤ ــ ٥٦ : بالنسبة لرفض العبد أن يبقى فترة ما ، انظر التعليق على الآية ٣٣ .

العددان ٥٧ و ٥٨ : وموافقة العروس – على الأقل من الناحية النظرية – تُعد أمراً هاماً من ناحية التوازن مع الموافقة المبدئية للعائلة . ويشير بيسر إلى أن عقود زواج الحوريين المعاصرة توضح هذا الأمر .

عدد ٥٩ : « مرضعتها » دبورة ، وهذا ما يُستشف من النص العبرى ، ولقد استمرت فى خدمتها بأمانة حتى الجيلين التاليين إلى أن ماتت أخيراً فى بيت يعقوب فى بيت إيل (٣٥ : ٨) .

عدد ٦٠ : لم تكن عائلة رفقة تعرف أن مباركتها التقليدية كانت فى الواقع تردد صدى كلمات الله لإبراهيم التى كانت حافلة بالمعانى (٢٢ : ١٧) .

عدد ٦٢ : اسم المكان يثير كثيراً من العواطف والذكريات ، ولاسيما بالنسبة لإسحق وهو فى عزلته (٦٧(ب)) . فى هذا المكان سبق أن تقابل الله مع هاجر فى وحدتها وتحدث عن ميلاد أمة (١٦ : ١٤) . بالنسبة لأرض « الجنوب » ، انظر التعليق على ١٢ : ٩ .

عدد ٦٣ : الفعل (sûah) الذى تُرجم « يتأمل » لم يوجد ، حتى الآن ، إلا فى هذه الآية ، وهناك صيغة مماثلة (sîah) ، يمكن أن تعطى نفس المعنى ، وعلى كل فالترجمة معقولة وبدرجة كبيرة .

عدد ٦٥ : « سيدى » : البعض استند إلى هذا القول بأن أخباراً قد وصلت تفيد موت إبراهيم ، بيد أن هذا يتعارض مع ما جاء فى ٢٥ : ٧ و ٢٠ . وقد تعنى بالأحرى أن إبراهيم أقام إسحق على « كُلِّ ما له » (آية ٣٦) ، بالنظر إلى زواجه المرتقب (ومن الممكن أن يرجع ذلك إلى زواج إبراهيم نفسه ثانية ، ٢٥ : ١) ، وبذلك عينّه مساعده الرئيسى . غير أن العبارة يمكن أن تُستخدم للإشارة إلى إسحق باعتباره الوريث ، واختفاء اسم إبراهيم من

القصة ربما يرجع إلى أسلوب الراوى الذى كان يريد تحويل الانتباه إلى الشخصين اللذين يشكلان الموضوع المتنامى الذى ستعتمد عليه القصة .

كان « البرقع » علامة على الخطوبة والزواج : ويمكن أن يغطى الوجه ، كما فى ٣٨ : ١٤ و ١٥ ، كما هنا أيضاً .

عدد ٦٧ : « إلى الخباء » أى إلى الخيمة أما الكلمتان « سارة أمه » فتأتيان بمعزل عن الخيمة فى النص العبرى ، وربما انتقلتا إلى هذا الموضع من نهاية الآية .

الأصحاح الخامس والعشرون

أعداد ١ – ٣٤ : المواليد التى تناسلت من إبراهيم :

أُعطى موت إبراهيم وضعه فى قائمة العائلات التى تحدرت منه ، وهذا هو اتجاه سفر التكوين من الآن . ومن بين هؤلاء ، وتمشياً مع هذا الاتجاه ، تجد أولئك الذين لم يكن لهم سوى دور صغير فى تاريخ الخلاص ، يظهرون على مسرح الأحداث ثم ينسحبون ليتركوا المجال للشخصيات الرئيسية .

أعداد ١ ــ ٤ : « أبناء قطورة » . من التركيب اللغوى العبرى يبدو هذا الزواج للوهلة الأولى أنه جاء بعد الأحداث التى سُردت للتو : لكن انظر الحاشية المتعلقة بالآية ١٢ : ١ . وتشير حيوية إبراهيم إلى تاريخ سابق لذلك بكثير (انظر ٢٤ : ١) حتى ولو أنه عاش خمساً وثلاثين سنة بعد زواج إسحق (٧ و ٢٠) ، وفى حين أن كلمة « سُرِّيَّة » التى وضعت بها قطورة فى ١ أخ ١ : ٣٢ ، وربما فى الآية ٦ هنا يُستفاد منها أن سارة كانت لا تزال على قيد الحياة حين أخذ إبراهيم قطورة زوجة .

– « مديان » : هى أشهر هذه القبائل العربية ، غير أن بعض الأسماء تتكرر فى العهد القديم وكذلك فى نقوش جنوب الجزيرة العربية على ما يبدو . ولا يجب الخلط بين « أشُوريم » المذكور هنا ، وبين الأشوريين الذين يتسمّون بهذا الاسم .

أعداد ٥ ــ ١١ : وصية إبراهيم وموته ودفنه . نرى فى الآيتين ٥ و ٦ كيف أن وعد الرب : « لأنه بإسحق يُدعى لك نسل » كان يملى على إبراهيم كلّ تصرفاته حتى نهاية عمره .

بالنسبة لكلمة « السّرارى » ، وربما يُقصد بها « هاجر » و« قطورة » ، انظر التعليق على الآيات ١ – ٤ . ومن الصعوبة مقاومة عقد مقارنة بين الآيتين ٥ و ٦ وبين التوبيخ الوارد فى لو ٥ : ٣١ و ٣٢ .

فبحسب خطة الله صُرف هؤلاء الأبناء ، حتى يُوجد وطن حقيقى لهم فى النهاية يمكنهم الرجوع إليه : انظر إش ٦٠ : ٦ – ٨ .

عدد ٨ : تعبير « وانضم إلى قومه » ، والذى يشير بالكاد إلى قبر العائلة

والذى لم يُدفن فيه حتى الآن سوى سارة ، إلا أنه لابد وأنه يشير – وإن كان ذلك بغير وضوح – إلى استمرارية وجود الموتى ، انظر على سبيل المثال ما قاله أيوب : « لأنى قد كنت الآن مضطجعاً ... مع ملوك ومشيرى .. » (أى ٣ : ١٣ و ١٤) . انظر أيضاً التعليق على ٤٧ : ٣٠ .

عدد ٩ : وإعادة اللقاء بين إسحق وإسماعيل كان يماثل ما تم بالنسبة للقاء يعقوب وعيسو ، عند موت إسحق (٣٥ : ٢٩) .

عدد ١١ : وإذا لم يكن بمقدور إسحق أن يصبح إبراهيم ، بل ولا أن يتهرب مما هو مدين له به ، إلا أن الله كان لديه بركته الخاصة له برغم كل شيء .

– « بئر لحى رُئى » : انظر ١٦ : ١٤ ، ٢٤ : ٦٢ .

أعداد ١٢ – ١٨ : « مواليد إسماعيل » . بالنسبة لهذه النقطة ، انظر التعليق على ١٦ : ١٠ – ١٢ .

أعداد ١٩ – ٣٤ :« ابنا إسحق التوأمان » : التنافس بين يعقوب وعيسو . تسرع القصة لتعرض للجيل الجديد ، قبل أن تتريث بالنسبة لإسحق نفسه الذى يمكن أن تؤجل الأمور المتعلقة به إلى الأصحاح التالى : وهذه هى أهمية تعاقب الأحداث .

وحياة يعقوب والتى تغطى تقريباً كل الجزء المتبقى من السفر ، لخصت ببراعة فى سفر هوشع (١٢ : ٣ ، الترجمة الماسورية ٤) على النحو التالى :

« فى البطن قبض بعقب أخيه ، وفى رجولته صارع بقوته مع الله » .

فإذا ما وضعنا بين هاتين العبارتين الجملة الاعتراضية التى وردت فى سفر هوشع ١٢ : ١٢ (آية ١٣ فى الترجمة الماسورية) وهى :

« وهرب يعقوب ... وخدم ... لأجل زوجة و ... رعى » – بعدئذ يمكننا من خلال الأسماء الرئيسية أن نتتبع اهتماماته بحسب الترتيب الذى وردت فيه وهى « أخوه ... زوجة .... الله » ، وفى الأفعال نتتبع طريقه الصعب حتى وصل إلى مرحلة النضج : « قبض بعقب ... هرب ... خدم ... رعى ... جاهد ... غلب » . والواقع أن الفعلين الواردين فى هو ١٢ : ٣

(الماسورية ٤) يضمان فى صيغتهما العبرية اسمى يعقوب ، اللذين يسجلان بداية ونهاية رحلته من « يعقوب » (قبض بعقب ‘âqab) إلى إسرائيل (صارع sârâ) .

عدد ٢١ : الآية ٢٦ مع الآية ٢٠ ، تشيران إلى فترة انتظار تصل إلى عشرين سنة تقريباً . وما يتهجه الله من ناحية بدء أى عمل استثنائى بصعاب استثنائية غالباً ما يأتى على هذا النحو : فرجال على شاكلة يوسف ، وشمشون وصموئيل ما جاءوا إلى العالم إلا بعد آلام وصلوات .

عدد ٢٢ : وصرخة رفقة جاءت على شكل جزء من جملة ، وترجمتها : « إن كان هكذا فلماذا أنا » ، وقد أضافت النسخة السيريانية إليها كلمة حية (انظر ترجمتى RSV و RV) ، وهى إضافة بالكاد تكون مقنعة .[1] والسياق الذى تضمن استجابة الصلاة (٢١) والاستفهام الآخر (٢٢(ب)) يوحيان بالأحرى إلى عدم ارتياحها بأن غضب الله قد حل فجأة محل ابتسامته. وترجمة AV هى أقرب إلى المعنى « فلماذا أنا هكذا ؟ » .

عدد ٢٣ : « يفترق » (RV و AV) ، « يتفرع » (RSV) : بمعنى متعارضان .

— « كبير يُستعبد لصغير » : ووجود هذا القول الإلهى يلقى ضوءاً هاماً على المكائد التى ذُكرت فى الأصحاح ٢٧ (انظر التعليقات) . وهى تعبر أيضاً عن سيادة وسلطان الله فى الاختيار ، الأمر الذى وضحه الرسول بولس فى رو ٩ : ١١ و ١٢ .

عدد ٢٥ : « أحمر » إذا ما كانت هذه الكلمة قد مهدت لكنيته « أدوم » فإن قوله فى الآية ٣٠ هو الذى قرر ذلك . والاسم « عيسو » (ésew ، يشير ولو بشكل تقريبى إلى كلمة séar’ أى « أشعر » .

عدد ٢٦ : « يعقوب » ، اسم معروف ، ويوجد فى مواضع أخرى فى الكتاب المقدس ومعناه « لعله يتعقب » — بمعنى لعل الله يساندك (انظر التعليق على ١٧ : ١٩) . بيد أن الاسم اكتسب معنى عدائياً ، يفيد مطاردة أو تعقب شخص آخر ، وهذا ما عبر عنه عيسو بمرارة فى ٢٧ : ٣٦ .

---

(١) انظر كتاب الحياة : « إن كان الأمر هكذا فما لى والحبل ! » — المحرر .

ومن خلال تصرفاته الشخصية حطّ يعقوب من قدر الاسم حتى بدا مرادفاً للغدر والاحتيال ، ولقد استُخدم هذا المعنى فى العبرية فى سفر إرميا (٩ : ٤) (الماسورية آية ٣) « كل أخ يعقب عقباً » . ولكن العادة التى دأب عليها من ناحية التشبث بما يريده أثمرت بركة فى النهاية (٣٢ : ٢٦) . انظر أيضاً التعليق على ٤٩ : ١٨ .

أعداد ٢٧ ــ ٣٤ : أمامنا شخصيتان متناقضتان ، وهكذا أيضاً ستكون الأمتان أخيراً . وكلمة « كاملاً » (هادئاً ، بحسب ترجمة أخرى) تمثل الكلمة العبرية tàm والتى توحى بمعنى « ثابت » أو « راسخ » ، وهى تعطى معنى الحصافة التى جعلت من يعقوب فى أفضل حالاته رجلاً حازماً يمكن الاعتماد عليه ، وفى أسوأ حالاته خصماً مخيفاً رابط الجأش . و« البكورية » كانت من حق البكر : وهى تعنى رئاسة العائلة ، وكانت فى إسرائيل قديماً تعنى نصيب اثنين من التركة (تث ٢١ : ١٧) .

والدليل المستمد من نوزى Nuzi يبين أن هذا الامتياز كان قابلاً للنقل عند الحوريين فى ذلك العصر ، وفى حالة اتفاق كهذا يدفع الأخ ثلاثة خراف لجزء من الميراث — وهذا تعليق كاف على المساومة التى أجراها يعقوب .

وإذا كان يعقوب قاسياً فى هذا الموقف ، فقد كان عيسو فيه عاجزاً عقيماً : ولقد خففت الترجمات من قوله : « أطعمنى من هذا الأحمر » ، فقد كان يفضل الموجود والملموس بأى ثمن ، وحقق بالفعل رغبته (٣٣) ثم قام ومضى دون أن يبالى بأى شىء (٣٤) — وبالمصادفة وبالرغم مما ذكره عن موته فى الآية ٣٢أ — فقد اكتسب اللقب الذى وصفه به كاتب الرسالة إلى العبرانيين ، بأنه كان « زانياً » أو « مستبيحاً » (عب ١٢ : ١٦) .

ولم يعلق الأصحاح بعبارة « وهكذا تعقب يعقوب أخاه » ، بل « فاحتقر عيسو البكورية » حيث قدمت عيسو المستبيح باعتباره الصورة المناقضة لأبطال الإيمان المذكورين فى عب ١١ .

الأصحاح السادس والعشرون

أعداد ١ - ١١ : إسحق يخدع أبيمالك :

هذا هو الحدث الثالث من نوعه ، الوحيد الذى قام به إسحق . وهذا الحدث مخالف لمن يقترحون أن الأمر عبارة عن حدث واحد تضاعف إلى ثلاثة (انظر التعليقات الافتتاحية على الأصحاح العشرين) ولاحظ أيضاً أن الآية ١(أ) تميز بوضوح بين القصة الحالية و القصة الأولى من هذه السلسلة . ولا يجب أن نسمح للتشابهات العامة بأن تؤدى بنا إلى إغفال التفصيلات المتشعبة للقصص الثلاث (على سبيل المثال ، رفقة على العكس من سارة ، لم تؤخذ من زوجها ، بل ولا توجد أية معجزة هنا) ، غير أنه فى حين أنه يمكن أن نعزو ذلك إلى ما صاحب سرد القصة من تغيّرات وملابسات لكنه من الصعوبة بمكان تبرير غضب أبيمالك فى الآيتين ١٠ و ١١ إلا بأنه كان وليد حدث سابق وقع بالفعل كان على دراية به ، أى التحذير الشديد الوارد فى ٢٠ : ٧ . وعلى هذا فالقصة الحالية تشير إلى الحدث الأول (١(أ)) وتفترض الحدث الثانى ، والزلات المتكررة (مثل إنكار بطرس ثلاث مرات) تؤكد الضعف المعتاد فى البشر حتى المختارين .

عدد ١ : « غير الجوع الأول » : انظر التعليقات السابقة . وبالنسبة لـ « أبيمالك » انظر التعليق على الآية ٢٦ ، وعلى « الفلسطينيين » فى ٢١ : ٣٢ .

أعداد ٢ ــ ٤ : جاءت البركة لإسحق عند موت والده (٢٥ : ١١) ، والآن يظهر له الرب إبان محنة . كان الوعد شديداً : أن يرفض الوفرة الحاضرة فى مصر مقابل بركات غير مرئية فى غالبها (٣(أ)) وتتحقق بعد فترة طويلة (٣(ب) و ٤) كان أمراً يتطلب نوعية الإيمان الذى امتدح فى عب ١١ : ٩ و ١٠ ، وأثبت أنه كان ابناً مخلصاً لأبيه – وعلى الرغم من أنه – على غرار إبراهيم – كان سيفسد طاعته فى الحال .

عدد ٥ : وتوصى الشروط العديدة (انظر على سبيل المثال تث ١١ : ١) بأنها تتطلب العبد الكامل والمسئول والمطيع . وهى تستبعد أيضاً الفكرة القائلة بأن الناموس والوعد فى صراع بالضرورة (انظر يع ٢ : ٢٢ ، غل ٣ : ٢١) .

عدد ٧ : وكأى إنسان ، نرى إسحق يخلط بين الإيمان (انظر التعليق على ٢ - ٤) والخوف ، ومما يشكلان خليطاً متنافراً يمكن أن يضفى سمة خاصة الخسة على الخطايا التى يعترفها الشخص المتدين ، ولا نجدها واضحة فى أى مكان يقدر وضوحها فى هذا المثال .

عدد ٨ : وعبارة « إذ طالت له الأيام » تفيد أن مخاوف إسحق لم يكن لها ما يبررها ، وعلى الرغم من ذلك فكان لا يزال يصر على الاستسلام لها . وفى كلمة « يلاعب » (يداعب) أو يتضاحك : إنه الفعل المشتق من اسمه (انظر ١٧ : ١٧ و ١٩ ، ١٨ : ١٢ ، ٢١ : ٦ و ٩) تُرجم فى النص مع ذلك إلى فكرة رئيسية أخرى .

العددان ١٠ و ١١ : بالنسبة لشكوك أبيمالك انظر التعليقات الافتتاحية على هذا الأصحاح .

أعداد ١٢ - ٢٢ : ثروات إسحق بين الصعود والهبوط .

أعداد ١٢ - ١٤ : بركات الرب (١٢) حققت الوعد الذى تضمنته الآية ٣(أ) ، والتى فضلها إسحق على كل مغريات مصر(٢) . بيد أنه يجب أن يظل مرتحلاً وعلى ذلك فلابد وأن تجلب الثروة من يهيجون عليه (١٤(ب)) ، وهذا ما ستفعله أيضاً فى يومٍ ما بالنسبة ليعقوب (٣١ : ١ - ٣) .

أعداد ١٥ - ٣٣ : « الآبار » تتسيد الآن القصة وتواصل ذلك حتى النهاية ، ذلك أن ثروات إسحق المتعاظمة ، بدلاً من أن تسانده ضد واقع الحياة المريرة ألقت به ثانية ليواجه وبشكل متزايد مصاعب مصادره الأساسية .

والآية ١٥ تمهد للصدمة التى أُشير إليها فى الآية ١٦ ، ذلك أن إسحق سوف يُحاصر بين مدينة معادية ومنطقة تفتقر إلى المياه . أما جهده الذى بذله على الآبار التى سبق طمها ، والصراع الذى حدث بالنسبة لنجاحاته المبكرة (٢٠ و ٢١) ، وفترة الراحة التى جاءت فى حينها وما صاحبها من تشجيعات (٢٢ - ٢٤ ، قارن أع ١٨ : ٩ و ١٠) والمكافأة التى تحققت أخيراً نتيجة تماسكه ومثابرته (٢٦ - ٣٣) فتشكل كلها قصة لا تزال تعد شاهداً بالنسبة لرجل الله الذى يكون منهمكاً فى نفس هذا الصراع (عب ١١ : ٣٩

و ٤٠) وتقوى احترامه لهذا الشخص الذى لم يدع ليكون رائداً بقدر ما دُعى ليدعم ويقوى .

أعداد ٢٣ – ٣٣ : العهد فى بئر سبع :

عدد ٢٤ : بالنسبة لتأكيدات الله ، انظر الفقرة السابقة .

عدد ٢٥ : المذابح التى بناها الآباء كانت استجابة ، ولم تكن مبادرة من جانبهم : لأنها فى غالبيتها تسجل بشكر وعرفان مجىء الله وكلامه مع عبيده (انظر ١٢ : ٧ ، ١٣ : ١٧ و ١٨ ، ٣٥ : ٧) .

عدد ٢٦ : هذا العهد أحيا عهداً سابقاً مع إبراهيم (٢١ : ٢٢ – ٢٥) ، والذى مما لاشك فيه أنه كان فى حاجة إلى تجديد ، ثم إن المشهد الحالى يشابه إلى حد بعيد المشهد السابق . أما إعادة ظهور اسمى أبيمالك وفيكول بعد هذه الفسحة الطويلة من الزمن فقد يستفاد منه أنهما كانا من الأسماء الرسمية (انظر « فرعون » إلخ ، وانظر أيضاً التعليق على ٢٠ : ٢) ، وإما أنهما أسماء عائلية متكررة .

أعداد ٢٧ – ٣١ : بالصراحة التى كانت من جانبه (٢٧) وما نتج عنها من ضبط النفس (من ناحية تغاضيه عن الإساءة الواردة فى الآية ٢٩) ، انظر مز ١٧ : ٢٧) استطاع إسحق أن يعقد سلاماً مشرفاً . أما « الضيافة » (آية ٣٠) فكانت تشكل الوسيلة المقبولة لتعزيز العهد ، انظر على سبيل المثال ٣١ : ٥٤، وعلى مستوى أعلى انظر خر ٢٤ : ٨ و ١١ ، مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٩ .

العددان ٣٢ و ٣٣ : كلمة « شبعة » (بالعبرية sib'â أى سبعة) هى لفظة أخرى لكلمة « سبع » (انظر التعليق على ٢١ : ٣١) . وسواء كانت هذه بئر إبراهيم أُعيد فتحها ثانية (٢١ : ٣٠ و ٣١ ، انظر ٢٦ : ١٨) أو كانت بئراً ثانية (انظر يش ١٩ : ٢٢) فإن الاسم « بئر سبع » يجىء الآن ذكر وعدين منفصلين ٢٦ : ٣٤ و ٣٥ . زوجات عيسو الحثيّات .

هناك الكثير مما يمكن استخلاصه من هذه الملحوظة ، ذلك أنها تبرز حماقة إسحق من ناحية استمرار تركه قيادة العائلة لعيسو (انظر الآية ٣٥ مع ٢٤ : ٣) ، وهى تمهد الأمر لإرسال يعقوب فى (٢٧ : ٤٦ – ٢٨ : ١ – ٢) إلى خاله فى فدّان أرام .

الأصحاح السابع والعشرون

٣ ــ يعقوب وظهور إسرائيل

ص ٢٧ ــ ٣٦

أعداد ٢٧ : ١ ــ ٤٦ : يعقوب يختطف البركة :

إذا شئت مسحا شاملاً لعمل يعقوب فانظر التفسير على ٢٥ : ١٩ ــ الخ . ولاحظ أننا لو لم نضع فى حسابنا دليل عب ١٢ : ١٦ و ١٧ فإننا نحكم على الموقف حكما خاطئا ــ ذلك أن عيسو ببيعه البكورية قد باع أيضا بركته كبكر . وهذا يجعل كل الأطراف الأربعة فى المشهد الحالى مخطئين على قدم المساواة . أما « إسحق » فسواء عرف بالبيع أم لا فإنه يعرف ما أنبأ به الله فى ٢٥ : ٢٣ عن المولودين ، ومع ذلك فقد استخدم قوة الله ، لكى يغير ويحرف تلك النبوة (انظر ع ٢٩) . هذه وجهة نظر السحر وليس الدين . وأما « عيسو » بموافقته على خطة والده فقد حنث بقسمه (٢٥ : ٣٣) ورفقة ويعقوب ولكل منهما أسبابه لم يسألا الله أو أى إنسان وتصرفا دون أى لمحة من إيمان أو محبة ، وحصدا النتيجة الحتمية ــ للبغضة (بعد زمن طويل تعلم يعقوب وهو يبارك أفرايم ومنسى ، الطريقة البسيطة التى يرتب بها الله هذه الأمور : انظر التفسير التمهيدى لـ ص ٤٨) .

أفلحت هذه الخطط المتنافسة فقط فى فعل « كل ما سبقت يد (الله) ومشورته أن يكون » (قارن أع ٤ : ٢٨) . وتأتى اللمسة النهائية فى اللحظة التى كان فيها إسحق لا يهتم بمن يتزوج يعقوب عندما وجد يعقوب نفسه قد أبعد عن العش الذى تربى فيه ، يطلب ملجأ وزوجة بين الأنسباء ، الذين كان إبراهيم قد اتجه إليهم فى طاعة للرؤيا (٢٤ : ٣ ــ الخ) .

عدد ١ : الخ تلعب الحواس الخمس ــ المعرضة للخطأ ــ دورا واضحا فى المحاولة التقليدية للتعامل مع المسئوليات الروحية فى ضوء الطبيعة . ومن المضحك أنه حتى حاسة التذوق التى كان يتباهى بها اسحق خدعته وأعطته إجابة غير صحيحة . لم يكن عند رفقة أدنى شك فى أنها تستطيع أن تقلد

تأنق عيسو بأفضل ما يمكن ـــ ترى هل أتقنت هذا كثيرا من قبل ؟ ـــ وقد فعلت ذلك فى وقت أقصر مما فعل عيسو عادة . لكن الفضيحة الحقيقية هى طيش اسحق . فمنذ زمن طويل كان قلبه تحت سلطان فمه (٢٥ : ٢٨) وأسكت ذلك لسانه (لقد كان عاجزا عن انتهار الخطية التى تسببت فى سقوط عيسو) ودبر أن يجعلها الفيصل بين شعوب وأمم (ع ٢٩) . إن عدم أهلية هذا الضرير للقيادة تفصح عن نفسها فى كل فعل من أفعاله . فها هو يرفض شهادة أذنيه ، لكى يقبل بدلا منها شهادة اليدين . واتبع ما يلقنه له فمه .. وسعى إلى طلب الوحى فى كل شى عن طريق أنفه (ع ٢٧) ومع ذلك فقد استخدم الله كل هذه العوامل لأجل قصده .

عدد ١٢ : « متهاون » : لفظ نادر فى العبرية وقد استخدم فى ٢ أى ٣٦ : ١٦ مرادفا لكلمة مستهزء . وقد تعنى مخادع .

أعداد ٢٧ ـــ ٢٩ : تناول الله محاولات اسحق وطموحه ـــ التى فيها نواة الإيمان (عب ١١ : ٢٠) ـــ وأعاد توجيهها ، واستجابها أكثر جدا مما يطلب أو يفتكر . فملابس الصياد ذات العبير الريفى تعيد إلى إسحق ذكرى موعد الأرض ، ثم ترفعها إلى رؤيا عن الوفرة (فى ألفاظ يسهب فيها فيما بعد مثل تث ١١ : ١١ ـــ ١٥) ، وليس مجرد مكان للمعيشة . فقد كان إعجابه العظيم بعيسو سببا فى طلب إمبراطورية من أجله ، ضد قضاء الله فى ٢٥ : ٢٣ ـــ التى يبينها مز ٧٢ ، ٨٧ بطريقة أخرى ، وأن ملك « يعقوب » ومدينته سيتمتعان بها . وأخيرا تأتى الوقاية فى لعنة وبركة لكى تتحكم فى ما يدور حول تصرف كل منهما (ع ٢٩ ب) وقاية لإسرائيل الحقيقى .

عدد ٣٣ : تفيد كلمات إسحق « نعم ويكون مباركا » أكثر من مجرد إيمان بأن الكلمة التى قيلت تحمل فى ذاتها عوامل إتمامها ، فهو يعلم أنه يحارب ضد الله ، كما كان يفعل عيسو أيضا . ولذا يسلم عيسو بالهزيمة .

عدد ٣٤ : أما عن « الصرخة .. المرة » التى أطلقها عيسو فانظر الحكم النهائى فى عب ١٢ : ١٦ و ١٧ .

العددان ٣٩ و ٤٠ : تبدأ بركة عيسو بترديد كلمات عكس بركة يعقوب ، تاركا لعيسو أرضا « بلا دسم » قارن الكلمات المشابهة فى ٤٠ :

١٣ و ١٩ وانظر الحاشية (٣) فى تفسير ٣ : ١٥ .

لذلك ينطق إسحق عن عيسو بمصير « الشخص الدنيوى » : حرية العيش بلا بركة (ع ٣٩) وبلا ترويض (ع ٤٠) .

أعداد ٤١ ـــ ٤٦ : ومرة أخرى تظهر سرعة تعامل رفقة مع المناسبات والأشخاص ، أولا فى إدراكها أنه يجب أن تضحى بيعقوب لكى تخلصه ، ثم فى تعاملها الحكيم مع كلٍ من الابن والأب . فأيقظت فى يعقوب انزعاجا كافيا (ع ٤٢) ورجاء (ع ٤٣ ـــ ٤٥) وندامة (ع ٤٥جـ) لكى تقتلعه من المكان وقد كان حبه لبيته متمكنا منه . ومع ذلك فلا يجب أن يذهب كطريد ، وإنما يذهب بمساندة أبيه وحماية أسرته ـــ بل ويحسن أن يقترح اسحق الفكرة بنفسه . لذلك كان افتتاح حديثها عن زواج يعقوب « خطة بارعة » : لقد لعبت على مشاعر إسحق وعلى مبادئه معا . فإن التفكير فى كنة حثية ثالثة ، وزوجة حائرة ، يكسر قلب شخص كإبراهيم . وقد اكتمل انتصار رفقة الدبلوماسى ؛ ولكنها لن ترى ابنها ثانية .

الأصحاح الثامن والعشرون

أعداد ١ ــ ٩ : إرسال يعقوب إلى ما بين النهرين :

هنا يبدأ الطور الثانى من حياة يعقوب (انظر تفسير ٢٥ : ١٩ ــ ٣٤) وقد رتبت العناية الإلهية ، عن طريق دبلوماسية رفقة (انظر أعلاه) ، أن يتمكن من ترك البيت وأمامه هدف ، وخلفه بركة أبيه ــ تلك البركة التى تتضمن فى حد ذاتها تحذيراً لعيسو لكى لا يتدخل . وإذ فهم عيسو الموقف ، حاول أن يفعل الأمر المستحسن ، وكانت محاولة شبيهة بمعظم المحاولات الدينية التى تأتى من الإنسان الطبيعى[1] ، سطحية وتابعة لحكم سقيم . إن أخذه زوجة ثالثة لا يمكن أن يكون العودة إلى البركة ، رغم أن ابنه إسماعيل أفضل من الحثية .

عدد ٢ : « فدان أرام » أى سهل أرام ، وهى المقاطعة المجاورة لحاران فى شمالى غربى ما بين النهرين ، حيث أقام ناحور أخو إبراهيم وهو وطن رفقة .

عدد ٣ : كان الاسم [إيل شداى] « الله القدير » هو الاسم الإلهى المقترن بالعهد مع إبراهيم (١٧ : ١) وهو الذى اهتم اسحق بالتنبير عليه كما يتضح من العدد التالى . وبه يمكن ليعقوب فى وحدته أن يتأكد أنه ليس معزولا ، بل العبارة « جمهور من الشعوب » تضيف عمقا جديدا التى وعد بها إبراهيم وإسحق ويظهر لأول مرة اللفظ الذى يستخدمه العهد القديم بمعنى الكنيسة أو الاجتماع فى « جمهور » هذه وهى مشتقة من فعل معناه يجتمع ، بما فيها من فكرتى الملازمة والتزايد . وذات اللفظ اقترن بيعقوب أيضا فى ٣٥ : ١١ ، ٤٨ : ٤ .

عدد ٥ : « الأرامى » نسبة إلى فدان أرام ، وقد أسس الأراميون مملكة فى دمشق ، ولكن فى ذلك الوقت ، كانوا يعيشون إلى أقصى الشمال .

أعداد ١٠ ــ ٢٢ : حلم يعقوب ونذره :

هذا إظهار فائق للنعمة الإلهية الغزيرة التى تأتى دون البحث عنها ، فهى تأتى دون البحث عنها لأن يعقوب لم يكن السائح الغريب ، أو الضال

---

(١) قارن ١ كو ٢ : ١٤

الراجع ، ومع ذلك جاء الله لكى يقابله ، مع حاشية ملائكية . وكان كل هذا مفاجأة ليعقوب ، وهى نعمة غزيرة ، إذ لم تذكر أى كلمة من التوبيخ أو الأمر ، بل سيل من الضمانات يتدفق ممن يقول له « أنا الرب » يبدأ من الماضى (ع ١٣ أ) إلى المستقبل البعيد ، ومن البقعة التى كان يعقوب ينام فيها (ع ١٣ ب) إلى أربع زوايا الأرض (ع ١٤) ، ومن شخصه إلى كل الجنس البشرى (ع ١٤ ب) . جاءت هذه الكلمات لتواجه وحشته ، وحالته وهو بلا مأوى ، ومتقلقل ، فتؤكد له الموعد الذى ينتظره بصبر ، معطيا إياه ميراث أرض ، ووعد بطريق آمن .

وغالبا ما يحكم على جواب يعقوب بأنه مجرد مساومة ، ومع ذلك فقد كان جوابا متقنا على قدر معرفته أن يجيب . فقد عبَّر عن رهبة رائعة (ع ١٦ و ١٧) ومشغولية ، بشخص الله الذى لاقاه ، وليس بالأشياء الموعودة ، ثم أظهر ولاءه فى العهد الذى تعهد به . ولم يكن النذر مساومة بل كان مثل أى نذر آخر (والشرط « إن » ملازم لجوابه) . لهذا فمن الإنصاف أن نقول إن يعقوب متمسك بالموعد فى ص ١٥ يترجم العام فيه إلى الخاص . زيادة إلى ذلك أنه رأى بالصواب أن عشوره (ع ٢٢ ب) لم تكن عطية بل رد لفضل الله .

عدد ١٢ : « سلم » إن منظر مجموعة من الملائكة يصعدون وينزلون لا تناسب السلم « النقالى » بل سلم الدرج (والكلمة أشبه بمعنى « المصعد » الذى يلقى على سور مدينة ، والذى يدعوه الكتاب « مترسة » (٢ صم ٢٠ : ١٥)[1] . أما عن الملائكة الحارسة على الأرض فانظر زك ١ : ١٠ ــ الخ ، أى ١ : ٦ ــ الخ .

وقد استخدم يسوع هذه الكناية عن نفسه باعتباره واسطة الاتصال بين السماء والأرض كتعبير واضح يجهز الأذهان لإعلانه عن نفسه أنه الطريق (يو ١ : ٥١) .

عدد ١٣ : وكون « الرب واقف عليها » ، له دلالة ليست بالهينة : فإن

---

(١) فى ف ٧٨ سنة ١٩٦٦ ص ٨٦و٨٧ يوجه أ . ر . ملرد الانظار إلى كلمة أكادية مشابهة فى قصة : نرجال وإرشكيجال حيث رسل الآلهة يعبرون « سيملُتو » السلم الطويل السماوى » .

الله والسماء فى شغل شاغل بيعقوب . بل توجد مقارنة بين الملائكة وهم مكلفون بمأمورية إلهية إلى الأرض ككل ، وبين الرب بشخصه يهتم بيعقوب (قارن تث ٣٢ : ٨ و ٩) . وبالتأكيد فإن هذه الدعوة كما ذكرت فى الكتاب المقدس لها قدر أعظم من قيام وسقوط الإمبراطوريات .

عدد ١٤ : « يتبارك فيك » (انظر تفسير ١٢ : ١ — ٣) .

عدد ١٧ : « باب السماء » هذا التعبير يستدعى المقارنة بين هذا النص وقصة بابل ، خاصة بالنسبة لاسم بابل (انظر تفسير ١١ : ٩) .

عدد ١٨ : « العمود » و « الزيت » رمزان مألوفان فيما يختص بالذكريات (قارن تث ٢٧ : ٢ — الخ ، اش ١٩ : ١٩) وكذلك « المسح » (لا ٨ : ١٠ و١١ ومنها المسيح : « الممسوح ») . أما الأعمدة الممنوعة بعد ذلك فكانت رمزا لبابل (تث ١٢ : ٣) وقدمت لها العبادة (مى ٥ : ١٣)

عدد ١٩ : « بيت إيل » = بيت الله قارن ع ١٧ و ٢٢ .

عدد ٢٢ كانت تقدمة « العشر » تطوعية قبل أن تأتى بها الوصية . وقد أساء الفريسيون استخدامها (مت ٢٣ : ٢٣) على أن العهد الجديد يستصوب مبدأ العطاء المناسب ، ولو أنه لا يحدد قيمته (١ كو ١٦ : ٢) .

الأصحاح التاسع والعشرون

أعداد ١ ــ ٣٠ : يعقوب وبنات لابان :

لابان لقى فى يعقوب نده ، كما أنه كان وسيلة تهذيبه . فقد انقضت عشرون سنة (٣١ : ٤١) فى عناء واحتكاك كانت كفيلة بأن تصهر شخصيته . ويستطيع القارىء أن يتبين أن يعقوب ليس هو الشخص الوحيد الذى يحتاج إلى لابان فى حياته .

وعن طريق هذا الرجل شرب يعقوب من شبيهه من نفس الدواء ، ومع ذلك فحتى وهو فى دور الخاسر أظهر خصالا لم تكن عند عيسو . فإن صلابته التى ظهرت عند ميلاده وبأكثر جلاء عند فنيئيل مكنته من أن يرى هزيمته فى الزواج من راحيل مجرد تعطيل ، وبثباته فى الامتحان ربح جائزة أعظم مما كان يعرف .

أعداد ١ ــ ١٤ : جاء حادث البئر فى وقته لكى يظهر يعقوب لا كمتسول بل كصاحب فضل . ولقد كان هذا رصيدا رائعا فى معاملة مثل هذا الرجل . كذلك يظهر يعقوب أمامنا شخصا مليئا بالقوة الدافعة ، والإقدام . إن وجهة نظر الرعاة (بما فيها من كلمات منتقاة لم تكن مقنعة له) (ع ٨) « لا نقدر .. » . وفوق ذلك فهو يعرف متى يقدم على العمل لكى يأخذ أفضل فائدة ، ويتوج مأثرة القوة بمأثرة الخدمة ، التى يقدمها بأسلوب تمثيلى . ياله من مدخل رائع[1] .

عدد ١٧ : « ضعيفتين » إما فى البصر أو (كما يقول فون راد) فى اللون .

عدد ١٨ : « سبع سنين » عرض حسن : واضح أن يعقوب لم يكن مغامرا يتوقع رفضا ــ الأمر الذى لم يفت لابان أن يلاحظه وأن يستغله ، مثل ما استغل يعقوب رغبة عيسو الجامحة (٢٥ : ٣٢) .

عدد ١٩ : قصد لابان أن يقدم المظهر الجميل دون الموافقة الحقيقية فقدم

---

(١) هناك مواجهات أخرى بجوار الآبار تستحق المقارنة مع هذه ، فى تك ٢٤ ، خر ٢ . هناك صلى اليعازر التقى المستقيم وأجيب . وهناك موسى بطل المقهورين وجد مسكنا ، عن طريق ذات الفروسية التى كلفته كثيرا . وكذلك يعقوب عن طريق استخدامه السليم للمنافسة .

حديثا غير صريح .

عدد ٢٠ : يفتكر المرء أن سبع سنين طويلة مملة ، المهم هنا هو أن هذه كانت أمرا تافها كمهر لعروس .

عدد ٢١ : لم يذكر يعقوب فى كلماته اسما . ولكن لم يكن من الصعب على لابان فهم صيغة الطلب .

عدد ٢٤ : يأتى ذكر تقديم جارية هدية للعروس بطريقة مفاجئة (قا ع ٢٩) وتلقى لوحات نوزى Nuzi[1] ضوءاً توضيحيا على هذا .

عدد ٢٥ : الكلمات « إذا هى ليئة » تجسيد لخيبة الأمل فى لحظة هى مثال مصغر لزوال وهم الإنسان كما اختبره جميع البشر منذ عدن وما بعد ذلك .

ولكن تعلن القصة أن الكلمة الأخيرة لله وليست للابان . لقد خُدع يعقوب المخادع ، وتعظمت ليئة المحتقرة لكى تكون أما لسبطى الكهنوت والملك ، لاوى ويهوذا ، ولآخرين .

عدد ٢٦ : جواب لابان الرقيق صحيح بلاشك ولو أنه جاء متأخرا (قا ع ١٨ و ١٩) ولم يكن هناك فائدة من الجدال وقد وطد يعقوب عزمه كعادته أن يسترد ما يمكن استرداده .

عدد ٢٧ : « الأسبوع » هو أسبوع العرس (قارن قض ١٤ : ١٧) بعده يأتى زواجه من راحيل وبعدها خدمة السبع سنين الأخرى . هذا هو المفهوم من ع ٣٠ .

عدد ٢٨ : فى ما بعد منع زواج اختين فى أثناء حياتهما كليهما معا (لا ١٨ : ١٨) . والقصة الحاضرة تبين لماذا . كما أن هذه القصة مثال لأمانة التسجيل ، وليس الغرض منها تطبيق الناموس بأثر رجعى .

أعداد ٣١ ــ ٣٠ : ٢٤ ــ أولاد يعقوب من رأوبين إلى يوسف :

استمر يعقوب يجنى الثمر المر فى العلاقات الأسرية . فعلاقته الفاترة بزوجته غير المرغوبة مفهومة والأعداد ٢٩ : ٣١ ــ الخ تبين أن الله عرف هذه

---

(١) أنظر تفسير وحاشية ١٦ : ١ ــ ٣ .

المشكلة كما كانت تعرفها ليئة ، وهناك أشياء تدعو إلى الإشفاق بأكثر من معانى أسماء أبنائها الثلاثة الأول . وتظهر بعض ثمار البؤس والدسائس فى هذه الفترة فى الأصحاحات الأخيرة من هذا السفر ، وكان على الأسباط أن تجتاز عبر التاريخ وهى تحمل ذكريات هذه البداية الدرامية . وعلى المستوى البشرى تستعرض القصة شوق البشر إلى المحبة وإلى القيمة وتكلفة عدم الحصول عليهما . وعلى المستوى الإلهى ، تبين مرة أخرى ، نعمة الله التى تختار أناسا معقدين ولا يبدو أى أمل فيهم لتتعامل معهم .

عدد ٣١ : وضح ع ٣٠ معنى كلمة « مكروهة » فى هذه القرينة (قارن تث ٢١ : ١٥ ــ الخ) ، ومفهوم الكلمة أنها كانت غير محبوبة .

عدد ٣٢ : وضح المعنى الخاص الذى قصدته ليئة بالاسم رأوبين أشبه بما ناقشناه فى ٤ : ١ . وربما كان الاسم متداولا من قبل (ومعناه « هوذا ابن ») وقد علقت آمالها عليه .

وكذلك باقى الأسماء . فكما حدث هنا حدث فى معظم الأحوال . وجميعها ينعكس عليها التوتر الأسرى المباشر ، وكذلك الانتصارات . وفيما بعد فى بركة يعقوب (ص ٤٩) ترتبط الأسماء والأحداث المرافقة لها مع نبوات ذات نظرة مستقبلية بالنسبة للاثنى عشر سبطا .

الأصحـاح الثلاثـون

عدد ٣ : التعبير « على ركبتى » مماثل للوارد فى ٥٠ : ٢٣ ، ويعنى «أولاد يحسبون مثل أولادى » . قارن تفسير ١٦ : ١ — ٣ .

عدد ٨ : مصارعات الله(*)

عدد ١١ : جاد ومعناه سعد أو حظ مثل ما جاء فى عدد ١٣ وهو المعنى الأكثر احتمالا ، وقد تعنى فرقة جيش كما جاء فى ٤٩ : ١٩ . وفى اش ٦٥ : ١١ صار السعد إلها كما حدث فى الكلمات اللاتينية واليونانية (تايخى ، فرتيونا)(١)

عدد ١٤ : كانوا يعتقدون أن « اللفاح » يزيد الخصوبة كما يفيد اسمه العبرى . ولهذا كانت راحيل حريصة على الحصول عليه . وكانت النتيجة مضحكة إذ لم يفعل اللفاح أى شيء لراحيل بينما صار لليئة ابن آخر عندما أعطت اللفاح لراحيل . هذا مثال آخر فى هذه الأسرة ، للمتاجرة فى أشياء كان يجب أن تسمو عن المتاجرة ، واللجوء إلى الله فى وقت الضيق بقلب غير كامل . ولكن الاسم « يساكر » بذكراه للمساومة الغريبة ، حمل معنى مفرحا بما قالته ليئة فى ع ١٨ قارن تفسير ٢١ : ٦ . ولكن فيما بعد اكتسب معنى آخر مقترنا به . انظر تفسير ٤٩ : ١٥ .

عدد ٢٠ : فى نصفى هذا العدد جانس الكاتب بين كلمتين من مصدرين متقاربين هما الفعل [زَبَد = وهب] ، [زَبَل = ساكن] ويبدو أنهما مرتبطان فى المعنى وليس فقط فى النطق ، فى ضوء الكلمة الأكادية [زُبُلُّو= هدية العريس] ويترجم سبايزر (وهو الشخص الذى وجه الالتفات إلى هذا الفعل) النصف الثانى من العدد « هذه المرة سيحضر لى زوجى هدايا ... » ، ويوجد الكثير مما يجعلنا نقبل هذا الرأى .

(*) قالت راحيل « قد تصارعت مع أختى مصارعات عنيفة وظفرت » . هذا هو المعنى كما جاء فى معظم الترجمات (انظر كتاب الحياة) وإن كان المعنى الحرفى مصارعات الله — (المحرر) .

(١) ليس صوابا بأن السبط فكر فى أنه سليل إله الحظ [كما يقول أوسترلى وروبنسون فى « الديانة العبرانية »] وحتى لو كانت فرتيونا موجودة فى هذا الوقت المبكر (ولا دليل على هذا) . فالاسم لا يوجد فيه ميل لاهوتى .

عدد ٢١ : « دينة » ستظهر ثانية فى ص٣٤ .

العددان ٢٣ و ٢٤ : يوجد سجع بين الكلمتين العبريتين [آسف asap « أزال »] ، يوسف « يزيد »] . والصلاة المتضمنة فى الاسم ، مثال طيب للإيمان الساعى إلى أكثر مما قد أعطى الله .

أعداد ٢٥ ـــ ٤٣ : يعقوب يتفوق على لابان :

لم يتشكك لابان بالنسبة لمشروع نسيبه ـــ وهذا أمر غريب ـــ لكن سبب ذلك أنه كان قد فكر فيه وكون بسرعة الخطة المضادة فى ع ٢٥ جـ و ٣٦ . وقد قام لابان بالفصل بين القطيعين بمسافة سفر ثلاثه أيام ، وعين أولاده لرعاية القطيع الأبلق ، وبذا أمال الميزان فى صالحه . وأصبح أى احتجاج من يعقوب مرفوضاً .

يغرى فوز يعقوب فى مبارزاته هذه إلى تداخل الله ، أكثر مما كان يمكن أن يحققه هو ، وقد أقر يعقوب بهذا فى ٣١ : ٩ . وعندما وضع القضبان المكشوطة ، فى وقت التكاثر ، فقد كان يتصرف بحسب المعتقد الشائع ، أن النظر مليا أثناء الحمل يترك آثاره على الجنين ، ولكن هذا غير ثابت[1] . ويعزى نجاحه عن طريق اختبار السلالات الأفضل (ع ٤٠ ـــ ٤٢) ، ولكن ذلك وحده لا ينتج إلا نتاجا بطيئا ، بحسب فكر لابان . لكن من الواضح أن الله تدخل (انظر ٣١ : ٩ ـــ ١٢) لكى يتمم ما رجاه يعقوب من القضبان ، مستعملا إياها كما استخدم سهام يوآش أو عظام أليشع كواسطة (أو كمناسبة) للفعل المعجزى . ولن تكون هذه المرة الأخيرة التى يكون دوره فيها أعظم مما يظهر للناظر .

عدد ٢٧ : لم يكن موقف لابان موقف المتذلل بل قصد تأخير يعقوب عن الارتحال بغية تنفيذ مشروعه فى العدد التالى . أما قوله « تفاءلت » فتعنى إما ممارسة التطير (التفاؤل والتشاؤم) أو أنه يتحدث حديثا مجازيا (انظر ٤٤ : ٥ و ١٥) ولكن استعمال العهد القديم للفعل يرجح المعنى الأول .

---

(١) قارن د . م . بلير فى « نظرة طبيب إلى الكتاب المقدس » I-V-F سنة ١٩٥٩) ص٥ ـــ ويساند هذا المعتقد ديلتش حين يقتبس عادات التهجين فى عصره . ويتبعه البعض منهم س . ر . دريفر ، ج . سكنر . ولكن هذه العادات ربما تعزى لعوامل أخرى ـــ انظر أيضا تفسير ع ٣٨ و ٣٩ .

عدد ٣٢ : قارن ما جاء عن نصيب يعقوب فى ع ٣٥ . وفى كل مرة يجدد ليعقوب الصنف النادر .

العددان ٣٨ و ٣٩ : يحسن أن نفهم الأحداث ليست على سبيل العلة والمعلول .

عدد ٤٣ : كون يعقوب هذه الثروة فى مدى ست سنين (٣١ : ٤١) .

الأصحاح الواحد والثلاثون

أعداد ١ ــ ٢١ : هروب يعقوب من لابان :

تحرك العش الساكن بيعقوب ليحثه إلى الرحيل عائدا للوطن ، وكانت أكثر العوامل الضاغطة عليه موقف لابان الخطير ويصفه ع ٢ وصفا رائعا ، باعتبار أن التعاقد مع لابان قد سبب له ضيقا ، فى كل اتجاه ذهب إليه (ع ٧ و ٨) لقد دعى يعقوب للعمل كما طرد منه . كان على يعقوب أن يحقق دعوة الله له فى حلمه الجديد وأن يواجه أخاه بدافع من ضميره فقط إذ يبدو أنه قرر أن يتحمل العبء ٣٢ : ٣ من ذاته .

ولا يجب أن تغيب عن أذهاننا هذه الدوافع فى ضوء تسلله الغامض عند خروجه . ولاشك أنه كان مخططاً بارعاً مثله مثل أى شخص يتعامل مع لابان . ولكنه كان أيضا رجلا مطيعا للدعوة الإلهية .

عدد ١ : نال يعقوب نصيب الأسد ، لكن الذين ينتقدونه لأجل ذلك يجهلون مقدار نمو العمل كله الذى كان هو أساسه (٣٠ : ٣٠) وخدمته التى أداها مدة أربعة عشر سنة بأجر زهيد . لقد كان ما صنعه عدلا .

إن الكلمة العبرية التى هى أصل كلمة « المجد » معناها « ثقل » وبهذا فهى تعنى « الثروة » إلا أن اختيار هذه الكلمة يشير إلى أن أقرباءه استاءوا من أسلوب حياته (قارن ٣٠ : ٤٣) .

العددان ٢ و ٣ : إن الأمر الذى يستحق الملاحظة كمثال للقيادة الإلهية هو تتابع الأفعال هكذا : « نظر يعقوب .. وقال للرب » . لقد نبهته الظروف الخارجية للصوت الداخلى ، ولم تكن هذه الظروف وحدها دافعا له . لاحظ أيضا أن ما قاله الرب يتفق مع موعده المبكر فى ٢٨ : ١٥ . ويروى يعقوب الرؤيا رواية أكمل فى ع ١١ ــ ١٣ فيما بعد .

عدد ٤ : من هذا العدد ومن ع ١٩ يتضح أن لابان قد خاتل فأبدل القطعان (قارن ٣٠ : ٣٥ و ٣٦) بطريقة مفاجئة ، ولاشك أن ذلك قد حدث بتغيير فى الاتفاقات .

عدد ٥ : الخ لما كان يعقوب يريد أن يصطحب معه أسرة ترغب فى

مرافقته فى سيره فى غربته ، فقد كان حديثه معهم أكثر من مجرد الدفاع عن النفس ، فقد أشار فيه إلى دور يد الله فى نجاحه ، وإلى دعوة الرب له فى شروعه فى السفر مما كان له أثره فى استجابة بإيمان ظهرت فى الجواب المدون فى ع ١٦ (قارن تفسير ٢٤ : ٣٤ — ٥١) .

عدد ٧ : « عشر مرات » عدد تقريبى — ربما يعنى « مرارا وتكرارا » .

العددان ٨ و ٩ : هذا يعنى أن فضل الله لا يقاوم ، ولقد كان عاملا قاطعا فى كل ما تم كما قال يعقوب ، وهذا هو مضمون الحلم (قارن ع ١٢) انظر أيضا تفسير ٣٠ : ٢٥ — ٤٣ .

عدد ١١ : « ملاك الله » — نقول مرة أخرى إن هذا اللفظ يعنى الله ذاته : (قارن ع ١٣ ، والمقدمة) .

عدد ١٣ : « اله بيت إيل » معناها « الإله الذى ظهر فى بيت إيل » .

العددان ١٤ و ١٥ : لم يفت بنات لابان استغلال أبيهما لهما ، ولاشك أن فقد رضاهما كان جزءا من الثمن الذى دفعه بسبب طمعه (قارن حب ٢ : ٦ — ٨) .

عدد ١٦ : انظر تفسير ع ٥ — الخ أعلاه .

عدد ١٩ : ربما كان لراحيل دافع دينى (٣٥ : ٢ و ٤) فى سرقة « الأصنام » أو « آلهة البيت » . وربما كان امتلاكها للأصنام يقوى دعواها فى الميراث (كما تفيد سجلات Nuzi) . وهذا أقرب تفسير لفعلتها . هذا الرأى متفق مع كلماتها فى ع ١٤ — ١٦ ، ويمكن أن نتصورها تقول فى نفسها إنها لم تأخذ أكثر من حقها . ومرة أخرى نرى فى هذه القصة صلابة الرأى وحب النفع الذاتى الذى يوصل إلى حافة الهلاك .

عدد ٢١ : « عبر النهر » — الفرات .

أعداد ٢٢ — ٤٢ : الملاحقة والمواجهة :

ومرة أخرى الحكم الفصل بيد الله . بحسب تصورنا كبشر ، كان يمكن أن يربح لابان فى كل المعاملات (انظر تفسير ٣٠ : ٢٥ — ٤٣) وكذلك المواجهة الجسدية (قارن ع ٢٣ و ٢٩ أ) — فإن كان يعقوب قد استعاد

شيئا من السبى حتى حياته نفسها ، فذلك من تدبير وحماية الله (ع ٢٤) .

عدد ٢٤ : الحلم التحذيرى أشبه بحلم أبيمالك فى ٢٠ : ٣ ــ الخ . وكل من الآباء الثلاثة ، قد أنقذ من مخاطرة معيبة .

أعداد ٢٦ ــ ٣٠ : استكثر لابان أن يقطع كل حبال العلاقات . لم تنته نهائيا دوافع الأذى والانتقام ، وها هو ينطق بوعيد ما كان سيفعل ما لم يوقفه الله عن ذلك . مما أعطى ليعقوب تأكيداً لدعوته . ولكنه أنهى كلامه بسخرية لاذعة (ع ٣٠) .

عدد ٣٢ : جهل يعقوب ، يجعل البحث متوترا إلى درجة لا تحتمل ، وهجومه المضاد رهيبا .

أعداد ٣٨ ــ ٤٠ : إن قصة المشقات فيها تصحيح للأفكار الخيالية عن الراعى فى تعليم الكتاب . إن دعوة الراعى تشتمل على هذه المشقات لا على الصورة المثالية . وهذا يذكرنا بأتعاب بولس فى ٢ كو ١١ : ٢٦ ــ الخ ، أو داود ، وعاموس ، أو يسوع (مز ٢٣ : ٤ ــ ٥ ، عا ٣ : ١٢ ، يو ١٠ : ١١ ــ الخ) .

عدد ٤١ : « عشر مرات » انظر التفسير أعلاه (ع ٧) .

عدد ٤٢ : يرى البرايت أن معنى « هيبة اسحق » معناها « قرابة اسحق » مدعما رأيه بالأساليب الشبيهة . ولكن المعنى العادى لكلمة « هيبة » (وحرفيا « رعدة ») موافق كما توضح المرادفات فى مثلا إش ٨ : ١٣ .

أعداد ٤٣ ــ ٥٥ : معاهدة الفراق مع لابان :

رغم محدودية هذه المعاهدة ، ولكنها أنهت صراع العشرين سنة بصورة أفضل وأسعد من الشعور الأليم الذى سببه هروب يعقوب ــ وقدرة الله فى جعل لابان يقترح عمل معاهدة ، كانت درسا ملموسا ليعقوب ــ وسيبقى درسا فى صالح الإيمان فى مواجهة الفزع « إنى خفت » (ع ٣١) ، والتصرف الواضح فى مقابل التخطيط لمعالجة العلاقات الصعبة . لم يتغير لابان ، ولكن هذه المرة لم يترك يعقوب خلفه عثرة أو شخصا يحس بالإهانة .

عدد ٤٥ ــ الخ : سواء كان دور الرجمة كشاهد فكرة مستعارة من نظام

المعاهدات أولاً ، فقد كان من الطبيعى أن تكون لديهم علامة منظورة (قارن يش ٢٤ : ٢٧) وعلامة للحدود . واسما الرجمة المدونان فى ع ٤٧ هما الأرامى والعبرى . ومعناهما « رجمة الشهادة » . والاسم الآخر « المصفاه » = (« برج المراقبة ») .. يوجه أفكارنا إلى شهادة الله وكفالته . نعود فنقول إن هذا الأسلوب كان متبعاً فى المعاهدات . ويؤيد هذا الانطباع الكلمات العبرية فى ع ٥٣ تحس لدى قراءتها أنه فى ذهن لابان إله فى كل جانب مطلوب تداخله كما فى المعاهدات السياسية[1] . وبالنسبة لـ « هيبة إسحق » انظر تفسير (ع ٤٢ أعلاه) .

عدد ٥٤ : ووليمة المعاهدة عبارة عن « ذبيحة » قصد بها أكثر من مجرد الرابطة الاجتماعية ـــ بين الطرفين ـــ قصد بها أنهما يعتبران أنفسهما مرتبطين معاً فى مائدة شركة هى مائدة مضيفهم الله . انظر أيضاً تفسير ٢٦ : ٣٠ .

(١) « يقضى » فى صيغة الجمع لهذا ففى ع ٥٣ والجملة التالية تقرأ العبارة « آلهة آبائهم » قارن يش ٢٤ : ٢ .

الأصحاح الثانى والثلاثون

أعداد ١ ـــ ٣٢ : الرؤيا ـــ نذير الشر ـــ والمصارعة :

« فى رجولته جاهد مع الله » (انظر تفسير ٢٥ : ١٩ ـــ ٣٤) فى سياحة يعقوب كان طريقه للعلا يمر من خلال وادى الاتضاع الذى لم يحاول أن يتجنبه . إن دعوته إلى بيت إيل ما كانت لتؤدى به جغرافيا إلى الاقتراب من مكان عيسو القابع فى أقصى الجنوب عند جبل سعير ، ولكنه روحيا لا يستطيع أن يصل إلى بيت إيل عن طريق آخر . قد وعده الله بالأرض (٢٨ : ١٣ و ١٤) ، ويوما ما ستكون تخومها بجوار عيسو ، وزد إلى ذلك فى سبيل لقيا الله يجب أن « يصطلح » مع أخيه . وتوالى الأحداث فى الأصحاحين ٣٢ ، ٣٣ ، وتصل إلى ذروتها فى ٣٥ : ١ ـــ ١٥ ، وتحقق بقوة مبادىء مت ٥ : ٢٣ ـــ ٢٥ أ .

العددان ١ و ٢ : رؤيا الملائكة : عبارة « فى طريقه » ذات مغزى ، إذ شعر بالثقة عندما تقدم إلى الأمام (قارن لو ١٧ : ١٤ ، يو ٤ : ٥١) والذين قابلوه وهو فى طريق المجهول كانوا جيش الله (قارن إش ٦٤ : ٥) ليتذكر ويحس بمعنى جديد لبيت إيل . وقوة الاسم « محنايم » « جيشان » تعنى أن يعقوب يرى جيشا من مرافقيه مع جيش آخر من الملائكة . كانت بداية مشجعة له فى محنته ، عندما سيضطر لقسمة مرافقيه خوفا من القتل .

أعداد ٣ ـــ ٢١ : الاقتراب من عيسو : « عبدك ... سيدى » (ع ٤ و ٥) هذه لغة الاحترام (قارن ٣٠ : ٢٧) ، لكنها فى الوقت نفسه ضربت على وتر حساس يسر عيسو ؛

عدد ٦ ... الخ : لا يمكن أن يوجد نذير شؤم أكثر من صمت عيسو ، واقترابه السريع مصحوبا بالقوة . وقد كان رد الفعل عند يعقوب قويا بصفة غير عادية . خطط (ع ٧ و ٨) وصلى (ع ٩ـــ١٢) وخطط (ع ١٣ ـــ ٢١) وصلى (ع ٢٢ ـــ ٣٢) وخطط (٣٣ : ١ ـــ ٣) . من قبيل تبسيط الأمور أن ندين تحركاته ونعتبرها عدم إيمان ، إذ أن الكتاب المقدس يوافق على التخطيط إن كنا نستخدمه كوسيلة وليس كبديل لله (قارن يش ٨ : ١جـ و ٢ جـ) . وصلاة يعقوب ترينا أين يضع ثقته .

أعداد ٩ ــ ١٢ : هذه الطلبة المؤثرة نموذج خاص ، سندها المتين هو العهد ، والأمر ، والموعد (ع ٩) ، وتظهر هذه الصلاة روح التعبد الحقيقى ، فى إكباره لرحمة الله (ع ١٠) التى تفوق كل استحقاق أو توقع (حتى تقسيم رفاقه ينظر إليه فى ضوء هذه النظرة الإيجابية) . وقد أخر طلبته الملحة إلى نقطة أعلن فيها عن عجز دفاعه إذ قال : « يضربنى الأم مع البنين » (ع ١١) ، أى لم يعد يعقوب الشخص المكتفى بذاته ، وحتى ماضيه لا يعنيه . إلا أنه واجه مخاوف ع ١١ بالوعد الذى تذكره . وقد ذكره فى أول الصلاة وآخرها (ع ١٢ قارن ع ٩ ب) ، ويضع المستقبل البعيد فى الاعتبار . وهكذا يبدو التهديد المؤقت أقل خطرا .

عدد ٢٠ : توضح الفاظ الاستعطاف مدى الفجوة بين تفكير الإنسان ، وتفكير الله . فالوثنى يتقرب إلى إلهه كما يتقرب يعقوب الآن إلى عيسو (قارن ٣٣ : ١٠) ، باعتبار أن « هدية الإنسان ترحب له » (أم ١٨ : ١٦) . ولكن العهد القديم يعلمنا بأن هدية الإنسان قد كانت أصلا هدية الله للإنسان (لا ١٧ : ١١) . وكما سيكتشف يعقوب حالاً أن المذيب الوحيد للذنب هو النعمة وليست المفاوضات .

أعداد ٢٢ ــ ٣٢ : الصراع عند فنيئيل : جاءت المواجهة العظمى مع الله عندما عرف يعقوب قدر نفسه ، وأنه معرض لموقف أكبر من إمكاناته . وقد دفعه القلق من ذلك الموقف من قبل إلى الصلاة (ع ٩ ــ ١٢) ، ورغبته المجددة أن يبقى وحده (انظر تفسير ٢٣) . وكذلك الصورة التى كانت عليها مصارعة تلك الليلة ــ تظهران احتياجه الشديد بل جوعه إلى الله نفسه . لقد أيقظت الأزمة جوعه لكنها لم تحتمه .

إن نوع مبادأة يعقوب بالعدوان يظهر تدريجيا وحينئذ يسارع يعقوب ليقتنص كل فرصة . وخلف المحدودية البشرية (ع ٢٤ و ٢٥ أ) يوجد رصيد رائع من القوة (ع ٢٥ب) وخلف الإحجام الذى يفاجئه النهار محاولة تملص من طيف ليلى ، أو قداسة الله الذى لا يرى وجهه . ويبين يعقوب بطلب البركة أنه قد لمح الحقيقة وانقشع عنه الشك ، وذلك عن طريق ما قاله الرب (ع ٢٨ ب) وعن طريق ما لم يقله (ع ٢٩) ــ لم يكن إخفاء اسم الرب عن يعقوب مثلما كان عن منوح ، نهائيا . لقد كان تحذيرا من الفضول ، ولكنه ترك الباب مفتوحا من جانب الله ، لكى يعلن نفسه . قارن

إظهار الله مجده لموسى فى خر ٣٣ : ٨ ــ ٣٤ : ٧ حيث كان هناك أيضا تحفظ مماثل إلى جانب الإعلان .

استحضر النزاع إلى الذاكرة معركة الحياة ومحاولة تلمس الطريق . كما أوضح تمسكه الشديد بالصراع ، بصورة حية ، موقفه الثنائى من الله من حب وعداوة ، رفض واعتماد . لقد اكتشف فى هذه اللحظة أنه طالما استخدم قوته ــ لا ضد عيسو أو لابان ــ بل ضد الله . لكن زمام الأمر والمبادأة كانت فى يد الله ــ كما حدث فى تلك الليلة ــ لكى يحطم كبرياءه ويتحدى تماسكه وصلابته « مع الأعوج تصارع » مز ١٨ : ٢٦ . ويدل الضرب على الفخذ وتغيير الاسم على أن أهداف الله لا تتغير . فهو يريد أن يسيطر على كل رغبة عند يعقوب للتملك ، بل ويطهر هذه الرغبات من الاكتفاء الذاتى ويوجهها الوجهة الصحيحة ، ليكون الله هو مركز كل حب . إنه موقف يجمع بين الهزيمة والنصرة . ومرة أخرى نرى الضوء الساطع فى هوشع « جاهد مع الملاك وغلب »[1] ــ وهذه هى لغة القوة ثم لغة الضعف « بكى واسترحمه » فبعد الضرب على الفخذ تحول الميل للقتال إلى اتكال كامل ورأينا يعقوب المبارك الذى كُسر حق فخذه وتغير اسمه . وكان عرجه هو الدليل الدائم لحقيقة الجهاد ، إذ لم يكن حلما ، وكان يحمل فى ذاته دينونة حادة . أما عن الاسم الجديد فكان شهادة لمنزلته الجديدة . كان علامة نعمة ، أزالت العار القديم (٢٧ : ٣٦) ، كما كان أيضا الوسام الذى يجب أن يسعى للعيش على مستواه . وهذه المرة كانت البركة نقية باهرة فى أخذها ، وفى إعطائها . إنها بركة شخصية له غير مدبرة ، وبلا وسيط .

عدد ٢٢ : « يبوق » (الاسم الحديث الزرقا) عبر جلعاد غربا فى شق عميق بين الجبال ، إلى الأردن .

العددان ٢٣ و ٢٤ أ : لم يكن الدافع عند يعقوب فى إرسال أسرته أمامه أن يحصن نفسه ، هذا ظاهر من ٣٣ : ٣ . وسواء شعر بحاجته لأن يبقى وحده قبل الأزمة أم لم يشعر ، فقد رآه الله ، وقد رتب له .

العددان ٢٤ ب و ٢٥ : عندما يظهر الله « كإنسان » فى العهد القديم

---

(١) هو ١٢ : ٤ قارن تفسير تك ٢٥ : ١٩ ــ ٣٤ .

عادة يسمى ملاك الرب أو ملاك الله (ع ٢٨ و ٣٠ قارن هو ١٢ : ٣ و ٤) انظر المقدمة .

عدد ٢٦ : « قد طلع الفجر » انظر الفقرة الثانية فى التفسير التمهيدى لـ ع ٢٢ ــ ٣٢ أعلاه .

عدد ٢٧ : بحسب بعض الديانات السحرية معرفة اسم انسان ليس فى مصلحته إذ أنها تعطى فرصة للراغب فى أذيته . ولكن فى عرف الكتاب المقدس الاسم له مدلول الشخصية . والنطق باسم امرىء قد يعنى الافصاح عن النفس (انظر ع ٢٩ وبالنسبة ليعقوب ٢٧ : ٣٦ قارن مز ٥ : ٩) .

عدد ٢٨ : إسرائيل اسم فى صورة فعل ، مثل يعقوب (انظر تفسير ٢٥ : ٢٦) . فى ذاته يمكن أن يتضمن « ليجاهد الله (من أجله) » ولكنه يتخذ مثل الأسماء الأخرى فى التكوين لونا جديدا من المناسبة ، ويخلد جانب يعقوب فى الصراع ، وهكذا تستعلن شخصيته عن طريق الاسم . ومفتاح الفعل « جاهد » (وربما « ثابر ») ، موجود هنا فقط وفى هو ١٢ : ٤ و ٥ ومعناه غير محقق ، ولكن لا يوجد سند لاعتباره مشتق من « أمير » أو « رئيس » كما ترجمها البعض .

العددان ٣٠ و ٣١ : « فنيئيل » أو « فنوئيل » معناها « وجه الله » ويظهر اسم مدينة بهذا الاسم فى المنطقة المجاورة فى قض ٨ : ٨ ، ١مل ١٢ : ٢٥ .

يفهم ضمنا من القصة ، أن رؤيته لله كانت ضعيفة غبشاء مع أنها كانت « وجها لوجه » فلأجل سلامة يعقوب انسحب الله عند طلوع الفجر (ع ٢٦) وعند شروق الشمس كان يعقوب وحده (ع ٣١) .

عدد ٣٢ : لا يظهر مرة ثانية فى العهد القديم تحريم أكل هذا الجزء من الحيوان ، ولكنه يوجد فى تعليم الرابيين (مثلا « الفساحيم » ٢٢ أ و ٨٣ ب) . وقد أضاف ذكرى ثالثة مستديمة ــ إلى الاسمين إسرائيل وفنيئيل ــ والثالثة هى ذكرى تلك الليلة التاريخية .

الأصحاح الثالث والثالثون

أعداد ١ ــ ١٧ : مقابلة عيسو :

وفقا للأمثلة الكتابية ، لم تكن رؤيا يعقوب هروبا من الواقع . فإن لغته تظهر أنه اعتبر مواجهته مع الرب ، ومع أخيه ، كمستويين لحادثة فردية واحدة : قارن ع ١٠ ب مع ٣٢ : ٣٠ .

كانت المقابلة عبارة عن مصالحة كلاسيكية بفيض الهدايا ، والمسيرات العائلية الرزينة ، المبالغ فى تنظيمها لدرجة مضحكة ، كل هذه تعطى فكرة عن مدى تثقل ضمير يعقوب ، والنعمة الواضحة فى رد فعل عيسو . وللذنب والغفران منطقهما الفصيح فى كل حركة من التقرب المتبادل (ع ٣ و ٤) . إن وصف الرب لشعور والد الابن الضال لا يبعد كثيرا عن موقف عيسو (قارن ع ٤ مع لو ١٥ : ٢٠) .

ولكن حرارة الترحيب ذاتها أنتجت خطرا جديدا هو خطر التقسيم المزيف والفراق التالى لذلك . فمع أن يعقوب رتب بصورة مرتابة أن يحرر نفسه ، فإن الحدث التالى يبين أن الأمر كان بالنسبة له مسألة حياة ، بعدما تحرر من عبودية لابان .

عدد ٨ : « كل هذا الجيش » قطعان الحيوانات (٣٢ : ١٣ ــ الخ) .

عدد ١٠ : بالنسبة لأسلوب يعقوب الطقسى انظر التفسير الافتتاحى لهذا الأصحاح ، وكذلك تفسير ٣٢ : ٢٠ .

عدد ١١ : تعبر الكلمتان العبريتان المستعملتان لكلمة هدية [ع ١٠] وما يعنى عطية (بركة) ــ تعبران عن مدى التواضع والرغبة الصالحة اللتين قدمت بهما الهدية . ومن جهة عيسو ، إذ قبلها أظهر النية الصالحة باثبات المصالحة (قارن قض ١٣ : ٢٣ أ) .

عدد ١٣ : « التى عندى » حرفيا « التى على » وبذا يكون المعنى أن هذه الأشياء مسئولية (قارن تفسير ٤٨ : ٧) .

عدد ١٤ : « حتى أجيء .. إلى سعير » ولكن يعقوب تحول إلى الشمال بمجرد أن صار وحده ، وذهب إلى سكوت (ع ١٦ و ١٧) . قليل منا من

يستطيع أن يرميه بالحجر الأول بسبب فشله أن يجمع بين النعمة والحق ، حينما رفض دعوة محرجة ، أو كما يقول ديلتش ربما عزم أن يزور سعير يوما ما ، وخدع عيسو بخداع نفسه . ومع ذلك فبعض انحراف يعقوب القديم ظهر ، إذ كان فى إمكانه أن يقول بصراحة أن عليه نذر ، ويجب أن يوفيه فى بيت إيل .

عدد ١٧ : كانت « سكوت » خطوة رجوع إلى الوراء روحيا وكذلك جغرافيا (انظر تفسير ع ١٤) إذ من الصعب أن نوفق بين الدعوة إلى بيت إيل مع الإقامة الطويلة اللازمة لبناء حظائر للماشية (ومن هنا جاء الاسم ، سكوت) وبناء بيت إلى الشرق من الأردن . ونستنتج مما حدث فى القصة التالية فى شكيم كبر أعمار بنات يعقوب وأبنائه الكبار . مما يعنى أنه أمضى عدة سنين فى أحد هذه الأماكن أو كليهما . لقد كانت دينة طفلة فى السابعة من عمرها تقريبا ، عندما تركت الأسرة فدان آرام (قارن ٣٠ : ١٩ — ٢٥ ، ٣١ : ٤١) .

أعداد ١٨ — ٣٤ : ٣١ مذبحة شكيم :

قدم شكيم ليعقوب اغراءات للاتفاق . لقد كانت دعوة يعقوب للذهاب إلى بيت إيل إلا أن شكيم وهى قبل بيت إيل برحلة يوم ، على مفترق الطرق التجارية جذبته نحوها . لقد دعى لكى يكون سائحا غريبا ، لكنه اشترى هناك قطعة أرض (٣٣ : ١٩) . وربما برر موقفه بأن هذه القطعة ضمن حدود أرض الموعد . لكن كان هذا عصيانا على أى حال وعمله الذى تبدو فيه التقوى ببناء مذبح واستخدامه اسمه الجديد إسرائيل (ع ٢٠) لا يمكن أن يخفى الحقيقة .

يبين ص ٣٤ تكلفة العصيان . لقد كلفه اغتصاب ابنته ، وغدر ابنيه والمذبحة التى حدثت . كانت هذه سلسلة من الشرور النتيجة المنطقية تجاه شركة غير متكافئة مع المجتمع الكنعانى ظلت أصداؤها تتردد حتى زمن القضاة (قارن قض ٩ : ٢٨) . وكان عنف هذه الأحداث وسكوته المكلوم (ع ٥ و ٣٠) سببا فى إنقاذ يعقوب من تكرار قصة لوط . ومرة أخرى فتح خوفه على حياته ، اذنيه لتسمعا دعوة الله إلى بيت إيل .

تميل الدراسات النقدية الحديثة إلى افتراض أن هذه القصة مع تلك التى

فى تك ٤٩ : ٥ ــ ٧ مجرد تشخيص لمحاولة من جانب سبطى شمعون ولاوى لأن يستقرا فى شكيم . ومع ذلك فلا يوجد فى القصة أى شىء يؤدى لهذا المعنى . إنها قصة واضحة ومتسقة ، أما إذا أخذت من المنظور القبلى فتقوم فى وجهها الصعوبات الخطيرة ، وبصورة خاصة لا يكون هناك مكان ليعقوب أو الشخصية المركزية « دينة » (إلا إذا ادخلت باعتبارها تمثل مشكلة الزواج المختلط ، الأمر المستبعد) . نشأ هذا التفسير الغريب فى الحقيقة ليس عن النص ، بل بالتصميم على فكرة مسبقة هى أن يعقوب لم يكن له أولاد وابنة يحملون هذه الأسماء .

عدد ١٨ : « سالما » هذه ترجمة صحيحة ، والاحتمال الأكبر أن تكون « أتى ... إلى سالم مدينة من مدن شكيم » كما بين درايفر أنه لازالت توجد قرية تدعى « سالم » وتقع غربى شكيم على بعد أربعة أميال .

عدد ١٩ : كان الاسم « حمور » ، ومعناه « حمار » ، تجربة لـ [البرايت] لأن يظن أن « بنى حمور » كنية لجماعة اتحدوا معا فى معاهدة قطعوها على ذبيحة حمار ، مثلما تشهد العوائد فى [مادى] ، ولاشك أن تقديس ذلك الحيوان ربما يكون أساساً معقولاً للتسمية . إلا أن حمور هو اسم علم لفرد فعلا ، هنا وفى قض ٩ : ٢٨ .

عدد ٢٠ : الاسم [إيل الوهى إسرائيل] « الله ، إله إسرائيل » يذكرنا بنذر يعقوب فى ٢٨ : ٢١ (« يكون الرب لى إلها ») ، وفى نفس الوقت ردد هذا الاسم اسم يعقوب الجديد « إسرائيل » .

الأصحاح الرابع والثلاثون

عدد ١ : بالنسبة لمرور وقت طويل منذ كان فى فنيئيل ، انظر تفسير ٣٣ : ١٧ . ويتوقف يعقوب عن مسيرة سياحته ، عرّض آخرين للخطر أكثر منه .

العددان ٢ و ٣ : الأفعال فى العددين محملة بالمعانى تعكس معنى عظيما للمحبة . وخصوصا ما جاء فى عدد ٣ مما يخفف من وقع الشر الذى حدث وإن كانت لا تزيله .

عدد ٥ : بدا صمت يعقوب صمتا دبلوماسيا خلال أحداث الأصحاح حتى إن غضبه فى ع ٣٠ يعبر عن اهتمامه بالسلام أكثر من الشرف . ولو أمكنه السكوت وابتلاع الإساءة ــ الأمر الذى لم يفعله أبناؤه ــ لحصل على مركز (٩ و ١٠) وثروة (١٢) .

عدد ٧ : « قباحة » الكلمة فى أصلها تعنى عملا أو اتجاها مشينا مثل يش ٧ : ١٥ ، قض ٢٠ : ٦ ، قارن مز ١٤ : ١ . وفى ٢ صم ١٣ : ١٢ تأتى معها العبارة « وهكذا لا يصنع » مثلما ترد هنا ــ عبارة تفيد التعدى على الضمير العام (قارن ٢٠ : ٩) . أما اللفظ فى « إسرائيل » (قارن تث ٢٢ : ٢١ ، إر ٢٩ : ٢٣) ربما تفيد أن العشيرة واعية بالفرق بينها وبين المدينة التى بجوارهم ، وربما من هنا بدأ تكوين الفكرة عن اختلاف الكنيسة عن العالم .

خذ الكلمات التى استخدمت عن معاملة شكيم لدينة (« أذل » ، « نجس » ع ٢ و ٥) مع ألفاظ هذا العدد فإنها تعبر عن الفكرة الكتابية المتشددة عن النجاسة ــ وغير واضح هنا هل كان ذلك الفعل اغتصابا أو فسقا ، فإن الفعل الثانى فى ع ٢ ، هو « فأخذها » ، ربما يعنى « قبض عليها » ولكن هذا غير مؤكد . وعلى أى الحالين ، فهى لم تكن علاقة عرضية ، ولكن علاقة بهدف الزواج ، إذ أن دينة استمرت فى بيت شكيم (ع ١٧(ب) و ٢٦) . وكما بيّنا فى ٢ : ٢٤ أن الزواج لا يمكن توقعه بطبيعة الأحوال .

عدد ١٣ الخ : كانت مساومة إجراء الختان أمراً مقبولاً لأن هذا الطقس ، خارج إسرائيل ، كان أحيانا من الحتميات المبدئية ــ قبل الزوج (قارن تفسير ١٧ : ٩ ــ ١٤) .

عدد ٢٠ : كان « الباب » المكان العادى للعمل العام (قارن ٢٣ : ١٨ ، انظر أيضا را ٤ : ١ ـــ الخ) .

عدد ٢٥ : إن إجراء الختان بدون العناية والنظافة ـــ يمكن أن يكون أمراً معقداً خاصة بعد يومين أو ثلاثة . لم تكن المذبحة براعة قوم فوق البشر ، حتى ولو كان القائم بها هما شمعون ولاوى وحدهما (يبدو أن باقى الإخوة انضموا إليهما فقط في السلب والنهب ع ٢٧ ـــ الخ) . وقد كان هذان الشقيقان هما أكبر أشقاء دينة ـــ هذا عدا رأوبين الذى ينقصه ما اتصفا به من دوافع الوحشية ، والقرار ، (سواء فى الجيد أو الردىء قارن ٣٧ : ٢١ ، ٤٢ : ٣٧ ، ٤٩ : ٤ أ) .

العددان ٣٠ و ٣١ : هيج الساكت والمنتقم بعضهما بعضاً ، وتأرجحا نسبيا بين الخوف والغيظ ، وربما كان كلا الطرفين على بعدين متساويين من العدالة الحقيقية . وكلا الطرفين يمثلان طريقين للتعامل العقيم مع الشر .

الأصحاح الخامس والثلاثون

أعداد ١ ــ ١٥ : إلى بيت إيل ثانية :

احتلت بيت إيل عند يعقوب مكانة مركزية أشبه بمكانة ميلاد إسحق عند إبراهيم ، من حيث كونها اختباراً لطاعته المتأرجحة ، وتمسكه بالموعد . وقد كان هذا لمدة أكثر من عشرين سنة . ويحدد رجوعه إلى هناك نهاية وبداية زمن فراق بموت دبورة العجوز مرضعة رفقة وموت راحيل المحبوبة ونقطة تغيير إذ تأكد الوعد ، واكتملت الأسرة بميلاد بنيامين . استمرت حياة يعقوب ولكن مركز الاهتمام انتقل إلى أولاده .

عدد ١ : بالنسبة لخلفية هذا الأمر انظر ٢٨ : ٢٠ ــ ٢٢ ، ٣١ : ١٣ .

أعداد ٢ ــ ٤ : هذه المطالب ترينا أن العبادة التى مارسها الآباء لم تكن أمرا سهلا بلا قيود إذ أن هذه الأعداد فيها جذور شريعة سيناء فى الدعوة للإخلاص لله وحده ، والطهارة الطقسية ، ورفض السحر (واضح أن الأقراط كانت رقيات قارن هو ٢ : ١٣)[1] وفى نفس الموقع ، وربما بالهام من مثال يعقوب ، قدم يشوع فى يوم لاحق دعوة مماثلة لإسرائيل (يش ٢٤ : ٢٣ ــ الخ) .

عدد ٥ : العبارة العبرية « الخوف من الله » تعنى مصدر الخوف (قارن مثلا ٢ أى ١٤ : ١٤) وواضح منها أن الحماية إلهية مع أنهم لا يستحقونها (قارن تفسير ٣١ : ٢٤) .

عدد ٧ : الاسم [إيل بيت إيل] = « إله بيت إيل » ، جعل البعض يظنون أن يعقوب فكر فى الله ، كإله محدود بهذا المكان أو مقيم فى الحجر . ورغم وجود أمثلة فى الوثنية بهذا المعنى إلا أن الأماكن المسماة بأسماء مشابهة لذلك فى اليهودية وفى المسيحية ، هى أماكن تذكار لتدخل الله ، وتخليد اختبارات فى عبارات (مثل الترنيمة التى تقول يا إله بيت لحم) ما يتفق مع فكر يعقوب اللاهوتى الذى ألفناه عنه (قارن صلاته فى ٣٢ : ٩ ــ الخ) .

---

(١) ويبدو أن الأقراط وغيرها كانت تماثيل للآلهة الوثنية : تلبس كحلى ، ويتزين بها ، وتدخر ككنز (سبب سرقة راحيل لها وسبب اهتمام لابان بها) وكانت تعبد كآلهة . (المترجم) .

عدد ٨ : أما عن دبورة وخدمتها الطويلة للأسرة فانظر ٢٤ : ٥٩ . ومعنى [ألُّون باكوت] هو بلوطة البكاء ، قارن [بوكيم] فى [قض ٢ : ٥] من نفس الاشتقاق .

عدد ١٠ : هنا تأكيد للاسم الجديد (مع استمرار الاسم القديم) قارن « سمعان .. بطرس » فى كلا يو ١ : ٤٢ ، مت ١٦ : ١٧ و ١٨ .

عدد ١١ : عن « الله القدير » انظر تفسير ١٧ : ١ . وكلمات البركة أشبه ببركة إبراهيم ١٧ : ٦ و٧ من حيث ألفاظها مع ذكر « ملوك » . أما « جماعة أمم » فهى انتظارات اختص بها يعقوب .

انظر تفسير ٢٨ : ٣ .

العددان ١٤ و ١٥ : يعيد هذا الموضع ما جاء فى ٢٨ : ١٨ و ١٩ — على أنه فى هذا المكان يزيد إتمام الوعد واشبه بهذا زيارة موسى الثانية لجبل حوريب فى سيناء (خر ٣ : ١٢ ، ١٩ : ٣ و ٤) بين الموقفين حدثت مخاطر ، وغفرت خطايا ، مما جعل المناسبة الثانية أروع من الأولى ، وتكرار الله لأمر — على هذا المنوال — هو من نوع التطور الحلزونى وليس مجرد التكرار الآلى .

أعداد ١٦ — ٢٠ : موت راحيل :

عدد ١٦ : « أفراتة » أو بيت لحم (ع ١٩) على بعد ١٢ ميلا جنوبى قبر راحيل والذى يحدده ١ صم ١٠ : ٢ على حدود بنيامين . وهناك بعض المشكلات بخصوص المسافة بين المكانين . لكن هذا العدد مع ٤٨ : ٧ يؤكدان أن افراتة التى كان يعقوب متجها إليها كانت بعيدة بعض الشيء .

عدد ١٨ : لا يبدو فى العهد القديم أن للروح كيان مستقل عن الجسم (مثل الفكر اليونانى) بل ينظر إليها على أنها الحياة التى ترى هنا تتسرب خارجا (قارن تفسير ٢ : ٧) .

إنها إشارة جميلة لإيمان يعقوب أن يغير الاسم « ابن حزنى » إلى « ابن يدى اليمنى » باعتباره قد أخذ الجانب الإيجابى لاختبار شديد القتامة . وكالعادة ، فالاسم كان مألوفا من قبل ، كما نعرف من سجلات مملكة مارى أنه كان اسم

عن قبيلة ، ومعناه « ابن الجنوب »[1] . وربما استوحى يعقوب الاسم من رحلة نحو الجنوب . ولكن يحسن أن يؤخذ اليمين بمعناه العادى بما فيه من صيحات الشرف والتكريم (مز ١١٠ : ١) والمهارة (١٣٧ : ٥) والتعقل (جا ١٠ : ٢) .

عدد ٢٠ : « العمود » المنصوب هنا بعد فترة قصيرة من العمود المنصوب فى عدد ١٤ يشير إلى الزوال والألم وهما أحد جوانب الوجود ، بينما يخلد العمود الأول الصلاح والرحمة وهما يمثلان الجانب الآخر . عمود قبر راحيل بخلفية مثل هذه ، له وقاره ، ولكن بدون اليأس القاتم مثل نصب أبشالوم (٢ صم ١٨ : ١٨) .

العددان ٢١ و ٢٢ أ : نجاسة رأوبين :

يتركك التقرير المقتضب لتتصور هذه الصدمة الناشئة عن عدم الوفاء فى الأسرة ، وكيف لازمتها الدينونة المدمرة فى ٤٩ : ٣ و ٤ .

أعداد ٢٢ ب ــ ٢٦ : أبناء يعقوب الإثنا عشر :

إن غرض هذا الموجز أن يبين أن الوعد أو الصلاة التى يعبر عنها اسم ابن يعقوب الحادى عشر (٣٠ : ٢٤) استجيبت بميلاد بنيامين ، وبذا اكتملت الأسرة . وفى كل العهدين القديم والجديد صار العدد ١٢ رمزا « لإسرائيل الله » قارن رؤ ٢١ : ١٢ و ١٤ ــ الإثنا عشر سبطا ، والإثنا عشر رسولا .

أعداد ٢٧ ــ ٢٩ : موت اسحق :

عاد يعقوب وعيسو مرة أخرى للالتقاء عند فراش موت أبيهما ، وبذا أنهيا قصة طويلة عن جيلهما وتسيد المشهد آخرون .

بالنسبة لعمر إسحق انظر تفسير ١٢ : ٤ ، وبالنسبة للعبارة « انضم إلى قومه » انظر تفسير ٢٥ : ٨ .

---

(١) المعقول بالنسبة لنا أن الشرق هو الذى على اليمين أما بالنسبة للذين ينظرون إلى الشرق فالجنوب هو الذى على يمينهم مثلما فى العبرية .

الأصحاح السادس والثلاثون

أعداد ١ ــ ٤٣ : نسل عيسو :

امتدت العلاقة الأخوية بين عيسو ويعقوب كأخوين فى الأمتين أدوم وإسرائيل ، واخوتهما لن ينساها العهد القديم . وهذا الأصحاح بتفاصيله الدقيقة شاهد على إحساس القرابة هذا ، الذى سيظهر فيما بعد فى مضامين دبلوماسية ، وشرائع ، وشعور قومى (انظر عد ٢٠ : ١٤ ، تث ٢٣ : ٧ ، عو ١٠ ــ ١٢) .

بحسب النظام المتبع فى سفر التكوين ، حيث يبدأ فى تقديم مرحلة جديدة من القصة ، يتمم أولا فرع الأسرة الجانبى ، قبل أن يمسك بخيوط الأحداث الرئيسية مرة ثانية . وهذا الأصحاح يخلى الموقع للجزء الختامى من هذا السفر .

أعداد ١ ــ ٨ : عيسو وأسرته المباشرة : بالنسبة للاسم أدوم (ع ١) انظر ٢٥ : ٣٠ .

العددان ٢ و ٣ : بالنسبة « للحثى » انظر تفسير ٢٣ : ٣ ــ وبالنسبة « للحوى » انظر تفسير ع ٢٠ فيما يلى . وواضح أن أسماء نساء عيسو مأخوذة من سجل للأسرة مستقل عن ٢٦ : ٣٤ ، ٢٨ : ٩ . قائمة الأسماء الحالية متوافقة مع النص الأخير فيما يتعلق بأسرتين تزوج عيسو من بناتهما (أسرة إيلون ، وأسرة إسماعيل) ولكن بسمة تظهر فى واحدة أحيانا وفى الأخرى أحيانا أخرى ، وباق الأسماء لا تتفق . وأبسط تفسير لذلك هو أن القوائم تعرضت لمشاكل النقل[1] ولكن يمكن أيضا أن تكون هناك أسماء بديلة (مثل اسم عيسو ذاته : أدوم) . ثم يحتمل أن عيسو لم يكن له ثلاث نساء فقط بل أربعة ، لأنه لا يوجد أى علاقة بين يهوديت (٢٦ : ٣٤) وأهو ليبامة . (ومعنى الاسم الأخير « خيمة فى المكان المرتفع » ، وربما أوحى هذا الاسم لحزقيال بالأسماء الرمزية أهولة وأهوليبة فى حز ٢٣ : ٤ ــ الخ) .

« عَنَى » (ع ٢) « بن صبعون » وليس « بنت صبعون » (بحسب الترجمة السبعينية)[2] ــ صبعون : انظر ع ٢٤ .

---

(١) مثلا يرد فى النص فى النسخة السامرية محلة (قا ٢٨ : ٩) بدلا من بسمة فى ٣٦ : ٣ و ٤ و ١٠ و ١٣ و ١٧ .

(٢) فى ع ٢٤ يذكر اسم شخص يدعى عنى على أنه ابن وليس بنت اسم مذكر لا مؤنث .

أعداد ٦ ــ ٨ : هذا الملخص يوضح العامل الذى أدى لتمسك عيسو باختيار جبل سعير . وستكمل الأصحاحات العشرة التالية القصة .

أعداد ٩ ــ ١٤ : أبناء عيسو وأحفاده : يشير ارتباط أليفاز وتيمان فى ع ١١ إلى أدوم على أنه الموقع المحتمل لأحداث سفر أيوب ، حيث أحد شخصياته المهمة « أليفاز التيمانى » ويرد تيمان عدة مرات فى العهد القديم لقبيلة ومدينة فى أدوم . و « عماليق » (ع ١٢) كان واحدا من أسوأ الأعداء بالنسبة لإسرائيل ــ هذا إذا كان صاحب الاسم عماليق المعروف هو المقصود بتلك القبيلة .

أعداد ١٥ ــ ١٩ : أمراء بنى عيسو : الكلمة [اللُّوف allup = « زعيم »] والأصل فيها عن رئيس « ألف » أو عشيرة .

أعداد ٢٠ ــ ٣٠ : أمراء الحوريين : يسجل تث ٢ : ١٢ أن بنى عيسو أبادوا الحوريين ، كما أباد إسرائيل الكنعانيين . ولكن عيسو تزوج من ابنة أسرة قيادية ، أسرة عنى ابن صبعون (قارن ع ٢ مع ٢٤ و ٢٥) وتدعى أسرة عنى الحويين فى ع ٢ ــ ولكن تدعى الحوريين هنا ، مما يدل على : إما أن الألفاظ تداخل بعضها فى بعض ، أو أن ورود الحويين هنا وفى غير هذا المكان خطأ ناسخ كان يقصد حوريين . ولكن معروف أن الحوريين شعب غير سامى مشتت فى الشرق الأوسط . ولكن الأسماء السامية هنا توحى بأن حوريى جبل سعير كانوا من نسب آخر . ويمكن أن تعنى الكلمة سكان الكهف ، وربما المشتغلين بالتعدين .

عدد ٢٤ : فى هذه الملاحظة المحيرة رنين تقليد أسرى أما [يَامِمْ] = الينابيع الحارة (هكذا تترجمها الفلجاتا)[1] وقد يكون أو لا يكون هذا معناها . السبعينية (كالعربية) تورد النطق تقريبا كما هو بدون ترجمة . وقد خمنوا الكثير عن معناها . (وهى موجودة هنا فقط) . فمن قائل «الحيات» ، ومن قائل « ماء » بابدال الحركات لتكون [مَايِمْ] (سبايزر) .

أعداد ٣١ ــ ٣٩ : ملوك أدوم : من الإشارة إلى الملكية فى إسرائيل

---

(١) انظر حاشية ــ كتابنا الترجمة العربية بشواهد فى الحاشية .

(ع ٣١) وبالرغم من كون الإشارة سلبية ، فإن الاستنتاج الطبيعى أن هذه العبارة أو هذا الجزء كتب فى زمان الملكية . أما عن حكم هذا الأمر بالنسبة لتاريخ كتابة سفر التكوين فانظر المقدمة .

ولا واحد من هؤلاء الملوك ابن لسابقه . وربما يشير هذا إلى الخلافة بالانتخاب مع أن البرايت يرى أن الملكية انتقلت عن طريق قرابة الأم ، وسنده فى هذا تسجيل ثلاثة أجيال نسائية فى ع ٣٩ . وبعض الباحثين أشار إلى أن قصر مدة حكم كل أسرة فى المملكة الشمالية يرجع إلى هذا المثال أى عدم الخلافة من نفس الأسرة المنتشر فى البلاد المجاورة . ولكن حنق الملك شاول على يوناثان بسبب اقتناعه بدود ؛ وكذلك كون إيشبوشث ابن شاول خلف أباه مع ضعفه (٢ صم ٢ : ٨ — ١٠ ، ٣ : ٨) يدل على أن الملكية فى إسرائيل اعتبرت وراثية منذ البدء .

أعداد ٤٠ — ٤٣ : قائمة أمراء ختامية : فى هذا الجزء ، يقع التنبير على الدائرة المملوكة لهم وسلطة الأسر الأدومية القيادية حسب .. أماكنهم (ع ٤٠) .. حسب مساكنهم (ع ٤٣) بدلا من علاقتهم الواحد بالآخر ، كما كان متبعا فى الجزء الأول من الأصحاح .

٤ — يوسف والهجرة لمصر

ص ٣٧ — ٥٠

كان فى قصد الله الذى أعلنه من قبل لإبراهيم (١٥ : ١٣ — ١٦) ، أن يجعل الأسرة المختارة تحت سلطة أجنبية حتى يكتمل « ذنب الأموريين » ، وتنضج كنعان لامتلاكها . لهذا تحرك قطار الأحداث ليقود إسرائيل إلى مصر عن طريق تنافس الإخوة الإثنى عشر ، ومآزقهم — على أنه تحرك تسيطر عليه يد الله . والقصة فصل كلاسيكى من فصول العناية ؛ وكما يبين اسطفانوس ، تستعرض القصة نظاما بشريا يسير فى العهد القديم حتى يبلغ قمته فى الجلجثة ، مظهرا رفض من اختارهم الله لخلاص البشر بسبب حسد معارفهم وأقربائهم وعدم إيمانهم — ومع ذلك فهو الرفض الذى لعب دوره فى الاتيان بالخلاص .

ويصل سفر التكوين إلى ختام موفق بنهاية سيرة يوسف ، حيث نرى وعد

الله لإبراهيم ، فى مرحلة الإتمام ، ومع ذلك فتوجد إشارات إلى تداخل جديد . ومع تكاثر نسل إبراهيم بسرعة ، إلى الحد الذى يدعى عشيرة . ثم ينهى كتاب الأسر هذا ، ليكون إسرائيل فى المرحلة التالية من تاريخه ليس مجرد عشيرة بل « أمة عظيمة قوية ، ومشهورة » .

الأصحاح السابع والثلاثون

أعداد ١ ــ ١١ : يوسف يقصى عنه أسرته :

مثل اسحق ويعقوب من قبل ، يقدم سفر التكوين يوسف باعتباره العضو المختار فى أسرته . وهذا الاختيار الإلهى هو أحد مواضيع سفر التكوين (قارن رو ٩ : ١١ ــ الخ) وفيه نرى قصد الله الذى لا يستطيع أن يعطله طيش حلفائه (هنا إسرائيل ويوسف) ولا حقد أعدائه . وقصة الحلم الذى نراه فى البداءة ، بجعل الله وليس يوسف بطل القصة . فهذه ليست قصة نجاح بشرى . بل قصة سيادة الله .

عدد ١ : بعد الأصحاح الاعتراضى عن عيسو والأدوميين . يعود بنا ع ١ إلى حيث انقطع الخيط فى ص ٣٥ ، ليقودنا إلى موضوع الجزء الآتى المعنون فى ع ٢ أ (انظر تفسير ٢ : ٤ أ) .

عدد ٢ : العبارة « وهو غلام عند .. » ربما ترد فيها كلمة « غلام » بمعنى خادم أو معين ، (هكذا يقول ديلتش وسبايزر) إذ أن عمره سبق أن ذكر . وتضيف هذه الملاحظة شيئا إلى المعنى : إذ أنه كان مع إخوته العشرة الذين يكبرونه ، على أنه كان معينا بصفة خاصة لخدمة إخوته الأربعة من النساء الثانويات . أما مجيء يوسف « بنميمتهم الرديئة » فلا يجب أن نحكم عليه بمقياس درجة تماسك الأسرة . ولا تقدم القصة أى تفسير كالعادة لكنها تتركنا لكى نستنتج أن الأولوية عند يوسف كانت ولاءه لوالده وأن مسئولية الشهادة عما سمعه كانت تقع عليه حسبما جاء فى لاويين ٥ : ١ .

عدد ٣ : لم يتعلم إسرائيل شيئا من اختباره المبكر للمحاباة . وهو هنا يحصد حصادا من الكراهية والخداع أقسى مما حدث فى صباه . وسواء كانت المحاباة ظاهرة فى « قميص ملون » أو رداء ذى أكمام طويلة ، أو رداء طقسى مزين ، فقد كان مثارا للإثارة والغضب . ثوب بهذه الأوصاف كان ثوب الأمراء (٢ صم ١٣ : ١٨) .

عدد ٤ : الخ كانت نار الحقد تزداد اشتعالا على يوسف فى مراحل أربع فى ع ٢ و ٤ و ٨ و ١١ . بل وبدأت تنتشر فى ع ٢ ب . كانت العداوة قاصرة على أربعة إخوة ثم فى ع ٤ شملت كل المجموعة وفى ع ١٠ انتهره والده

بلطف لكن بهذا اكتملت عزلته وترك وحيدا فى عالمه الخاص . ولكن ربما لم يدر يوسف بما فى ع ١١ ب .

عدد ١٠ : بالنسبة للتعبير « وأمك » ، المعنى الوحيد المعقول هو إن « ليئة » هى المقصودة . ويوجد فى الكتاب تعبيرات فيها قصد التجاوز مثل ٣٧ : ٣٥ (« بناته ») قارن لو ٢ : ٤٨ (« أبوك ») . وليس واقعيا أن نفكر أن راحيل مازالت حية .

عدد ١١ : الموقفان المذكوران فى هذا العدد هما ما يقسم الناس دائما من حيث رد فعلهم من نحو الأخبار الآتية إليهم من الله . كانت شكوك الإخوة عاطفية ومتعجلة ، وكان فكر الوالد المفتوح نتاج التواضع . لقد تعلم إسرائيل ، بينما لم يتعلم أبناؤه بعد ، أن يترك الله ليتدخل فى الأمور وأن يعترف بحق الله فى الاختيار من بين الناس .

أعداد ١٢ ـــ ٢٤ : يوسف تحت رحمة اخوته :

كان مشهد المؤامرة على مسافة مسيرة يوم من شكيم ، وهى مسافة مناسبة لتنفيذ المؤامرة . وقد اتحدت كل الظروف ضد يوسف : من عدم تقدير للمأمورية التى كلف بها ، لمصادقة الرجل الغريب . مما أوقع يوسف فى يدى إخوته . ومع ذلك فقد كان الله فى مكانه غير الظاهر يقظا ليعمل كما يعمل فى أى معجزة . وهنا فى دوثان نرى نوعين مختلفين تماما من تعاملات الله . فقد صرخ يوسف عبثا (٤٢ : ٢١) . أما أليشع فقد أحاطت به مركبات الله (٢ مل ٦ : ١٣ ـــ ١٧) .

عدد ١٧ : لفت علماء الحفريات النظر إلى آثار مدينة دوثان ، والمدن الأخرى المذكورة فى هذه السجلات والسكان المشتتين فى تلك المناطق الريفية التى مكنت البدو فى أزمنة الآباء من الجولان فى التلال الوسطى فى فلسطين (ولم يكن ذلك ممكنا فى الأزمنة المتأخرة) .

عدد ١٩ : « صاحب الأحلام » . كلمة « صاحب » كلمة تدل على ما عرف عن الشخص بصفة خاصة ، فصارت علما عليه ، ويمكن ببساطة أن تعبر عنها بالكلمة « هذا الحالم » .

العددان ٢١ و ٢٢ : يذكر ع ٢١ تأثير رأوبين بالإيجاز ، ويذكره

ع ٢٢ بالتفصيل ، بالضبط كما أن ع ٥ يلخص ع ٦ — ورغم أن قصد رأوبين نجح جزئيا ، فإنه قد أنقذ يوسف وبالإضافة إلى طبع رأوبين أصلا (قارن الملاحظة على ٣٤ : ٢٥ — الخ فى نهايتها) فقد كان له ما يبرر تردده عن الاشتراك فى مؤامرتهم « الدم » ، وخاصة أن دم الأخ بالغ التقديس (٤ : ١٠ ، ٩ : ٥ ب) ، ورأوبين باعتباره كبير الأسرة فهو المسئول الأول عن ذلك .

وقد سبق أن غضب أبوه عليه (٣٥ : ٢٢) . فما فعله بيوسف إما أن يحطمه أو يعيده إلى مكانته .

ويرى معظم المفسرين المحدثين[1] ، بدون أى سند من نصوص الكتاب — يرون إبدال رأوبين بيهوذا فى ع ٢١ وكما يقول [بنيت] ، فى ضوء باقى تحليل القصة فإنه بهذا الإبدال يتمكن من جعل عددين متتاليين مختلفين والا فإنهما يتفقان . وسنناقش هذا الأمر فى الملاحظة الإضافية التى فى آخر هذا الأصحاح .

عدد ٢٤ : إن خلو البئر من « الماء » يحتاج إلى توضيح ، فإن هذه البئر هى فى الحقيقة مخزن ماء .

أعداد ٢٥ — ٣٦ : بيع يوسف إلى مصر :

عدد ٢٥ : الأكل هنا هو آخر لمسة لوصف القساوة . قارن قرائن أخرى أم ٣٠ : ٢٠ ، مت ٢٧ : ٣٠ — الخ .

بالنسبة « للإسماعيليين » انظر تفسير ع ٢٨ . لقد ساروا فى الطريق المشهور من دمشق إلى الجنوب بطريق الساحل ، حيث عبروا جلعاد يحملون منها تجارة توابل من حاصلات هذا الإقليم .. وفى طريقهم مروا بدوثان . أما أن التوابل من جلعاد فانظر [بلسان (إر ٨ :٢٢)] ، وكانت وجهتهم مصر .

العددان ٢٦ و ٢٧ : فيما بعد سيظهر من « يهوذا » بعض الصفات الرائعة (٤٣ : ٩ ، ٤٤ : ٣٣) . ولكن هنا لا يظهر شيء غير النفع الشخصى ، مما لاشك فيه أنه شعر بوخز الضمير كما يظهر من ع ٢٧ ب .

---

(١) يستثنى منهم سبايزر .

وكلمة « الفائدة » ليست كناية هنا ، بل هى كلمة تجارية جافة أشبه بكلمة « غنيمة » ، أو « عمولة » . والعبارة « ونخفى دمه » تعنى أنه « حتى لو أخفينا دمه .. » وربما يفكرون فى الإخفاء من جهتين : إخفاء عن الناس ، وعن الله باعتبارهم سافكى دم .

عدد ٢٨ : يشير تناوب الأسماء بين « **اسماعيليين** » ، و« مديانيين » فى ع ٢٥ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ وفى ٣٩ : ١ ؛ بأنهما مترادفان أو أنهما لفظان متداخلان بعضهما فى بعض حتى لو لم يكن هناك دليل آخر خارج النص يؤيد ذلك . وفى الحقيقة يتقرر الموضوع فى قض ٨ : ٢٤ حيث يقول عن المديانيين « لأنه كان لهم أقراط ذهب لأنهم إسماعيليون » . فيظهر من هذا أن كلمة اسماعيليين كلمة شمولية تشمل بنى عمومة إسرائيل (إسماعيل هو الفرع الرئيسى من إبراهيم) . كما أن كلمة « عرب » تتضمن عديدا من القبائل ، ويمكن الإشارة إلى اسم من أسماء هذه القبائل بدون خطأ . ويمكن أن يكون التناوب جزئيا من أجل الاختلاف ، وجزئيا لكى يسجل الفكرة الرئيسية (أن يوسف قد بيع إلى شعب خارج العهد) .

بحسب القرينة السابقة على الفعل « سحبوا .. » نجد أن الفاعل هم الذين خططوا لهذا العمل [الإخوة] إلا إذا أخرجنا العدد من قرينته لكى يعود الضمير إلى المديانيين ، بالنسبة لهذا انظر الملاحظة الإضافية فى نهاية الأصحاح .

« بعشرين من الفضة » قارن لا ٢٧ : ٥ . كان هذا الثمن المتداول لعبد فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد .

عدد ٢٩ : إن غياب رأوبين ــ بالرغم من الصعوبة فى تركيب القصة كما يرى البعض ــ يتفق تماما مع الواقع حيث حركة الذهاب والمجىء مستمرة (خاصة بالنسبة لرعاية قطعان الضأن) . لابد أن خطته كانت أن يتوارى عن المجموعة حتى يجد فرصة لإنقاذ يوسف ، بدون لوم منهم .

عدد ٣١ : فى اغفال هياج رأوبين دون جواب والاهتمام بالخطة التى نفذوها بقميص يوسف ، لمسة روائية رائعة . وفى اختيار التيس (قارن ٢٧ : ٩) من أجل الخدعة نوع من السخرية .

عدد ٣٢ : لاحظ فتور التعبير « قميص ابنك » بعدم ذكر الاسم بما يحمل من ازدراء. وقد ورد هذا أيضا فى حديث الابن الأكبر فى لو ١٥: ٣٠ ــ الخ:

« ابنك هذا ... » (مع التصحيح الرقيق « أخاك هذا ... ») .

عدد ٣٥ : المفروض أن الجمع « بناته » يحتوى نساء بنيه (قارن راعوث ١ : ١١ ، كما يشير فون راد) . وإصرار الأب على رفض التعزية نهائيا عن فقد ابنه ، يزيد من إشعاع كلمات الإنجيل عن موقف أب آخر من القيم الأخوية (مت ١٨ : ٦ و ١٠ ، قارن أم ٢٤ : ١١ و ١٢) .

وبالنسبة لكلمات يعقوب قارن تفسير ٢٥ : ٨ ، ٤٢ : ٣٨ .

عدد ٣٦ : الكلمة فى النص العبرى هنا هى مدانيون Medanite وليس مديانيون Midianite . ويمكن أن تكون هذه سهوة من الكاتب (من ناسخ) ولكن حيث أن ٢٥ : ٢ تبين قرابة الاثنين ، فيمكن جدا أن تحتوى الكلمة كلا العنصرين .

وأما عن الاسم فوطيفار واضح أنه اسم مصرى . وكلمة خصى قد صارت دلالة على جليس الملك ومرادفة لها . وقد دار الجدل حول الترجمة ــ « رئيس الشرط » فقال البعض إنه رئيس الجلادين (الاسم مشتق من الفعل يذبح كما فى ٤٣ : ١٦) أو الطاهى كما فى (١ صم ٩ : ٢٣) . وقد تعنى « رئيس الحرس » وهو الراجح ، حيث أن هذا يتفق مع ٤٠ : ٣ و ٤ . ورئيس الشرط تتفق مع ٢ مل ٢٥ : ٨ الذى يشبه لقبا مصريا .

ملاحظة إضافية على ص ٣٧

يعتقد الكثيرون أن قصة يوسف بجملتها ، قد جاءت فى صور مختلفة ، ففى جنوب إسرائيل (J) وفى الشمال (E) وقد نسجهما معاً فى سفر التكوين ، محرر ربما فى القرن ٨ ق . م . وفى القرن التاسع عشر الميلادى بسطها النقاد . وحيث أن قوة النظرية تحميها من النقد ، فإن صيغتها الأصلية (بالنسبة لقصص الاختطاف والسجن) واردة فيما بعد ، مع تفسيرها .

ويقال فى (J) فى ٣٧ : ٢١ كيف منع يهوذا (وليس رأوبين كما هو مدون) إخوته من قتل يوسف ، واقترح بيعه لبعض الاسماعيليين الآتين (ولا يوجد هنا قصة بئر) ، الذين بدورهم باعوه إلى مصرى لم يذكر اسمه . وبمكيدة من زوجة سيده ، ألقى يوسف فى السجن العام [وحذفوا الإشارة إلى « أسرى الملك » المحبوسين (٣٩ : ٢٠)] ، حيث ارتقى إلى أن صار موضع الثقة ، ولاقى ساقى الملك وخبازه (٤٠ : ١ و ٣ ب) .

أما فى (E) فيبدأ تسلسل القصة برأوبين وكيف أقنع الإخوة بإلقاء يوسف فى بئر (٣٧ : ٢٢) ، والتى منها سرقه المديانيون بينما كان إخوته يأكلون . باعه المديانيون إلى فوطيفار رئيس الشرط (٣٧ : ٣٦) حيث طلب منه أن يخدم ساقى الملك والخباز المسجونين فى بيت فوطيفار (٤٠ : ٢ و ٣ أو ٤ — الخ) . وفى هذه الرواية لا توجد غواية ، ويوسف هنا مجرد عبد ، وهو ذاته ليس سجينا (لأن ٤٠ : ٣ ب و ١٥ ب تعتبر منسوبة إلى (j) .

ونحن نعارض هذه الآراء للأسباب الآتية : —

(أ) إن أوضح مظهر لهذا الزعم هو الحرية العابثة بالنص . إذ أبعد رأوبين من ٣٧ : ٢١ التى ينسبها إلى (J) ويبدل بدله يهوذا لمجرد أنه يجعله يختلف عن ع ٢٢ (E) . حذف اسم فوطيفار ووظيفته فى ٣٩ : ١ (J) لأنه يتفق فقط مع ٣٧ : ٣٦ (E) . حذفت الإشارة إلى سجناء الملك من ٣٩ : ٢٠ (j) لئلا تدعم ٤٠ : ٢ — الخ (E) ، حذفت عبارة أن يوسف كان سجينا فى ٤٠ : ٣ ب و ١٥ ب ، ٤١ : ١٤ من (E) فقط لمجرد أنها تشابه عبارة (J) فى ٣٩ : ٢٠ . كذلك (نتوقع) أن تزال عبارة أن يوسف بيع وليس مجرد سرق من ٤٥ : ٤ و ٥ لئلا تصير سجلات (E) غير متعارضة مع (j) .

أى نظرية تفعل هكذا ، تحكم على نفسها بالفشل .

(ب) تفترض صياغة روائية فى منتهى الصلابة . فزع رأوبين عندما وجد أن البئر فارغة (٣٧ : ٢٩) — مما يجعل القارىء يستنتج غيابه مؤقتا . فى عرف هذه النظرية أن هذا أمر متناقض ، ليس لأن غيابه كان غير مفهوم ، ولكن لأنه غير مروى . هذا يعنى أننا نفرض على الكاتب أسلوباً معيناً فى الكتابة . كذلك من المغالطة أن نعتبر كلمة يوسف فى ٤٠ : ١٥ « قد سرقت » على أنها مناقضة لكلمة البيع والشراء . وكأن البيع كان عملا أمينا . فى الحقيقة يوضح تث ٢٤ : ٧ (لو أننا نحتاج على الإطلاق لهذا القول) أن الخطف فى سبيل البيع ، هو سرقة من نوع مهين .

(جـ) هذه النظرية لا تقدر تعقيد الأحداث تقديراً كافياً . ولنعد إلى رأوبين . قد يحتفظ كاتب أى رواية خيالية بعشرة إخوة وقطعانهم متضامنين معا ، بين الحادثة والأخرى دون ضلال أحدهم ، أو دواعى طبيعية تبعد واحداً أو آخر عن المجموع . ولكن بخلاف ذلك فى قصة رأوبين التى سادها عدم

ترتيب الحقائق فى تلك الظروف حتى فاتت رأوبين الصفقة مع التجار بطريقة ما . إنها الحقيقة وليست الخيال التى نجد بها عدم الحبكة القصصية . كذلك وجود أكثر من سبب للحسد ضد يوسف ، لا تصلح لأن تكون « دليلاً آخر مضمونا » على ثنائية الرواية مع أنه أكثر الظواهر الطبيعية كما يقول فون راد[1] ، وهو تقريباً الوحيد فى المحدثين الذى قدم شهادة الحق هذه .

(د) تفترض هذه النظرية أنه حيثما يقال شىء مرتين فإنما القائل كاتبان . وهذه نظرية غير مقنعة . مثلا فى ٣٧ : ٥ — الخ يأتى الموجز فى ٣٧ : ٥ ثم تفاصيله فى ع ٦ — ٨ ، فى الأول يوجد العلاقة بين الحادث الجديد وبين ما سبق ، ثم بعد ذلك يفصل . هذه طريقة ذكية بل وتدعو للإعجاب ، ولا تحتاج إلى جهاد من كاتبين ومحرر لكى ينتجوها . وذات الشىء يمكن أن يقال عن الأعداد ١٣ و ١٤ ؛ ع ١٨ و ١٩ — ٢٠ ؛ ع ٢١ و ٢٢ وهكذا . إنها تحديد الهيئه المألوفة : « أجاب وقال » ، « رفع عينيه ونظر » ، الخ . ومع ذلك فهذه المدرسة الفكرية نادراً ما وقفت لدراسة إمكانة بسيطة كهذه .

(هـ) أساس كل ما سبق هو الافتراض غير المنطوقة ، أنه من عدم الأمانة الاقتراب إلى الكتاب المقدس بعمل توفيقى . ولهذا يمرون بدون اعتبار على الإجابة فى قض ٨ : ٢٤ عن الإسماعيليين المديانيين ، وحيث نص سفر التكوين يؤيد الوحدة بوضوح ، ولا يؤيد النظرية التى تقول بتصحيح حدث كما أوردوا الشواهد التى فى الفقرة (أ) . وهناك أمثلة أخرى فى الملاحظة الإضافية على أصحاح ٤٢ التى تنقض تلك النظرية . إنها نابعة ربما من رغبة طائشة لمواجهة الأردأ . ولكنها نادرا ما كانت اتجاها مناسبا . إن النظرية التى تصر على تغيير الأساس وهو النص ، تغييرا جذريا مراراً وتكراراً ، وبدون تأييد ترجمة قديمة واحدة ، ربما يكون بنية حسنة ، ولكنها لا يمكن أن تكون على صواب .

---

(١) ولو أن فون راد لا ينسب هذا إلى المنظور الواقعي للأحداث بل إلى النمو التحريرى للمادة .

الأصحاح الثامن والثلاثون

أعداد ١ ــ ٣٠ : يهوذا وتواتر أسرته :

هذا الأصحاح هو جزء من تاريخ أسرة من سبط يهوذا يوضح تفوق بعض أفراده كما يساهم فى توضيح تاريخ النسب الملكى فى مت ١ : ٣ ، لو ٣ : ٣٣ . ومع أنه يقطع سير أحداث قصة يوسف بطريقة مفاجئة لكنه يخدم أغراضاً أخرى . فهو يوجد نوعا من التشويق عند القارىء لمعرفة مستقبل يوسف كما أنه يبرز إيمان يوسف وعفته ــ بالمقارنة مع أحداث هذا الأصحاح ــ ليبين ندرة أخلاقه ، كما يكمل صورة القائد المؤثر من بين إخوته العشرة . ولا يوجد ما يدعو للتأكيد على الادعاء بأن شخصيات هذه القصة هم تشخيص لعشائر . فإن الرواية (مثل تلك التى فى ص ٣٤) بها من التوافق ودقة التفاصيل ما يثبت واقعية شخصياتها وحوادثها .

ومع ذلك فلخطايا هؤلاء الأفراد ومناوراتهم مفاد عائلى ، ويمكن أن يكون للقصة اعتبارها على هذا الأساس . ويتوقف المستقبل على السلوك الذى يختارونه . إذ يدور محور القصة حول حق ثامار فى أن تكون أم وارث يهوذا ، وما صادفها من احباطات متتالية وانتصار ظاهر . أما سفر راعوث فيعالج ذات الموضوع بصورة مختلفة وعلى مستوى أعلى ، وفى كلا الموضعين نجد أن نسل داود الذى يؤدى لمجىء المسيا هو مضمون القصة مع أنه غير معروف عند حدوث الأحداث .

أعداد ١ ــ ١١ : نسب يهوذا فى خطر : يبين ع ١ و ٢ كيف تم زواج يهوذا بطريقة اعتباطية ــ أشبه بزواج شمشون (قض ١٤ : ١ ــ الخ) وحتى زوجته الكنعانية ظلت مجهولة الاسم (مثل زوجة شمشون الفلسطينية) . ولم تعرف حتى النهاية إلا « بابنه شوع » (ع ١٢) . أما عدلام (المكان الذى سيعرف فيما بعد على أنه مغارة داود) ، فقد كانت فى المنطقة التى تقع إلى الجنوب أو الجنوب الشرق من أورشليم التى صارت بعد امتلاك الأرض من نصيب يهوذا ، (قارن ٢ أى ١١ : ٥ و ٧) .

عدد ٧ : سجل الكتاب شر عير غير المعروف ــ بخلاف شر أونان المذكور فى الأعداد ٩ و ١٠ ، لكى نتفهم تسلسل أحداث هذه المأساة وفى

ذات الوقت نرى مدى الانحدار الخلقى فى الأسرة المختارة ، التى ليس فيها ما يسر غير تقوى يوسف الرائعة . وواضح أكثر من مرة فى سفر التكوين الحاجة إلى فيض النعمة عندما لا يصبح الإيمان قوة فعالة . ويتضح هذا النموذج بشكل أوضح فى سفر القضاة .

أعداد ٨ ـــ ١٠ : كون العبارة « وأقم نسلا لأخيك » معبر عنها بكلمة عبرية واحدة ، يثبت أن هذه كانت ممارسة عادية حتى ولو لم يرد فى سفر التثنية سجل للناموس عنها (تث ٢٥ : ٥ ـــ الخ) وفى كل الشواهد الكتابية الثلاثة فى العهد القديم لهذا القانون (قارن (٤١ : ٥ ـــ الخ) يتضح أنها لم تكن مقبولة إلى حد بعيد من المكلف به ، وبصفة خاصة من حيث أنه يضع فى اعتباره الأول ميراث الأسرة لا مصالحه الشخصية . وشفاعة خطية أونان هى فى كونها إهانة ضد الأسرة ، وضد أرملة أخيه ، وضد جسده هو . والترجمة لا توضح أن عمل أونان كان ممارسة دائمة ، ويجب أن تكون الكلمات « فكان إذ دخل » (ع ٩) ـــ « فكلما دخل » .

عدد ١١ : يتضح عدم إخلاص يهوذا من كونه سوَّف كثيراً (ع ١٤ب و ٢٦) فإنه واضح أنه قد حكم أن ثامار « سبب نحس » ولم يكن ينوى التضحية بابنه الأخير ـــ وفى نفس الوقت لا يريد أن يواجه غضب ثامار عندما يخبرها بقراره .

أعداد ١٢ ـــ ٢٦ : مناورة ثامار : كانت ثامار فى شغل شاغل بحقها فى الأمومة للفرع الأكبر فى يهوذا . ومن العبارة الأخيرة فى ع ٢٤ « أخرجوها فتحرق » نرى مدى المخاطرة التى خاضتها ؛ وتسليم يهوذا فى ع ٢٦ يبين أنه أقر بعدم العدل ، الأمر الذى قاومته باستماتة حتى هزمته . لقد أظهرت روحا لا تقهر أشبه بروح أستير وياعيل ورصفة ، ولكن النص لا يعلق على مدى أخلاقية فعلها . ولكن بصورة غير مباشرة نجد أن وضع هذه القصة فى داخل قصة يوسف يقدم مقارنة واضحة بالإيمان الذى يتمسك به الإنسان فى ظروف أسوأ كثيراً من ظرفها .

عدد ١٢ : ... الخ كان جز الغنم احتفالاً أشبه بالعيد (قارن ١ صم ٢٥ : ٤ و ١١ و ٣٦) وهو وقت تشتد فيه تجربة الجنس بسبب الطقوس الكنعانية ، التى شجعت الفسق الطقسى كعمل سحرى فى سبيل الخصوبة .

تبين كلمة « زانية » فى ع ٢١ و ٢٢ أن ثامار قد تنكرت فى زى زناة المعابد الوثنية ، لكى تتأكد من إمكان إيقاع فريستها . ويثبت هذا الرأى « البرقع »[١] فى ع ١٤ .

كانت هذه حالة العالم عندما تزوج يهوذا . ويروى الأنبياء (مثلا هو ٤ : ١٤) عن قوته المفسدة لإسرائيل فى الأجيال التالية .

عدد ١٨ : « العصابة » الكلمة العبرية تعنى خيطا [يدعوه البعض « قيطانا »] وهذا هو ما يعلق به « الخاتم » (أداة التوقيع ، وليس لبس الزينة) حول العنق . وقد كان هذا جزءاً من لباس أى رجل غنى . و« العصا » وغالبا كان منقوشا عليها ما يدل على صاحبها (قارن عدد ٢٥) .

عدد ٢٤ : لا داعى لأن نظن أن يهوذا كان مرائيا فى حكمه ضد ثامار ، بقدر ما نرى فيه عدم الأمانة لأنه يصدر حكما على المرأة يختلف عن حكمه على الرجل . وهو ٤ : ١٤ ، المشار إليه أعلاه أحد الأقوال المبكرة التى هاجمت هذا التفريق .

أعداد ٢٧ ـــ ٣٠ : توأما ثامار : هذا الصراع قبل الولادة لا يختلف عن صراع يعقوب وعيسو (٢٥ : ٢٢ ـــ ٢٦) . ختام مناسب لأصحاح عنيف ، ويوصل لدور سبط يهوذا . وكانت الأسرة تعتقد أنها بعلامة خيط القرمز قد عينت البكر ، ولكن المعتبر بكرا فى الأنساب هو فارص (« مقتحم ») . ونسبه هو الذى منه جاء داود (قارن را ٤ : ١٨ ـــ الخ) ، ومن ثم جاء منه المسيح .

(١) ومع ذلك نجد ع ١٥ ترد به الكلمة العادية « زانية » وربما كان سبايزر على صواب فى أن صديق يهوذا هو الذى أدخل اللفظ الدينى « لكي يرفع الأمر إلى مستوى اجتماعى أعلى » .

الأصحاح التاسع والثلاثون

أعداد ١ ــ ٢٣ : يوسف تحت الامتحان :

فى هذا الأصحاح تناسق تام ، إذ أن الافتتاحية الصافية (ع ١ ــ ٦) تماشى خطوة فخطوة الختام الذى على مستوى آخر (ع ١٩ ــ ٢٣) بغض النظر عما يتوسط ، والذى يعبر تعبيرا وافياً عن سيطرة الله الهادئة ، والنصرة الهادئة لرجل الإيمان . دفنت البذرة الجيدة عميقا وها هى تنبت وتعلو ، والعبد الأمين فى القليل ، يتدرب للسلطة الواسعة .

بالنسبة للقصة المصرية «قصة الأخوين» انظر الملاحظة الإضافية على هذا الأصحاح .

أعداد ١ : ٦ يوسف العبد محل الثقة :

عدد ١ : يبدأ بالعبارة « وأما يوسف ... » وبهذا يستأنف ما انقطع من القصة بدخول الأصحاح ٣٨ فى وسطها .

بالنسبة لاسم فوطيفار ولقبه انظر تفسير ٣٧ : ٣٦ . وعن الدليل الوارد فى هذا العدد على وحدة الرواية انظر الملاحظة الإضافية على ص ٣٧ .

عدد ٢ : « **فكان رجلا ناجحا** » ومفتاح هذا النجاح يرد فى ع٣ « تنجحه » ــ وهذه هى الكلمة التى سبق أن استعملت عن نتيجة مهمة اليعازر فى ٢٤ : ٢١ و ٤٠ . وهى الكلمة المستعملة عن إنجاز عبد الرب المتألم فى إش ٥٣ : ١٠ .. ومفادها الإنجاز لا المكانة .

أعداد ٣ ــ ٦ : هذه الأعداد تروى أمورا متلاحقة : ع ٢ يروى النجاح ، فيبنى ع ٣ عليه ملاحظة السيد ، وينتج عن ذلك أن السيد وكله على كل ما كان له (من نجاح إلى نجاح) وينتج عن ذلك أيضا أن ترقية السيد لعبده ــ أنتجت البركة للسيد . ثم يأتى ع ٦ فيتوج هذا التطور ، ثم تجهز هذه القمة القارىء للحملة التى جاءت بعد ذلك .

أعداد ٧ ــ ١٨ : تجربة يوسف : كانت الأسباب التى من أجلها رفض يوسف (ع ٨ و ٩) هى ذات الأسباب التى يمكن أن يبديها آخر كأسباب لسقوطه فى التجربة . وربما كانت السيطرة الكلية على كل شىء بلا رقابة وسرعة الترقية أمورا تفسد أى وكيل (قارن إش ٢٢ : ١٥ ــ ٢٥ ، لو ١٦ : ١ ــ الخ) ، وتحققه من أن شيئاً واحداً كان ممنوعاً عنه (ع ٩)

[وهو ما يراه الناس منذ حواء حتى الآن موضوع تجربة وإحباط] . كل هذه الأمور كانت امتحانا لمدى ولائه وإخلاصه . ولقد التزم بالصدق عندما سمى العرض الذى عرض عليه باسمه الحقيقى أى الشر (ع ٩) كما كان إخلاصه لسيده عميقا وأصيلا (ع ٩حـ) .

عدد ١٠ : وقد ازدادت قوة التجربة بالضغط المستمر « يوما فيوما » بينما سقط شمشون عندما تعرض مرتين للتجربة (قض ١٤ : ١٧ ، ١٦ : ١٦) ، قارن نوعا آخر فيه الضغط المستمر فى عب ٣ : ١٣ . كما أن هذه التجربة كانت تتميز بنوع من المرونة فإن كانت القوة والإجبار تفشل مع يوسف فإنه لابد أن يضعف أمام الملاطفة . أما أن يرفض يوسف أن « يكون معها » ١٠ حـ فإنه يبدو أمرا لا يصدق . إن رفضه أن ينجرف يظهر واقعية ام ٥ : ٨ (« أبعد طريقك عنها ... ») ، والصلاة الربانية « لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير » قارن نصح حزقيا لمواطنيه فى ٢ مل ١٨ : ٣٦ .

العددان ١١ و ١٢ : وإزاء المقاومة حتى النهاية سارت التجربة كل مسارها ، واستعرضت كل خطتها ، المواجهة الأولى ، التملق والتخويف (ع ٧) ؛ ثم الإلحاح المستمر وفتح الموضوع مرة تلو المرة (ع ١٠) . ثم التحدى الأخير حيث يتعرض الإنسان لخسارة كل شىء أو ربح كل شىء فى لحظة (ع ١٢) . وهرب يوسف ولكن ليس هروب الجبان ـــ هروبا أنقذ شرفه على حساب آماله ـــ هروبا ينصح به العهد الجديد (٢ تى ٢ : ٢٢ ، ٢ بط ١ : ٤) .

عدد ١٤ : هنا وفى ع ١٧ تسمع نغمة التحقير فى حديث عن « عبرانى » مما يظهر التعالى . انظر (تفسير ١٠ : ٢٤) . ثم صوبت طعنة لزوجها فى نغمة حزينة « انظروا . قد جاء إلينا .. » ـــ هذا لكى تتصنع موقف الضحية ، وتمارس ضغطا على زوجها لكى يتصرف .

أعداد ١٩ ـــ ٢٣ : **يوسف السجين محل الثقة** : بالنسبة لتناسق هذا الجزء مع ع ١ ـــ ٦ انظر التفسير الافتتاحى لهذا الأصحاح . كان إذلال يوسف من قبل بالغ الشدة وقد أعيد هنا بصورة أبشع ، ولكن لا شىء أبعد أو أعمق من أن يصل إليه الله ويتعامل معه .

العددان ١٩ و ٢٠ : كانت العقوبة الوحيدة التى يتوقعها يوسف هى

الموت ويحتمل أن تأجيل العقاب يعزى إلى حد كبير إلى الاحترام الذى كان قد اكتسبه ، وقد كان فى رد فعل فوطيفار مزيج من الغضب وضبط النفس مما يلقى ظلا خفيفا على صدق الاتهام ودقته .

ولكن عندما تتضح القصة نجد أن الله الذى أتى بيوسف هنا ، كان يحفظه من أجل مهمته .

الكلمة المترجمة « بيت السجن » Sohar توجد فقط فى هذه الأصحاحات والأصل الثلاثى للكلمة يدل على مبنى مستدير الشكل ، وربما المقصود هنا قلعة وهو اللفظ المستعمل فى السبعينية . إذ معروف أن السجناء كانوا يرسلون إلى مثل هذه المواقع الحصينة لتسخيرهم ، وربما كانت كلمة منقولة عن مصر . ولكن لم يتمكن أحد من العثور على مسمى بهذا الاسم .

ويتفق هذا الأصحاح مع ص ٤٠ فى استخدام هذا اللفظ بمعنى سجن (٤٠ : ٣ و ٥) وفى إظهار يوسف كسجين (٤٠ : ٣ جـ و ١٥) وفى ذكر أن سجناء الملك كانوا أيضا فى ذات المكان . فأولئك الذين ينظرون إلى الأصحاحين على أنهما من مصدرين مختلفين (انظر الملاحظة الإضافية) يفعلون ذلك بالرغم من هذا الدليل الذى لا يقاوم بغض النظر عن حذف كلمة « سجن » فى السريانية من ٤٠ : ٣ .

عدد ٢١ : بالنسبة لحضور الرب وتأثيره قارن ع ٢ ـــ ٤ أ. أما ما ذكر فى مز ١٠٥ : ١٨ فيصحح أى فكرة بأن يوسف قد استقبل استقبالاً رقيقا : « آذوا بالقيد رجليه فى الحديد دخلت نفسه » .

العددان ٢٢ و ٢٣ : قارن ع ٤ ب ـــ ٦ ، ٤١ : ٤٠ و ٤٤ . كانت قدرات يوسف الفذة واستقامته الممسوحة بلمسة من الله ، ظاهرة دائما على كل المستويات . كان هو ذات الإنسان سواء كسجين أو كحاكم .

ملاحظة إضافية على ص ٣٩

وجدت قصة مصرية خيالية تسمى « قصة الأخوين » فى مخطوطة ترجع إلى ق ١٣ ق. م . ويقارنون هذه القصة بقصة التكوين فى هذا الأصحاح بل ويدعون أنها أوحت بهذه القصة . تبدأ بإغراء للفتى من زوجة أخيه ، التى تنتقم لفشلها باتهامه باغتصابها . وقد نجا الفتى من يد أخيه وحكم الموت

بإعجوبة ، ويتلو ذلك مغامراته بما فيها تحوله إلى عجل ، وإلى زوج من الأشجار — وكانت تلك الأعاجيب خليط من أعاجيب سحرية . ونجد فى عمليات الإغراء ، والرفض ، والمكيدة ، مشابهة شديدة ، ولكن مثلما يقول ج . م . بلوملى « يتطلب الأمر تفاصيل أكثر وتشابها أفضل لكى نبرر الإدعاء الذى تكرر تقديمه بأن القصة المصرية هى أصل القصة الموصوفة فى سفر التكوين . كذلك يؤكد بلوملى على أن مثل هذا الموقف ليس فريدا فى حدوثه كما يتضح من القصص الأدبية عند شعوب أخرى .

الأصحاح الأربعون

أعداد ١ ــ ٢٣ : أحلام الساقى والخباز :

عدد ١ : « أذنبا إلى سيدهما » مما أدى إلى سخط فرعون ع ٢

« الساقى » (حامل الكأس) و« الخباز » يعتبران موظفين رسميين . قارن الموقف فى زمان متأخر فى وقت نحميا الذى كان حامل كأس أحشويرش ، وكان ذا مكانة وتأثير . انظر أيضا ع ١١ و ١٧ .

عدد ٣ : « المكان الذى كان يوسف محبوساً فيه » ولا يمكن الادعاء بأن يوسف لم يكن سجينا إلا برفض هذا الدليل وكذلك ما جاء فى ع ١٥ (انظر الملاحظة الإضافية السابقة) .

عدد ٤ : ليس من المستغرب أن ترتب هذه الترتيبات بواسطة « رئيس الشرط » نفسه باعتبار أنه هو فوطيفار ذاته الذى لا زال يذكر أنه يمكن الاعتماد على يوسف) ، وليس عن طريق مرؤسه « رئيس بيت السجن » ، الذى توصف معاملاته مع يوسف فى ٣٩ : ٢١ ــ الخ . ولهذا ، فبعدما اكتسب يوسف مركزا أفضل ، عاد إلى القاع مرة أخرى إذ صار خادماً للسجناء[١] ولكن هذا التراجع الظاهر ، وليس الترقية السابقة ، كان هو السبيل للتقدم .

أعداد ٦ ــ ٨ : إلى جانب كفاءة يوسف وتقواه يظهر اهتمامه السريع بسجنائه ، جانبا آخر من شخصيته ، كما تبدو علاقته بالله واضحة . فقد كانت هذه طبيعته (قارن ٣٩ : ٩ ، ٤١ : ١٦ و ٥١ و ٥٢ ، ٥٤ : ٨ ، الخ) . وأما من جهة الأحلام فالاعتقاد بأن للأحلام معنى ، وارتباط الأحلام بالمستقبل فقد كان شائعا فى مصر . وهناك مجموعات من الكتابات عن فن تفسيرها .

عدد ١١ : أقام . ج فيرجوت الدليل على أن الأعمال المحتواة فى الأحلام ، قد تحمل رمزا أكثر مما تحمل وصفاً بالنسبة لواجبات حامل الكأس. وقد نوافقه

---

(١) الأمر الغريب أن هذا التبدل الجديد ، وهو نموذج للانقلاب المفاجىء فى نظام سلطوى يرى على أنه معارض ع ٣٩ : ٢٢ و ٢٣ رغم العبارة بأن هذا حدث « بعد هذه الأمور » (٤٠ : ١) .

على رأيه ، ولكن نرى أيضا احتمال أنها تلقى ضوءاً على براءته ، حيث أنه ضمن واجباته أن يفتح له الخمر ، ويذوقها ، أى أنه مسئول عن نوع ما يقدمه لفرعون .

عدد ١٣ : بالنسبة للاستعارة المعبرة « يرفع رأسك » بالنسبة للشخص المذل أنظر ٢ مل ٢٥ : ٢٧ ، وكذلك انظر ذات المعنى مع فعل عبرى آخر فى مر ٣ : ٣ ، ٢٧ : ٦ .. ولكن انظر تفسير ع ١٩ .

عدد ١٥ : بالنسبة لمغزى « قد سرقت » وكذلك « وضعونى فى السجن » انظر الملاحظة الإضافية (ص ٣٧) .

عدد ١٦ : حوارى وهى من الكلمة العبرية (hori) وهى بذات النطق غير موجودة فى غير هذا المكان وهى إما أن تعنى البياض أى أن السلال بيضاء أو أن لون محتوياتها أبيض ، أو المعنى الآخر الذى يفضله سبايزر « من القش » .

عدد ١٧ : يوجه ج . فيرجوت النظر إلى أنهم كانوا يصنعون ٣٩ نوعا مختلفا من الفطائر وسبعة وخمسين نوعا من الخبز ، وقد سجلت قائمة بها فى أطعمة المصريين التى نشرتها إرمان جرابو ؛ مما يعطى معنى للكلمات « من جميع ... صنعة الخباز » ، ويعطى فكرة عن أهمية العمل .

عدد ١٩ : بالنسبة لمعنى هذه النبوة الغامض عن مصير الخباز قارن ٢٧ : ٣٩ و ٤٠ ، ولاحظ أنه يبدو أسلوب مقبول . ولكن القسوة البادية فى العبارة وإن كنا لا نشعر بها وهى مكتوبة إلا أنها أعطت الأمل للحظة ثم حطمته فقد كانت بداية الكلام خادعة . ولم يكن هناك ما يعزى عن الأخبار السيئة التى ظهرت بعد ذلك حالاً فى كلام يوسف ونبرات صوته .

الأصحاح الواحد والأربعون

أعداد ١ ــ ٤٥ : أحلام فرعون ورفعة يوسف إلى مقامه :

العددان ١ و ٢ : « النهر » واضح أنه النيل . وربما نستطيع أن نلاحظ الأسلوب المصرى فى حكاية الحلم ، فهذه البقرات الطالعة من النهر (ويقول فيرجوت إن وقوف البقر وجسمها يكاد يكون مغموراً فى الماء وضع مألوف إذ يحتمى البقر بالماء من مضايقة الذباب ومن حرارة الجو) ، ومرعى من أعشاب البوص ، أو البردى . واستعمال الكلمة العبرية [آحُو] عن معنى البردى ، كلمة دخيلة على العبرية من مصر[1] وترد أيضا فى اى ٨ : ١١ (قارن اش ١٩ : ١٧ ، فى النص اليونانى فى السبعينية وكذا سيراخ ٤٠ : ١٦ فيها) .

عدد ٦ : تقريبا « الريح الشرقية » تعبير اصطلاحى بمعنى ريح الصحراء سواء كان اتجاهها شرقى أم لا . وهذه الريح العاصفة ــ اللافحة ، المسماة بـ « الشروق » فى فلسطين ، والمسماة بـ « الخماسين » فى مصر قد تدمر المحاصيل .

عدد ٨ : ثم « سحرة » كلمة مصرية أخرى واردة فى العبرية [حَرْطُومِيم] التى يبدو أنها جزء من لقب مركب أطلق على أولئك الخبراء فى استخدام كتب الكهنوت الطقسية ، والسحر . ويظهرون فى خر ٧ : ١١ حيث طلب منهم فرعون ممارسة سحرهم : أما هنا فكان دورهم ، الإدلاد بما تقوله كتب السحر عن الأحلام (قارن تفسير ٤٠ : ٦ ــ ٨) .

عدد ١٣ : الأسلوب العبرى هنا للتعبير عن الأحداث يستحق الملاحظة : « ردنى أنا .. وأما هو فعلقه » ــ بل وتلقى ضوءاً على أقوال كتابية أخرى .. حيث أن التصريح قد يكون له قوة الفعل (مثلا يو ٢٠ : ٢٣ « .. غفرتم ... أمسكتموها ... » .

عدد ١٤ : « من السجن » دليل آخر على وحدة القصة . انظر الملاحظة الإضافية على أصحاح ٣٧ .

---

(١) يبدو أنه غير ضرورى وغير محقق أن نبنى علاقة واهية مع الفكر المصرى لمجرد ذكر البقر ، فإن الماشية والقمح فى كلا الحلمين ، يعنى بوضوح الوفرة أو الجوع .

الحلاقة زيادة فى التفاصيل عن الحياة المصرية المغايرة للسلوك الرسمى السامى .

العددان ١٥ و ١٦ : بينما فكر فرعون فى الخبرة فى « علم » الأحلام ، تنصل يوسف تماما من هذا المدخل ، (فإن إقرار يوسف كان مقتضبا فى كلمة واحدة « ليس لى ») وبهذه العجالة حول الانظار من نفسه إلى الله ، (وموقع كلمة « الله » فى الجملة يجعلها مؤكدة) على أنه هو المعلن ، والمدبر ، والمحسن . واقتضاب حديثه عكس حديث دانيال المنمق فى ذات المقام (دا ٢ : ٢٧ — ٣٠) وربما يستطيع المرء أن يحس الارتباك الذى لم يهدأ بعد التغيير المفاجىء للأحداث .

عدد ١٩ : ... الخ فى الوصف الوارد فى ع ١٩ ب لمسة تجعل سرد فرعون للقصة أكثر من مجرد تكرار الحكاية ، فهو يضيف نقطة هامة هى عدم حدوث أى تغيير فى البقرات الهزيلة بعد أن التهمت البقرات السمينة (ع ٢١) والذى سيرد تفسيره فى ع ٣١ .

عدد ٢٥ : ... إلخ تكرار العبارة « بما هو صانع » فى ع ٢٨ ومع تأكيد فى ع ٣٢ — تفيد أن الأمر مؤكد ، وأنه وشيك الوقوع — الأمر الذى يدعو للعمل وليس ترك الأمر — وهذا بالضبط مثل وعظ الأنبياء . وهذا المبدأ موضح فى إر ١٨ : ٧ — ١٠ . ولكن انظر أيضا تفسير ع ٣٣ — الخ .

عدد ٣٣ : ... إلخ من المهم أن نلاحظ أنه بخلاف كثير من البلايا المنبأ عنها فى العهد القديم ، هذه المجاعة الوشيكة الوقوع ليست عقابا . إنها إحدى الظواهر غير المتكررة فى الحياة ، ويبين يوسف أن مدبراً حكيماً يمكن أن يؤمن الأحوال إزاءها باتخاذ تدابير إضافية . وينطبق هنا مبدأ النبوة بالمستقبل . (انظر تفسير ع ٢٥ — الخ أعلاه) . الله يتوقع رد فعل للموقف ، فلو كان الأمر تهديدا بالدينونة فإن رد الفعل هو التوبة . أما بالنسبة للتحذير الودود (قارن ار ٣٨: ١٧ — الخ، مت ٢٤: ١٥ — الخ) فالمطلوب عمل احتياطات واقعية .

العددان ٣٨ و ٣٩ : « روح الله » فى فم فرعون عبارة ملونة بمفهوم تعدد الآلهة ، وليس فرعون وحده هو الذى ذكر عنه الكتاب أنه نطق بأقوال حكيمة تفوق علمه (قارن يو ١١ : ٤٩ — ٥٢) . وتبين كلماته فى كلا العددين أن الإشارة التى فاه بها يوسف فى البداية (ع ١٦) قد أصابت الهدف .

عدد ٤٠ : بالنسبة لمغزى « على بيتى » انظر التفسير والحاشية على ع ٤٢ . والجزء الأخير من ع ٤٠ واضح أما الأول ففيه شيء من الصعوبة فى كلمة « يقبّل » فإما أنها كناية عن الولاء وكانت عادة متبعة عند اعتلاء العرش أو تقبيل التراب (بالانبطاح على الأرض) وهى أشبه بكناية مصرية قديمة[1] « على فمك » [عَلْ فِيكَ] تعنى « بأمرك » مثل ٤٥ : ٢١ .

عدد ٤٢ : منصب يوسف « على البيت » وثان فقط لفرعون (ع ٤٠) هو الوزير المدبر[2] « خاتمة » : خاتم الختم ، يعنى أنه مفوض بسلطان الملك ، مع أن هذا أعطاه حقا أكثر من المدبر الأعلى (انظر الحاشية) وثياب البوص (كلمة مصرية) كان لباس البلاط . وطوق الذهب ، علامة على التقدير الملكى وهى عادة كانت سارية منذ زمن بعيد . وكانت العادة أن يكون مكافأة لخدمات سابقة ، ولكنه أيضا مذكور فى تفاصيل ملبس « المدبر » فى أيام حكم سيثوس الأول (حوالى ١٣٠٠ ق . م) . ولكن قيمة منقوشات هذا الأخير (فى نقوش مقبرة) لأجل القاء ضوء على قصة يوسف مشكوك فيها حيث أن المناسبة كانت متأخرة عن ذلك بأربعمائة سنة .

عدد ٤٣ : مع أن هذه المراسيم لتكريم يوسف تبدو كعلامة على سمو الوظيفة (انظر الحاشية على ع ٤٢) إلا أن « المركبة الثانية » تعلن صراحة أن يوسف كان الرجل الثانى بعد فرعون ، فهو الوزير الذى جعله الملك على كل أرض مصر .

« اركعوا » وهى ترجمة الكلمة العبرية abrek ويبدو أنها مأخوذة من الأصل السامى ومستخدمة فى مصر . وهو نوع من آداب السلوك المسجل منقوشا على الآثار المصرية .

---

(١) قارن مز ٢ : ١٢ بالنسبة لقبلة الولاء ، مز ٧٢ : ٩ بالنسبة للانبطاح .

(٢) ولكن تشكك فى هذا و . أ . وارد الذى دلل على أن رفعة قدر يوسف كانت إدارية كناظر لمخازن غلال مصر العليا ، ومصر السفلى ، ووكيل أراضى التاج ، مباشرة تحت الملك وبحسب هذا الرأى هو أحد أهم الرؤساء فى الحكومة المصرية ، وبين نخبة النبلاء . وبهذا لا يكون الحامل الوحيد للختم الملكى ، وليس الحامل الوحيد للقب « أبى الله » (أى فرعون) المستنتج من ٤٥ : ٨ . وضد هذا الرأى ، انظر تفسير ع ٤٣ . من زاوية أخرى ، يبين ج . م . أ . جانش « عظماء الشرق القديم » أنه لاحظ عدم ذكر اسم يوسف ضمن المدبرين المعروفين ، ولكن فيرجوت يبين أن القليلين ممن كانوا فى زمن الهكسوس عاشت أسماؤهم .

عدد ٤٥ : ان إعطاء اسم مصرى للأجانب كان عملا متعارفا عليه لكن لا يوجد اتفاق على معنى « صفنات فعنيح » وهناك بعض التفسيرات المبنية على اللغة المصرية القديمة مثل « الله الذى تكلم والموجود » أو « الله الذى يعرف الأشياء »(١)

أما الأسماء أسنات ، فوطى فارع فهى أسماء مصرية وكلمة أسنات تعنى « منتمية » إلى الآلهة نات Neith أما الجزء الأخير من كلمة فارع فهو « رع » وهو إله الشمس الذى كان يعبد فى مدينة أون التى أطلق عليها اليونانيون اسم هليوبوليس أى مدينة الشمس . فمعنى فوطى فارع « الذى أعطاه رع » .

أعداد ٤٦ ــ ٥٧ : يوسف يبدأ الإدارة :

عدد ٤٦ : تساعد الملاحظة عن عمر يوسف على معرفة أجزاء قصة بدأت عندما كان عمره سبع عشرة سنة (٣٧ : ٢) ، وتصل إلى قمتها بعد ٩ سنين أخرى (٤٥ : ٦) أى أكثر من عشرين سنة منذ فارق إخوته . ويلذ لنا أن نقارن هذا مع طول الزمن الذى فات بين الوعد لإبراهيم وبين تنفيذه (١٢ : ٤ ، ٢١ : ٥) ، ومع طول الزمن الذى قضاه يعقوب فى خدمة لابان (٣١ : ٤١) . وكل من هذه التأخيرات كان مثمرا ، ولكن لا تشابه بين اثنين منهما سواء فى الشكل أو الغرض .

وأما أن يوسف « اجتاز فى كل أرض مصر » تقريبا تكرار لـ ع ٤٥ جـ ، وتنبر على همته الإدارية ؛ فهل استحثه على ذلك فرصة إطلاقه من السجن .

العددان ٥١ و ٥٢ : هذه الأسماء عبرية ، وليست مصرية ، وهى مناسبة لجانبى اختبار يوسف . فنجد مع منسى خليط من المشاعر التى لا زالت بداخل يوسف المتعلقة بنهاية فصل من حياته المعبر عنها بالعبارتين الختاميتين فى ع ٥١ ب . ومع أفرايم إحساس بالإنجاز مفرح بصورة أكثر ، وربما يعزى هذا الإحساس إلى مظهر إثمار الأرض فى تلك الآونة (قارن ع ٤٧) بحسب الوعد .

عدد ٥٥ : ربما يوجد صدى مقصود لهذه القصة عن المدبر الأعظم فى

---

(١) هذا الاسم مصرى ومعناه « مخلص العالم » ــ المترجم .

سجل يوحنا بالنسبة لكلمات مشابهة « مهما قال لكم فافعلوه » (يو ٢ : ٥) مما أدى إلى المعجزة فى قانا . فيمكن أن يستنتج يوحنا أن يوسف كان لأناس عصره ، كأنه — مع الفارق — يسوع للعالم .

العددان ٥٦ و ٥٧ : إن شدة المجاعة فى مصر — ذلك الشريط الضيق بين الصحارى — تظهر فى السجلات التى سجلت أضعاف ذلك بالإشارة إلى اضطرار الناس لأكل لحوم البشر . ولكن لأن فلسطين يرويها المطر ، ومصر يرويها النيل فنادرا ما يحدث فشل المحصول فى كليهما معا (قارن ١٢ : ١٠ ، ٢٦ : ١ و ٢) . ولكن هذه المرة منع المصيبة المضاعفة جهد رجل واحد فقط .

الأصحاح الثانى والأربعون

أعداد ١ ــ ٣٨ : إخوة يوسف يطلبون قمحا فى مصر :

أعداد ١ ــ ٥ : يعقوب يرسل الجميع عدا بنيامين : تبين خشونة كلمات يعقوب ، قوة شكيمته التى لم تضعف بل وتذكرنا بنصيحته الحارة لرعاة حاران منذ سنين كثيرة مضت (٢٩ : ٧) ؛ ويبين رفضه أن يرسل بنيامين بغاية الوضوح ، ما توجسه من خطر ، ويعكس قراره الحازم اتجاهه الفكرى عن مصير يوسف[1] ، وأن الحقيقة غير واضحة أمامه ، وبالنسبة لذنب إخوته فقليل من الشك باق . ويمكن لعين الأب أن لا ترى جريمتهم ، ولكنه يعرف أخلاقهم وشخصياتهم .

عدد ٥ : بالنسبة لاستعمال الاسم «إسرائيل» هنا ، انظر تفسير ٤٥ : ٢١ .

أعداد ٦ ــ ١٧ : المواجهة الأولى مع يوسف : تسود المشهد للوهلة الأولى معاملة خشنة حتى نهاية ص ٤٤ ، معاملة تتسم بالانتقام . هذا أمر طبيعى ولا يمكن أن يكون غير هذا ؛ ولكنه أبعد ما يكون عن الحقيقة . فإنه خلف تصنع الخشونة توجد العواطف الدافئة (٤٢ : ٢٤ ،... الخ) وبعد الامتحان رقة جارفة . حتى التهديدات كانت ممتزجة بالرحمة (قارن ٤٢ : ١٦ ــ ١٩ ، ٤٤ : ٩ و ١٠) والصدمات التى استخدمت اتخذت شكل الاحراج وليس الضربات . لو كان يوسف حقودا لكان بإمكانه أن يرعب إخوته بملء حقائبهم بأشياء فظيعة أو عذبهم برؤية الطعام فى وليمته دون أن يعطيهم ليأكلوا كما عذبوه من قبل (٣٧ : ٢٤ و ٢٥) ، وكانت هداياه المبهمة اختبارا كاشفا رقيقا . إن الحكم الصحيح على سياسته يمكن أن نلاحظه فى الاتجاهات الجديدة التى بدأت بين إخوته . فقد نجحت سياسة القسوة والرقة فى كسر شخصياتهم وانفتاحهم أمام الله .

عدد ٦ : « المسلّط » تنبر الكلمة على رئاسة يوسف المطلقة .

عدد ٩ : كانت ذكرى « الأحلام » أكثر من مجرد التثبيت ، فإن المشهد الحالى يعجز عن التعبير عن كمال الوعد ، وربما دفع هذا الأمر يوسف لأن يسعى

---

(١) أو أفكاره ، فإن الكلمة « قال » يمكن أن تستعمل عن كلمات منطوق بها أو أنه قال فى نفسه .

إلى حضور كل الأسرة وهذا هو ما بدأ يفعله « لتروا عورة الأرض » — أى لتعرفوا شئوننا الخاصة .

أعداد ١٨ — ٣٨ : ترك شمعون رهينة : إن القاءهم جميعا فى السجن مدة ثلاثة أيام برهان كاف على سلطانه كحاكم ، ومن منطلق هذا السلطان ، أظهر اهتمامه بعائلاتهم ، وأظهر أن دافعه هو « أنا خائف الله » ، وهذه الكلمات لابد أن تستحث أفكارهم (ع ١٨ — ٢٠) . وربما كان القرار الجديد تغيير فعلى فى فكره ، ففى أى الحالتين ، يظهر التأثير الصحى للتقوى على الإدارة . من مز ١٤ : ١ و ٤ يظهر العكس .

عدد ٢١ : صرخات الضحية « لما استرحمنا » لم تسمع فى ص ٣٧ ، لكنها هنا عادت تدوى فى الآذان التى تصاممت دونها من قبل . إذ أيقظ الشعور بالعقاب (ضيقة نفسه .. هذه الضيقة » — أيقظ المشاعر التى كانت قد تبلدت دون الإحساس بدموع الأخ والأب .

عدد ٢٤ : كان لابد من حجز الرهينة كضمان لرجوعهم ، وكان واضحا أن الاختيار واقع على شمعون أكبرهم بعد رأوبين .

عدد ٢٥ : سواء قصد يوسف أن يكتشفوا نقودهم عند أول وقفة أو عند وصولهم منزلهم (إذا كان « زاد الطريق » عبوة منفصلة) ، فقد برهن ذلك الاكتشاف أنه أبلغ تأثيرا مما فكر يوسف سواء قصد هذا أو ذاك . فقد تكررت الصدمة الأولى بل وأشد عندما وصلوا المنزل وبحضور يعقوب[١] .

صحا فيهم الشعور بالذنب من قبل (ع ٢١) مما جعل المجموعة ترى سريعا يد الله فى أفعال الحاكم ، ونتيجة لذلك جاء سؤالهم «ما هذا الذى صنعه الله بنا؟».

عدد ٢٨ : وهذا السؤال نموذج لرد فعل الضيق (قارن مثلا الحالة فى مز ٦٠) . على أن يعقوب لا يرى إلا الضيقة ذاتها . فإن تعبيراته (عدد ٣٦) من السهل فهمها ، ولكنها تدعو للتأمل من حيث كونها كلها متجهة لنفسه : « اعدمتمونى .. صار كل هذا علىّ » . وقد وضع نفسه فى موقف دفاعي بل انتحارى فى ع ٣٨ ، ٤٣ : ١ — ١٠ .

---

(١) فى ٤٣ : ٢١ يلخص الإخوة القصة للوكيل الذى يرى فى المرحلتين من القصة تجنباً للحقيقة .

عدد ٣٧ : بالنسبة لعلاقة عرض رأوبين ، وعرض يهوذا (٤٣ : ٨ ـــ الخ) انظر الملاحظة الإضافية أدناه .

عدد ٣٨ : « الهاوية » فى استعمالها هنا تعبر عن جوهر التشاؤم ، الذى يحتوى على فكرة عدم الراحة حتى عند الموت . وقد تركت الكلمات تأثيرا عميقا .

ملاحظة إضافية على ص ٤٢

تعتبر المدرسة الفكرية التى تقول بأن خلف قصة يوسف تقليدان [١] ـــ أنه من ص ٣٩ وما بعده لا يتحد التقليدان بل يتناوبان . ويعتقد أن المحرر اتبع تقليد (J) فى ص ٣٩ ، (E) فى ٤٠ ـــ ٤٢ (عدا العدد الأخير) ، j فى ٤٣ و٤٤ (+ ٤٢ : ٣٨) ، (E) مرة أخرى فى ٤٥ ـــ ٤٦ = ٥ ، ولكن من حين لآخر ينقلون عبارة من سجل إلى الآخر أو بالعكس .

هذا التحليل يجافى المقياس اللغوى المعتاد حيث أنه من ص ٤٠ وإلى آخر سفر التكوين يرد اسم العلم يهوه مرة واحدة فى (٤٩ : ١٨) وهذه الفصول منسوبة إلى (J) رغم أنها تستخدم [الوهيم] وهى من خواص (E) حسب نظريتهم (بل وتستخدم أيضا اللفظ المنسوب إلى (P) وهو [إيل شداى] فى ٤٣ : ١٤ ، ٤٩ : ٢٥) . كذلك يمزق تحليلهم دليل آخر هو الأسماء يعقوب وإسرائيل وعدة مرات فى ص ٤٢ ـــ ٤٦[٢] . لذلك فالاتجاه هنا ذاتى أساسه الاقتناع بافتراض تقليدين فى ص ٣٧ ويجب أن يستمرا تاركين آثارا للازدواج والاختلاف بينما حاول المحرر جاهدا أن يمزجهما معا .

لذلك فإذا كان تحليلهم يجعل (E) تبدأ منذ حادثة شمعون ، فأى إشارة إليها فى (J) يعتبرونها فى غير مكانها ويجب أن تستبعد ، وصمت [٣] (J) الذى يأتى بعد ذلك عن هذا الموضوع ، يعتبر اختلافا مهما ، أو حين يخبر يهوذا وإخوته إسرائيل فى ٤٣ : ٣ ـــ الخ (قا ٤٤ : ١٩) ، أن سيد الأرض

---

(١) انظر الملاحظة الإضافية ـــ لـ ص ٣٧ .

(٢) الفصول التى وزعوها على (E) بها يعقوب ٨ مرات وإسرائيل ٥ مرات ، والفصول التى نسبوها إلى (J) بها إسرائيل ٣ مرات ، ويعقوب مرة واحدة .

(٣) قارن ما يقوله فون راد ص ٣٧٧ ـــ الخ من أن « ص ٤٣ : ١ ـــ الخ لا يعرف شيئا عن كل ما يختص باعتقال شمعون » بالرغم من ٤٣ : ١٤ و ٢٣] .

استخرج منهم تاريخ أسرتهم بواسطة استدراجهم بالأسئلة ، فإن هذا يعتبر غير موافق لـ ٤٢ : ٧ — الخ ، حيث يظهر أنهم أعطوا المعلومات طوعا فى دفعهم عن أنفسهم تهمة التجسس . وحتى الرد الأساسى بأن هذه الفصول تقدم خلاصة ختامية للمقابلة ، لا يعتبرونه ، ويفترضون أننا لا نعرف ماذا « حدث » ، لدينا فقط القصص التى كانت أمام المحرر[1] . ويعاملون قصة النقود والقمح بنفس الطريقة . فإن لم يلاحظ النقود إلا واحد هو الذى فتح كيسة فى الطريق فهذا لا يمثل مشكلة ، وكون الإخوة يلخصون روايتهم للمرحلتين فى اكتشاف النقود (٤٣ : ٢١) أو طبيعى جدا . ولكنهم صيروا هذا الأمر قضية . وقالوا فى (J) إنهم قد علموا بأمر كل النقود فى الطريق ، وفى (E) عرفوها فى المنزل . كذلك لابد أن تكون فكرة اكتشاف واحد لهذا الأمر ، بداية رواية (J ،) وقد سلبت من ختامها وأدخلت فى (E) لكى تتوسط بين المتعارضين[2] .

ومع ذلك فلننظر إلى الاختلافين الرئيسيين اللذين تصيدوهما وهما فى دور شمعون ، وفى دور رأوبين ويهوذا .

أ — **شمعون** سبقت الإشاره أعلاه أنهم قالوا لم يظهر شمعون إلا فى (E) (٤٢ : ١٩ و ٢٤ — الخ) . فى اجتماع الأسرة (٤٣ : ١ — ١٤) بحسب (J) كان موضوع المناقشة الجوع وليس الرهينة — هذا كان ادعاء محللى الفصل الكتابى ، والشخص الأول فى تفكير إسرائيل هو بنيامين وليس شمعون .

على أن هذا الرأى مفتعل . لأنه واضح أن المشكلة نشأت من إخراج ص ٤٣ من قرينته . فى القصة الكتابية كما هى دون تشويه المحللين لها ، توقع الإخوة أن يعودوا فوراً لشمعون بصحبة بنيامين ، ولكنهم منعوا من ذلك (٤٢ : ٣٣ — ٣٨) ، وكان ضغط المجاعة فقط هو ما فتح المسألة من جديد (٤٣ : ١ — الخ) وهذا التتابع ليس فقط متوافقا ، بل أيضا يوفق كلا الحقيقتين

---

(١) يورد الكاتب اقتباسات نقدية تهاجم السفر والرد عليها فى نص الكتاب .

(٢) الكلمة العبرية المزعومة لـ « عدل » [أمتحت] موجودة فى هذه الرواية ٤٢ : ٢٧ و ٢٨ وكذلك [متق] التى ينسبونها إلى (E) وكذلك أيضا الكلمة التى تعنى الله [إلوهيم] والتى ينسبونها إلى (E) فلغويا يتوازن الميزان . ووجود المترادفين معا فى عدد واحد يفشل محاولاتهم لأن يجعلوا من القصة تقليدين متعارضين .

تشبث يعقوب ، وإلحاح المجاعة .

كذلك هذه مشكلة مفتعلة بمعنى آخر بحسب ٤٣ : ١٤ ذكر شمعون فى المناقشة . لذا فهذا الأصحاح لا يمكن القول إنه « لا يعرف شيئا عنه » ، بإسكات الدليل (بلا دليل كتابى من النص) ثم التقدم لإسكات شاهد آخر فى ع ٢٣ أنهم دفنوا خاتمة قصة شمعون ، ولكن فى القبر غير الصحيح . فكيف يسجن فى (E) ثم يطلق فى (J) (٤٣ : ٢٣) . لقد كان شمعون دائما ثائرا !! ومرة أخرى يجب أن يضعوا ما ينسبونه إلى النص لكى يتلاءم مع نظريتهم .

ب — رأوبين ويهوذا : بحسب ذلك « التحليل » يرون أن (E) يجعل رأوبين (٤٢ : ٣٧) هو ضامن بنيامين . بينما (J) يعطى هذا الدور ليهوذا(٤٣ : ٨ — ١٠) وهكذا اختار المصدر الشمالى (E) السبط الشمالى ، والمصدر الجنوبي (J) السبط الجنوبى . ولكن بحسب هذه النظرية لا يعرض رأوبين هذا العرض فقط بل هو « مقبول » إذ يصمت (E) . كما أن يهوذا مقبول فى (J) وبدلا من مرحلتين يصير لدينا قصتان متصارعتان .

العجيب هو ما آل إليه طلب رأوبين من رفض يعقوب له رفضا مخيبا للآمال (٤٢ : ٣٨) . ويأتى جواب المحللين ببتر هذا[1] وإدخاله فى الأصحاح التالى (بعد ٤٣ : ٢) لكى يتركوا رأوبين بلا جواب ، ومن ثم فهو مقبول . ومرة أخرى لا يوجد سند لغوى للابدال . وفى هذه المرة قد قلب المعنى تماما .

هنا أيضا يخلق الخلاف بلا مسوغ وحيث لا تتوافق معهم المواد . فمن الطبيعى والموافق للظروف ولشخصية يعقوب أن يرفض عرض رأوبين والمقدم فى زمن غير موفق — وبالذات من رأوبين الذى لا يثق به يعقوب (٤٢ : ٣٧ و ٣٨ قارن ٤٩ : ٤) وأن يقبل عرض يهوذا (٤٣ : ٨ — الخ) عندما غلبته المجاعة على أمره . وكان من المنطقى أن يتدخل ابن آخر فى المرة الثانية . ومما يتفق مع هذا أن هذين الابنين صارت لهما القيادة بالنسبة للبقية ، مثلما فى ص ٣٧ . ويقطع هذه الحلقة المحكمة كان لابد أن يكون هناك دليل قاطع .

---

(١) ولكن سبايزر ينشق عليهم فى هذا الرأى (تك ص ٣٢٣) .

لا يوجد موضوع آخر يقابل هذا الكم من الأدلة ضد تكامل القصة .
ويمكن للقارىء أن يسأل نفسه أى الرأيين عن النص يتطلب أقل تبرير معقول
أو يعتبر أكثر إقناعاً وإظهاراً لقوة القصة وحيويتها ؟ .

الأصحاح الثالث والأربعون

أعداد ١ ــ ٣٤ : الزيارة الثانية لمصر :

أعداد ١ ــ ١٤ : يهوذا يضمن سلامة بنيامين : موقف إسرائيل السلبى المتذمر ، موقف طبيعى ، فقد كان تأنيبه هروبا من اتخاذ القرار الذى يخشاه وتقوية بقيمته فى نظر نفسه . ولكن في إصراره على رفض طلب المسيئين إليه عرض نفسه كما عرضهم للخطر .. بما فيهم بنيامين المحبوب الذى يجب أن يفقده لكى يخلص (قا ٢٧ : ٤١ ــ ٤٦) . إن فى هذا تَخَلٍّ عن انشغاله بنفسه إذ كان يرى فى تهديد بنيامين تهديدا له : « لماذا أسأتم إلى .. » (ع ٦ قارن ٤٢ : ٣٦) .

إن التغلب على صعوبة هذا الموقف يعلمنا : أن ضغط المجاعة القاسى (قارن هو ٥ : ١٥) والمبادأة الشخصية الحارة من جانب يهوذا ــ كانا ضروريين ليدعم أحدهما الآخر . وهكذا أفلح يهوذا فيما فشل فيه رأوبين (قارن ٤٢ : ٣٧ ــ الخ ، والملاحظة الإضافية بعد ذلك الأصحاح) .

عدد ٧ : انظر الملاحظة الإضافية السابقة لكى تتضح لك هذه اللمحة عن المقابلة مع يوسف .

عدد ١١ : أما « الهدية » فقد كانت مجاملة لابد منها ، للتقرب من شخص ذى مكانة (قارن مثلا ١ صم ١٦ : ٢٠ ، ١٧ : ١٨) .

عدد ١٤ : « الله القدير » [إيل شدّاى] اسم يعيدنا إلى ذكرى العهد مع إبراهيم بصورة خاصة (١٧ : ١) ، ومن ثم فهو يعيدنا إلى قصد الله الثابت من أجل عائلته .

ولتفسير ما يتضمنه هذا الاسم ، وكذلك لتوضيح الإشارة إلى شمعون كأساس نقدى ، انظر الملاحظة الإضافية السابقة .

أعداد ١٥ ــ ٣٤ : ضيوف يوسف الأحد عشر : هنا تلميح إلى سذاجة مخاوف إخوة يوسف (ع ١٨) فظنوا أن مصر ، مثل بعض العشائر الصغيرة ــ تتآمر لتسلبهم حميرهم . إنها ترينا أى المفارقة بين ساكنى الخيام والبيئة الجديدة من حولهم .

عدد ٢٣ : لم يبح لهم الوكيل بأنه قد دس النقود لهم ، إنه أكد لهم فقط أن النقود قد سلمت بأمان ، وأشار إلى أن النقود التى وجدت لابد أنها من السماء ــ ولابد أن يعرف القارىء أنه صحيح بمعنى ما لازال خافيا عنهم .

أطالت المنازعات حول موضوع بنيامين اعتقال شمعون ، لمدة أقل من عامين (قارن ٤٥ : ٦) . وعن ذكر إطلاقه انظر الملاحظة الإضافية على ص ٤٢) .

أعداد ٢٦ ــ ٢٨ : وأما عن السجود المتكرر ، فهذا إتمام آخر (لنبوة الأحلام) : قارن ٤٢ : ٦ و ٩ .

عدد ٣٢ : كما يبين ج . فيرجوت ربما كان التحامل ضد الأكل معهم طقسيا وليس اجتماعيا (مثلما يظهر فى ٤٦ : ٣٤) حيث أن الأجانب يمكن أن يقال عنهم إنهم ينجسون الطعام . وتوجد أدلة كثيرة على ذلك فى فترة تالية ، بالنسبة لموقف المصريين من اليونانيين ، أشبه برفض اليهود أن يأكلوا مع الأمم .

عدد ٣٣ : كان للدقة غير المفهومة بالنسبة لترتيب جلوس الإخوة ، دورها فى خطة يوسف لكى يزيد من إحساسهم بعدم الارتياح لتدخل العناية ، التى يتعرضون لها .

عدد ٣٤ : بالنسبة لهذه المجاملة الخاصة قارن ١ صم ٩ : ٢٤ ، وقارن عكسها يو ١٣ : ٢٦ و ٢٧ .

الأصحاح الرابع والأربعون

أعداد ١ ــ ١٧ : اعتقال بنيامين :

نجحت من قبل خطة يوسف الرائعة فى إجراء ما قصده منها من خلق مواقف وتوترات . وأما الآن ، فيصل إلى الضربة القاضية . فمثل حكم سليمان ، كان التهديد الواقع على بنيامين ضربة للقلوب ، ففى لحظة تكشف كل شيء عن الإخوة . وحينما غير الوكيل التحدى الذى نطقوا به فى ع ٩ إلى حرية لهم على حساب بنيامين ، أتاحت كل الأحوال لهم فرصة ثانية للغدر ، وبطريقة ملحّة إلى أبعد حد ــ من أجل حريتهم ــ كان هذا لهم مكسبا أكثر كثيرا جدا من العشرين من الفضة التى تقاسموها مرة قبل ذلك . فبإجماع آرائهم (ع ١٣) وصراحتهم (ع ١٦) ومثابرتهم (إذ أن العرض جاءهم للمرة الثانية فى ع ١٧) ، بما يبين تماما أن التأديب قد أفلح فيما قصد منه . وتضرع يهوذا أن يسجن عن بنيامين من أروع التضرعات المؤثرة (انظر تفسير ع ١٨ ــ ٣٤ أدناه) .

عدد ١ : تبين تكملة القصة أن « الفضة » فى هذه المرة لم تكن هى موضوع الاتهام لكن أضيف شيء يدل على أنهم يجازون الخير بالشر (ع ٤) بسرقة الكأس ، وظهر الآن بعد التصريح فى ٤٣ : ٢٣ والوليمة التى بعد ذلك ، أن الحاكم قد دفع أعوانه لمعاملتهم كضيوف ــ تكريم خطير من طاغية .

عدد ٥ : لأن الكأس يستعمل باستمرار للشرب ، فهذا يبرز حماقة توقع عدم اكتشاف السرقة .. وإذا كان الكأس يستعمل للعرافة فإن هذا يضاعف من قدره . على أن فيرجوت[١] يبين أن العبارة « وهو يتفاءل به » يمكن أن تترجم « ولقد تكهن بهذا » (أى بسرقة هذا الكأس) . إن هذا الاختلاف الطفيف يضيف معنىً واضحاً لـ (ع ١٥) حيث يكون المعنى « هل فكرتم أنكم لا تكتشفون ؟ » . كذلك ترد على الاعتراض بأنه لم يظهر ما يدلل على أنه فى تلك الفترة كانت عرافة باستخدام كأس فى مصر .

العرافة غريبة عن إسرائيل أساسا ، سواء كانت بتفسير معان لحركات السوائل فى كأس (أو أى الأشكال الاعتسافية قارن حز ٢١ : ٢١) أو عن

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٢ ــ الخ . حيث طوّر فكر أ . فان . هوناكر .

طريق نوع من التحديق فى بللورة . ذلك أن إسرائيل يعلن له الله مشيئته بوضوح كما أجبر بلعام أن يشهد : « إنه ليس عيافة على يعقوب ولا عرافة على إسرائيل . فى الوقت يقال عن يعقوب وعن إسرائيل ما فعل الله (عدد ٢٣ : ٢٣) . ما لم يكن هذا كجزء من موافقته المتصنعة ، فإن يوسف هنا اتخذ طابع المصريين فى شأن لا يوجد فيه حكم ناموس بعد .

عدد ١٥ : انظر تفسير ع ٥ .

عدد ١٦ : لاشك فى وجود تورية فى الكلمات « الله قد وجد اثم عبيدك » كما تبين كلماتهم من قبل صحوة ضميرهم فى ٤٢ : ٢١ و٢٢ و ٢٨ .

أعداد ١٨ ــ ٣٤ : تشفع يهوذا :

لا تعتمد هذه المرافعة النبيلة على تحريك العواطف فقط ، فلقد جمع يهوذا حقائق لها وزنها يذكر بها يوسف (ع ١٩ ــ ٢٣) ، أضاف إليها وصفاً مؤثراً (ع ٢٠ و ٢٤ ــ ٢٩ و ٣٠ ب) واهتماما غير ذاتى مقنعا للغاية إذ أنه لا يرجو الرحمة بل يرجو أن تعطى له الفرصة لكى يتألم آلاماً نيابية (ع ٣٠ ــ ٣٤) ويماثل هذا التشفع فى روحه تشفع موسى (خر ٣٢ : ٩ ــ ١٤ و ٣١ ــ الخ) إلا أن ذلك قدمه البرىء من أجل المذنب .

عدد ٢٠ : « صغير » ــ كان بنيامين على الأقل له من العمر عشرون سنة بل ربما فى الثلاثين ، حيث أن يوسف فى هذا الوقت كان فى حوالى الأربعين من عمره (قارن ٣٧ : ٢ ، ٤١ : ٤٦ و ٥٣) ، أنظر ايضا ٤٦ : ٢١ والتفسير .

عدد٢٩ : انظر تفسير ٤٢ : ٣٨ .

عدد ٣٠ : « نفسه فيه » تعبير بليغ ، ويرد ثانية فى ١ صم ١٨ : ١ عن ولاء يوناثان لداود .

الأصحاح الخامس والأربعون

أعداد ١ ــ ١٥ : يوسف يعرف نفسه :

حقيقة هامة كانت بالنسبة ليوسف كالنور الهادىء هى الثقة أن مشيئة الله وليست مشيئة الانسان ، هى المتحكمة فى كل الأحداث ؛ وهذه الحقيقة هى السر فى ما يدهشنا من غياب الحقد من حياته (انظر تفسير ع ٥) . هذا هو اللاهوت التطبيقى ، أى الحق الإلهى الذى يحرر الإرادة ، ويوجهها نحو الجهد البناء ، ويوجه العواطف نحو المشاعر الشافية . فى هذا الفصل نرى المشاعر القوية ، والحجة الروحية المعقولة تتممان عمل المصالحة التى استدعت قساوة الجراح فى كل المراحل السابقة . لقد كان هذا واجب الرجل السوى ، يدعمه الاقتناع والصبر ، وليس مجرد الدوافع .

عدد ٣ : « أحيٌّ أبى بعد ؟ » بعد كل ما قاله يهوذا يوضح السؤال أن الحياة كما يراها العهد القديم ــ تحوى فكرة التمتع بالصحة ، والخير (كما فى ع ٢٧ « عاشت » تعنى ذات المعنى . قارن أيضا لا ١٨ : ٥ ، تث ٨ : ٣ ، أم ١٤ : ٣٠ ، جب ٢ : ٤ ... ، الخ) .

عدد ٤ : إشارة يوسف إلى « البيع » ، مناسبة تماما لهذه اللحظة الحرجة ، ولكنها تبدو مزعجة تماماً أمام التحليل النقدى. انظر الملاحظة الإضافية بعد ص ٣٧.

عدد ٥ : والقول « ... بعتمونى ... أرسلنى الله ... » إحدى العبارات الكلاسيكية عن العناية الضابطة . هذه هى الواقعية الكتابية : الرؤية الواضحة لجانبى كل حدث ــ من جهة إساءة المعاملة الإنسانية (يضاف إليها الطبيعة العمياء) ، ومن جهة أخرى مشيئة الله الكاملة ؛ وهى ما نركز عليها وحدها باعتبارها سبب كل نتيجة . وقد تمثلت هذه الحقيقة فى جثسيمانى ، حيث تقبل يسوع خيانته وتسليمه باعتباره « الكأس التى أعطانى الآب » (يو ١٨ : ١١) قا ع ٨ ، ٥٠ : ٢٠ ، مز ٧٦ : ١٠ ، أع ٢ : ٢٣ ، ٤ : ٢٨ ، ١٣ : ٢٧ ، رو ٨ : ٢٨ ، فى ١ : ١٢ .

عدد ٦ : بالنسبة لهذه الملاحظة الزمانية ، انظر تفسير ٤١ : ٤٦ .

عدد ٧ : مع أن كل الأسرة عاشت ، تأتى كلمات يوسف « بقية » ، « نجاة عظيمة » ، لكى تؤكد الخطر الذى نجوا منه ، وهذا مثال من عدة أمثلة

للأزمات فى العهد القديم التى توضح الدينونة والخلاص .

عدد ٨ : « ليس أنتم ... بل الله » أحد الاصطلاحات الكتابية ، الغير محدودة المدى عن حقيقة العناية . يرد هذا الأسلوب الكتابى « ليس .. بل » ، « لا .. بل » فى يو ٦ : ٢٧ ، ١٥ : ١٦ . كذلك انظر أسلوب الألفاظ المتناقضة فى هو ٦ : ٦ .

العبارة « أبا لفرعون » أحد ألقاب المدبرين المرموقة ، وكذا كبار الرسميين . ويفسرها ج . فيرجوت على أنها « مشير الملك » انظر أيضا حاشية ٤١ : ٤٢ .

عدد ٩ : تأمل أن يوسف يرسل رسالة إلى أبيه يبدأها بجملة مركزها الله .

عدد ١٠ : « جاسان » اسم مكان لازال غير معروف بالنسبة للآثار المصرية ، ولكن ٤٧ : ١١ يعطينا الاسم الذى أطلق عليه فيما بعد : « أرض رعمسيس » . إذا وضعنا هذا الاسم إلى جانب كون هذه البقعة خصيبة (٤٧ : ٦) ، وقريبة من يوسف وهو فى البلاط ، فإن هذا يدل على أن هذا كان فى الجزء الشرقى من دلتا النيل بجوار تانيس عاصمة الهكسوس(١) ، ملوك القرن السابع عشر ق . م ، واتخذها الملوك الذين سموا باسم رمسيس فى القرن الثالث عشر ق . م عاصمة . لهم وهما الفترتان اللتان عاش فيهما يوسف ثم موسى على الترتيب .

أعداد ١٦ ــ ٢٨ : فرعون يرسل يستدعي إسرائيل :

من أجل يوسف قدمت الدعوة الملكية لإسرائيل الذى قارب رجاؤه أن يخيب ، ولعشرة إخوة مثقلين بالشعور بالذنب . لابد أن يذكرنا هذا كمسيحيين بالدعوة الإلهية « تعالوا .. فأعطيكم ... » (قارن ع ١٨) بما تحمله هذه الدعوة الإلهية من ترحاب وتحد . ولكن من الوجهة التاريخية هذه هى نقطة تحول من نوع آخر سبق التنبؤ بها من زمن طويل (١٥ : ١٣ ــ ١٦) فهى بدء لطور اغتراب (حيث تعيش الأسرة ، غريبة تماما ، ولكنها

---

(١) الهكسوس (رؤساء أقطار الأجانب) كانوا غزاة ساميين سادوا مصر من ١٧٢٠ ــ ١٥٨٠ ق . م . وبعد طردهم وحتى تكوين الأسرة ١٩ حكم الفراعنة مصر من عاصمة أخرى هى طيبة على بعد ٤٠٠ ميلا إلى الجنوب .

تتكاثر دون أن تفقد هويتها) ، وأخيرا عبودية وخلاص ـــ الأمور التى تنتج شعبا يعرف عن نفسه أنه مفدى علاوة على أنه مدعو .

عدد ٢١ : « الاسم إسرائيل » شذوذ على قاعدة الناقدين إذ ينسبون الفصل إلى المصدر (E) حيث يجب أن يرد الاسم يعقوب (انظر الملاحظة الإضافية) ربما يصلح الاسم الجمعى « بنو إسرائيل » هنا وليس فى ع ٢٨ ، ويظهر ضعف النظرية بصفة خاصة فى ٤٦ : ٢

عدد ٢٤ : وكانت وصية يوسف لهم قبل افتراقهم وصية واقعية ، حيث أن الجريمة القديمة ستنكشف أمام أبيهم ولاشك أنهم سيتبادلون التهم (قارن ٤٢ : ٢٢) .

الأصحاح السادس والأربعون

أعداد ١ ــ ٧ : بركة الله على الرحلة :

عدد ١ : يعين المكان وشخصية يعقوب ما يدور بخاطره ، فإن بير سبع كانت مركز العبادة الرئيسى لوالده اسحق . وفى ندائه لله باعتباره « إله أبيه » ، فإنه كان يعود بذاته إلى « دعوة » أسرته ، وضمنا يطلب الإذن بترك كنعان . وهكذا يختلف سلوكه عن سلوك ابراهيم فى (١٢ : ١٠ ــ الخ) .

عدد ٢ : انظر تفسير ٤٥ : ٢١ .

العددان ٣ و ٤ : كان فى جواب الله رد على اهتمام يعقوب (انظر أعلاه) ، وزاد أمر جديد إلى تفصيلات الوعد القديم الذى قدمه له فى بيت إيل ، وهو أن نمو الأمة سيتم فى مصر . (« هناك ») (ع ٣) . إن الله لا يحد بمكان محلى . ووعد كنعان لازال باقيا (قارن رو ١١ : ٢٩) . وكانت مصر على المدى الطويل خطوة نحو تحقيق الوعد كما صرح الله لأبرام فى ١٥ : ١٣ ــ الخ .

لاحظ المقصود بضمير المخاطب : (كـ) فى العبارة المتوسطة فى ع ٤ ــ باعتباره شعبا أى : أنا أنزل معك (كشعب) إلى مصر وأنا أصعدك (كشعب) أيضا . أما الأخيرة (عينيك) فقصد بها شخصه . لا يوجد فارق لفظى بين الاثنين لكن الحدود هى فى المعنى الذى يحدث تغييرا فى التفسير مثلا فى فصول « العبد » فى إشعياء حيث أحيانا يقصد المجموع (الشعب) وأحيانا الفرد (المسيح) .

وربما قصد بالإشارة إلى يوسف فى العبارة الأخيرة أن يغلق له عينيه عند موته ــ الأمر المخالف للنهاية المزعجة . التى توقعها لنفسه فى ٣٧ : ٣٥ .

أعداد ٨ ــ ٢٧ : أسرة يعقوب المكونة من سبعين :

ترتب هذه القائمة الأسرة إلى مجموعات ليئة ، وراحيل : أولا نسل ليئة وجاريتها زلفة (٣٣ + ١٦) ثم نسل راحيل وجاريتها بلهة (١٤ + ٧) . هذا يجعل المجموع سبعين بحسب المجموعات الجزئية فى ع ١٥ و ١٨ و ٢٢ و ٢٥ . ولكن يجب أن تزاد دينة فيكون الجميع واحدا وسبعين . وهناك خمسة أسماء محذوفة (هى عير ، أونان ، وقد دفنا فى كنعان ع ١٢ ثم يوسف ومنسى

وأفرايم الموجودون فى مصر من قبل ع ٢٠) فنصل إلى أن عدد ذرية يعقوب الذين سافروا معه فعلا (٦٦ ع ٢٦) . ثم يزيد ع ٢٧ ابنى يوسف ، ويوسف ذاته ضمنا ، ويعقوب . هذه « جميع أنفس بيت يعقوب » الذين وصلوا إلى مصر عاجلا أو آجلا فى القصة . ومع أن الكنات أعضاء فى الأسرة لم يحسبن فى هذا المجموع ، الذى يشير إلى نسل يعقوب فعليا (ع ٢٦) .

عدد ٩ : بالنسبة لاسم « حنوك » انظر معناه فى تفسير ٤ : ١٧

عدد ١٢ : تاريخ أسرة يهوذا وارد فى ص ٣٨ .

عدد ٢١ : كان لدى بنيامين من قبل عشرة أبناء مما يتفق مع دلائل عمره ، انظر تفسير ٤٤ : ٢٠ . ومع ذلك فمن سفر العدد ٢٦ : ٣٨ — ٤٠ ، ١ أى ٧ : ٦ — الخ ، ٨ : ١ — الخ يظهر أن بعض هذه الأسماء أحفاد ، يحتمل أنهم أضيفوا بحسب التوقع (قارن عب ٧ : ١٠) .

العددان ٢٦ و ٢٧ : بالنسبة لهذين المجموعين انظر التفسير الافتتاحى لهذه الفقرة .

أعداد ٢٨ — ٣٤ : يوسف وأبوه يجتمعان ثانية :

عدد ٣٠ : كانت كل كلمات يعقوب المسجلة منذ ٣٧ : ٢٥ ، عن الموت واستمرت بعد ذلك ، ولكن بدون مرارته بعد نقطة التحول فى ٤٥ : ٢٨ ، فقد حل محلها إحساس الوفاء والرجاء .

عدد ٣٤ : فسرت كراهية المصريين للرعاة بسبب الذكريات المرة عن حكم الهكسوس وسموهم « الملوك الرعاة » . وقد نشأت الكراهية — بعد طردهم . ولكن هذا التفسير لإسمهم يبدو أنه راجع لعدم الفهم من جيل متأخر ، وربما كانت فترة حياة يوسف ضمن حكمهم وليس بعده[1] والتفسير الأرجح هو ما قاله ج . فيرجوت[2] وهو شعور الحضريين عن البدو أو الغجر . فرأى يوسف أن ينبر على هذا حتى يضمن أن يكون رضى فرعون فى صالح الأسرة . فإنه ليس من صالحهم أن يستبقيهم فى العاصمة ليحيوا حياة غريبة عنهم .

---

(١) انظر الحاشية على ٤٥ : ١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٨ و ١٨٩ .

الأصحاح السابع والأربعون

أعداد ١ ــ ١٢ : أسرة يوسف أمام فرعون :

عن طريق نصيحة يوسف الحكيمة فى ٤٦ : ٣٣ ــ الخ ، عرف أخوته ما يريدون ولم يخفوا ماهيتهم ، وقد كانت المقابلة نموذجا حسنا للمعاملات السليمة المسالمة بين شعب غريب والسلطة الدنيوية (قا ١ بط ٢ : ١١ ــ ١٧) .

أما بالنسبة ليعقوب ، فقد كانت هيبته راجعة لكبر سنه ، ولم تؤثر فيه هيبة الملك (ع ٧ ب و ١٠ قارن عب ٧ : ٧) . بدا هادئاً رزيناً له رأيه الخاص عن الأحداث بعقد مقارنات كئيبة عن الماضى . قدم سيرة مختصرة دقيقة .

عدد ١١ : « أرض رعمسيس » الاسم المتأخر ، وقد شاع استعماله فى أيام موسى (قارن خر ١ : ١١) وهو اسم آخر لجاسان . بالنسبة لموقعها انظر تفسير ٤٥ : ١٠ .

أعداد ١٣ ــ ٢٧ : سياسة يوسف الاقتصادية :

كان من بديهات العالم القديم أن يدفع الإنسان أى شىء يملكه بما فى ذلك حريته أخيرا . وقد قبل الناموس الإسرائيلى المبدأ مع شىء من التحوير بإيجاد حق الفداء (لا ٢٥ : ٢٥ ــ الخ) . لذلك كانت خطط يوسف رائعة وبصفة خاصة من حيث أنها فى صالح الملك . وقد قيل إنه استخدم الوسائل التجارية ؛ فاشترى فائض الغلة بالمال الملكى فى سنى الشبع[1] . ولكنه ببساطة فرض ضريبة كما أوصى فى البداية ٤١ : ٣٤ وبسلطان .

عدد ١٩ : قال أ . هـ . جاردنر يعلق على فرعون متأخر : « يوجد دليل واضح على أنه اعتبر نفسه مالك لكل الممتلكات المصرية مهما كانت . ويقول ك . أ . كتش عن إنجازات يوسف « صيرت سياسة يوسف الاقتصادية فى تك ٤٧ : ١٦ ــ ١٩ مصر واقعيا ، ما كانت عليه دائما فى النظريات ،

---

(١) هكذا رأى فيرجوت ص ١٩٢ ــ وهو بهذا يثبت رأيه بأن يوسف لم يكن سوى مدير لممتلكات التاج . ولكن انظر تفسير ٤١ : ٤٣ .

صارت الأرض ملكا لفرعون ، وصار سكان مصر ، مجرد مستأجرين لأراضيه » .

عدد ٢١ : « نقلهم إلى المدن » ربما يوافق هذا الحالة التى كانت تستدعى نظام توزيع أبسط . ومن الجهة الأخرى كان العلاج فعالا ، لدرجة أنه « جعلهم عبيدا لفرعون » وهم راضون قائلين « فنصير نحن وأرضنا عبيدا لفرعون » (ع ١٩ و ٢٥) وكذلك فى توزيع « بذار فتزرعون الأرض » (ع ٢٣) .

عدد ٢٢ : جدير بالذكر أن هذا الفصل يتحدث عن إعفاء الكهنة من ضرائب المحصول ، ولكن لا إعفاء من أنواع أخرى من الضرائب .

أعداد ٢٨ ــ ٣١ : يعقوب يعين مكان دفنه :

قال ر . مارتن ارتشرد : « يظهر أن الإسرائيلى عند موته لا يهتم بالعالم المجهول الذى هو ذاهب إليه بقدر اهتمامه بمستقبل شعب الله » وسيتضح هذا وضوحا مباشرا فى الأصحاحين التاليين ، أما هنا فيظهر بصورة غير مباشرة فى إحساس يعقوب أنه يجب أن يذهب إلى حيث ينتمى ، ومكان انتمائه ليس مصر حيث يوسف ، ولا بين النهرين التى جاء منها أسلافه ، بل الأرض الموعودة «لإبراهيم ولنسله إلى الأبد» قارن التفسير الافتتاحى لـ ص ٢٣ ، ٤٨ .

عدد ٢٨ : بالنسبة لطول عمر الآباء انظر تفسير ١٢ : ١٤ .

عدد ٢٩ : بالنسبة لوضع اليد تحت الفخذ قارن ٢٤ : ٢ .

عدد ٣٠ : « ... بل أضطجع مع آبائى . فتحملنى ... » يظهر هنا إحساس قوى بأن الاتحاد مع الأسبقين مرموز إليه بالدفن فى مقبرة الأسرة وليس حادثا بهذا . فإن يعقوب قد انضم إليهم قبل أن يوضع جسده مع أجسادهم قارن تفسير ٢٥ : ٨ .

عدد ٣١ : « السرير » هذا هو معنى الكلمة العبرية [مِطًّا] ولكن السبعينية ، (ويقتبسها عب ١١ : ٢١) تترجم ذات الحروف (بقراءتها بحركات أخرى [مَطِّى] = « عصا » ، وبينما النسخة المازوريتية وكذلك السبعينية كلاهما بهما كلمة « سرير » فى ٤٨ : ٢ ، فإن المناسبة الحالية تروى عن يعقوب أنه قبل مرضه (قارن ٤٨ : ٢) ، فعل ذلك ، وربما كلمة

« عصا » هى المعنى المقصود . فقد يكون من المناسب أن يذكر هذا كرمز لغربته (قارن كلماته الشاكرة فى ٣٢ : ١٠) .

الأصحاح الثامن والأربعون

أعداد ١ ــ ٢٢ : يعقوب يبارك أفرايم ومنسى :

من سيرة يعقوب الطويلة يختار عب ١١ : ٢١ هذا الحدث باعتباره عملا متميزا من أعمال الإيمان . فله الصفة الممدوحة فى ذلك الأصحاح ، ذلك أنه يمتد ببصره نحو المواعيد حتى فى مواجهة الموت ، « من بعيد نظرها وصدقها وحياها » وهنا نجد لمسة تهكمية رقيقة . فما أشبه هذه الحالة التى عرضت ليعقوب فى أحفاده بالحالة التى اشترك فيها فى صباه عندما خدع أباه .. فمرة أخرى تعطى بركة البكر لأخيه الأصغر .. مع الفارق .. فلا نجد هنا تدبيرات تخلو من الأمانة ، ولا مرارة دائمة (قارن أم ١٠ : ٢٢) . إنه درس موضوعى فى استجابة هادئة وإيمان .

عدد ٣ : بالنسبة للاسم « الله القادر على كل شىء » انظر تفسير ١٧ : ١ ، ٤٣ : ١٤ ، وبالنسبة لـ « لوز » فهى الاسم القديم لـ « بيت إيل » (٢٨ : ١٩) .

عدد ٥ : ترك هذا التصريح بالتبنى (قارن ع ١٦ ب) آثاره الدائمة ، على تكوين إسرائيل ، حيث ورث افرايم رئاسة كل الأسباط الاثنى عشر ــ الأمر الذى خسره رأوبين (قا ٤٩ : ٤) وقد شرح (١ أخ ٥ : ١ و ٢) الموقف : « رأوبين ... لأجل تدنيسه فراش أبيه ، أعطيت بكوريته لبنى يوسف .. لأن يهوذا اعتز على اخوته ومنه الرئيس ، وأما البكورية فليوسف » .

عدد ٧ : وتذكرنا المكانة الخاصة التى تفرد بها يوسف فى عواطف إسرائيل ــ براحيل المحبوبة . إنها نظرة مؤلمة خاطفة إلى الوراء ، فى قرينة مليئة بالرجاء ، ثم يعود الرجل العجوز إلى الحاضر فى العدد التالى فى لعثمة مفاجئة لم تستطع أن تخفى نفسها .

أما التعبير ماتت « عندى » فيجمع معظم المفسرين على أنه يعنى « ويالحزنى » أو « وقد صار ذلك عبئا على » قارن التفسير على ٣٣ : ١٣ . ولو أن صمت العبرية على مجرد الإشارة للآلام يعبر عنها أكثر بالكلمة الغامضة « عندى » .

العددان ٨ و ٩ : السؤال « من هذان ؟ » مع الجواب الذى تبع ذلك مناسب كمقدمة للبركة ، قارن السؤال وجوابه فى الفصح (خر ١٢ : ٢ — الخ) ، وكذلك قارن المحادثة التى كانت عند بركة يعقوب ذاته (تك ٢٧ : ١٨ — ١٩) .

أعداد ١٠ — ١٢ : لازالت هذه هى البادرة العاطفية التمهيدية للبركة عندما أخذ يعقوب الصبيين بين ركبتيه (ع ١٢ قارن ع ٥ والملاحظة على ٣٠ : ٣) ثم يخرجهما يوسف ، ويسجد قبل أن يقدمهما للبركة ذاتها .

العددان ١٣ و ١٤ : بالنسبة لتغيير وضع اليدين بكل هدوء عند البركة ، انظر التفسير الافتتاحى للأصحاح . ومن قبل ذكر يعقوب اسم الأصغر قبل الأكبر فى ع ٥ ، وما تبع ذلك من تاريخ إسرائيل يبين أن يد الله كانت خلف اليدين اللتين وضعتا عليهما .

العددان ١٥ و ١٦ : « يوسف » فى العبارة الافتتاحية هو اسم جمع مقصود به الابنان مثلما هو الحال فى أى ٥ : ٢ (المقتبسة فى تفسير ع ٥ أعلاه) . وهذا يؤكد أن البركة التى يتمتعان بها هى من أجله كممثلين له .

يعرض الابتهال المثلث إلى الله كثيرا من الذكريات ليس عن طريق ذكر صفاته (مع أنه يوجد مكان لهذا ، قارن خر ٣٤ : ٦ — الخ) بل بتذكر معاملاته . فهو الله الذى دخل فى عهد مع « أبويه » الأمر الذى ثبت إيمان يعقوب إزاء كثير من الأزمات (قا ٢٨ : ١٣ ، ٣١ : ٥ و ٤٢ ، ٣٢ : ٩ ، ٤٦ : ٣) . وفى زمان العهد الجديد ، ولا أقول فى العصر الحاضر ، امتد جيلا يعقوب أجيالا طويلة ، قارن لو ١ : ٥٠ . ولنعد إلى اختباره الشخصى . فهو يقول إن الله « رعاه » ، فهو يعترف بالله راعيا له ، وهذا يأتى بالفكر إلى مز ٢٣ ، ويعلم يعقوب معنى الرعاية حرفيا (انظر تفسير ٣١ : ٣٨ — ٤٠) وبالتعبير : « الملاك » يستعيد إلى ذهنه المواجهة المرئية مع الله[1] فى المراحل الفاصلة فى حياته خاصة فى فنيئيل ؛ والكلمة « خلص » ، تعبر عن الوقاية والإصلاح ، اللذين يجدهما الإنسان فى قريبه فى

(١) « ملاك الله » أو « ملاك الرب » ، هو تعبير خاص فى العهد القديم عن إعلانات الله نفسه فى شكل بشرى (قارن ٣١ : ١١ و ١٣ ، والتفسير عن ١٦ : ١٣ و ١٤ كذلك انظر المقدمة .

زمان الضيق (قارن مثلا ٢٥ : ٢٥ و٤٧ ــ الخ ، عد ٣٥ : ١٩ ، أى ١٩ : ٢٥) .

عدد ٢١ : « أنا » هنا توكيد ، فى معارضة تامة واعية للجملة التالية (قارن التفسير الافتتاحى لهذا الأصحاح) .

عدد ٢٢ : هذا العدد غامض فى معناه وفى ما يشير إليه . الكلمة المترجمة « سهما » (نصيبا) ، حرفيا « كتفا » ويحتمل أن يكون التعبير مأخوذاً من مقارنة قامات البشر (قارن ١ صم ١٠ : ٢٣) أو أقرب أن يكون معناه « منحدر جبل » فإن صح الأخير فإن هذا قد يعنى أنه شكيم ، الواقعة فى حدود منسى فى وسط المنطقة التى صارت من نصيب سبطى يوسف (قارن ٤ : ٥) ، ويقترح سبايزر أن تكون الترجمة كالآتى : إننى أعطيك باعتبارك فوق أخوتك شكيم ... » ، باعتبار أن كلمة « واحدا » لا تشير إلى العطية بل إلى يوسف المتفوق . ولكن سياق الجملة لا يتفق مع هذا[1] .

قيل ربما تشير نهاية العدد إلى المذبحة التى فى ص ٣٤ ، ويعتبرها كرمز انتصار ، ولكنها لم تنته إلى احتلال المدينة . وليس هناك رأى حاسم عن موافقة يعقوب على ما عمله بنوه (٣٤ : ٣٠) ، بل إن كل ما شاب ذلك الانتصار ينسب إليه . ولكن قد تكون الإشارة هنا إلى حدث لم يسجل .

---

(١) يقول بأن « واحدا » يجب أن يكون مؤنثا إذا كان يشير إلى « كتف » . ولكن كتف فى العبرية مذكر فى زك ٣ : ٩ وهذا هو الموضع الآخر فقط الذى يعين جنس الكلمة .

الأصحاح التاسع والأربعون

أعداد ١ ــ ٢٨ : بركة الأبناء الاثنى عشر :

عدا استحلاف يوسف عند موته ٥٠ : ٢٥ ؛ هذه البركة هى آخر الأقوال العظيمة عن المصير ، والبركات ، واللعنات ، والإدانات ، والمواعيد ــ الأمور التى تميز سفر التكوين من أول قصة الخليقة فصاعدا ، وتعطى السفر قوة دافعة للأمام . يرى أولئك الذين لا يؤمنون بالتنبؤ ، أن نبوات هذا الأصحاح ، مفتعلة بناء على الأحداث التى يقال إنها شوهدت مسبقا . ولأن الأحداث متباعدة عن بعضها جداً ، فهم يرون أن الحديث يجب أن يجزأ إلى مجموعات من الأقوال قيلت على مدى قرون . ولكننا إذا أخذناها على أنها رؤيا صحيحة رآها يعقوب ، فإن مدى اختلاف أجزائها لا يشكل مشكلة : إذ لا يوجد سبب من أجله يجب أن تنزل الستار عند ذات النقطة بالنسبة لكل الأسباط بل هناك من الأسباب ما يؤكد عدم الحاجة لذلك . أما بالنسبة للفترة الزمنية التى فى المشهد ، فهى بصفة خاصة عن استقرار الأسباط الاثنى عشر كل فى أرضه (رؤيا قريبة عن الموعد الذى كان بمثابة النجم الهادى للآباء الثلاثة) ، مع أنه توجد لمحة واحدة (ع ١٠) عن الإتمام البعيد .

عدد ١ : يتكلم هذا العدد عن النبوة كما أن الحديث فى ع ٢٨ عن البركة يلخص طبيعة هذا الوحى . فهو فعال كما أنه يقدم أخباراً : قارن تأكيد إسحق فى ٢٧ : ٣٣ جـ و ٣٧ .

« فى آخر الأيام » ــ يحسن أن يكون فى الأيام الآتية : يمكن أن يكون اللفظ غاية فى العمومية (قارن تث ٣١ : ٢٩) كما يبين فون راد .

عدد ٢ : الديباجة يستعمل الاسمان « يعقوب » ، و « إسرائيل » فى موازاة شعرية (قا ع ٧ و ٢٤) كما هو الحال غالبا . مثلا اش ٤٠ ... الخ . قلما يعمل أى اعتبار لاختلافهما الضئيل . ثم أن هذين الاسمين يجعلان نظرية المصادر المختلفة خلف هذه الأقوال تبدو مفتعلة .

العددان ٣ و ٤ : رأوبين . كم انهالت عليه الأوصاف الرائعة ثم انهار بناؤها الفخم انهياراً شائناً . إن هذا يبين كيف تلاشت الآمال العظيمة بسقوط رأوبين (المدون فى ٣٥ : ٢٢) . من العسير أن نجد شخصا يصل إلى نقيض

ما دعى إليه ولا كيف تصير المحبة العظيمة التى لا يسعها إلا أن تفصح عن نفسها ــ كلا شيء . ثم فى النهاية يتحول ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب « صعد » . لقد فضحه يعقوب أمام إخوته : فى هذا إشارة إلى النفور .

« فائرا » هى ذات الكلمة التى استخدمت لوصف الرجال البطالين بـ « طائشين » فى قض ٩ : ٤ ؛ ووصف الأنبياء الغادرين بـ « المتفاخرين » فى صف ٣ : ٤ . إنها تدل على خليط من التوحش والضعف معا (قارن ترجمة سبايزر لها : « غيرأمين »[1] يشبه يعقوب رأوبين « بالماء » الذى سرعان ما يصير سيلا لا يضبط كما فى أم ١٧ : ١٤ . كان رأوبين رجلا ذا غريزة غير منضبطة .

كذلك سبط رأوبين كان فاشلا فى القيادة ، فقد لصقت به صفة عدم البت فى يوم دبورة (قض ٥ : ١٥ ب و ١٦) وفيما بعد يبدو أنه قد تفوق عليه سبط جاد ، وأغار عليه موآب غارات دورية . والمبادأة الوحيدة المسجلة له هى تمرد داثان وأبيرام (عد ١٦ : ١) .

ويمكن أن نزيد ، رداً على الناقدين ، بأن النبوة معقولة جدا بحسب الفاظها ولو كانت عسيرة التفسير ، كإشارة غامضة لأحداث سبط[2] فالشك فى وجود شخص رأوبين يخلق المشاكل ولا يحلها .

أعداد ٥ – ٧ : شمعون ولاوى : يفرق العهد القديم بوضوح المذبحة كحكم إلهى (قارن ١٥ : ١٦) منها كمجرد أخذ بثأر (قارن عا ١ : ١ و ٦ و ٩ و .. الخ) . وهذه النبوة شهادة لهذه الحقيقة وإن لم يلتفت إليها . وهى مهمة أيضا كحكم أدبى على قصة رويت سابقا بدون تعليق (ص ٣٤) . إنها توضح أن امتناع الكاتب ليس عدم مبالاة ، حيث أن « ديان كل الأرض » يرى ويهتم .

عدد ٥ : هذه أكثر من حقيقة بديهية : هذان الرجلان « أخوان » : متشابهان ، وأسلحتهما آلات فوضى (قارن ٦ : ١١) وليست آلات للعدل .

---

(١) الكلمة العربية القريبة تعنى « مفاخرا » . والآرامية ــ « شهوانيا » ويبدو أن العنصر المشترك هو عدم الانضباط .

(٢) قارن فون راد فى تفسيره « إذا كان ما قيل فى ع ٤ عن السلف يحوى تذكارا لجريمة فظيعة اقترفها السبط رأوبين فإن هذا غير مفهوم لنا ... » .

الكلمة الأخيرة « سيوفهما » أصلها العبرى ، موجود هنا فقط .

عدد ٦ : « كرامتى » الكلمة العبرية [كِبُودى= كبدى] ، وقد استعملت كثيرا فى سفر المزامير موازية لكلمة « نفسى » أو قلبى كما هو الحال هنا . واستخدام المعنى كبدى يمكن أن يكون صحيحا ، حيث أن الأعضاء الحيوية فى جسم الإنسان تستخدم مجازيا للتعبير عن الحياة والعواطف فى كثير من اللغات .

ربما يوحى معنى الاسم لاوى (« مقترن » ٢٩ : ٣٤) على يعقوب ، رفض الاقتران غير المقدس « لا تتحد » ولو أن كلمة تتحد تأتى من أصل عبرى آخر .

يلتقط الأسلوب الشعرى معلومتين عن المذبحة (ثانيتهما غير مسجلة من قبل)[1] : والألفاظ « انسانا » ، « ثورا » مفردات استعملت لتؤدى عمل معنى الجمع بصورة معبرة ، ويمكن أن تترجم « فى غضبهما قتلا رجالا ، وفى رضاهما عرقبا ثيرانا » قد تبرأ يعقوب نهائيا من حقدهما الذى لا يرحم ، ومن دافع ذلك الحقد ، ومن مغالاته (٧أ) .

عدد ٧ : والتاريخ النهائى لهذين السبطين مثال لوضوح قضاء الله ، الذى يختلف عن القدرية (قارن ١ و ١٨ : ٧ و ٨) . تشتت السبطان كلاهما . على أنه بينما تحطم شمعون بتفريقه جزئيا وسط يهوذا (قارن يش ١٩ : ٢ ــ ٩ مع ١٥ : ٢٦ ــ ٣٢ ب نح ١١ : ٢٥ ــ ٢٨) ، وجزئيا بين الأسباط الشمالية (٢ أى ٣٤ : ٦) ــ تشتت لاوى تشتيتاً كريماً باعتباره العنصر الكهنوتى فى إسرائيل (خر ٣٢ : ٢٦ و ٢٩ ، عد ١٨ : ٢٠ و ٢٣ ، ٣٥ : ٢ ــ ٨) .

أعداد ٨ ــ ١٢ : **يهوذا** : لا مثيل لهذه البركة فى إسهابها أو بلاغتها إلا بركة يوسف التى تفوقها بمراحل بالنسبة لمجال النبوة . وتتمركز النبوة فى بركة يهوذا فى ع ١٠ب . فحتى تلك النقطة ، موضوعها السيادة الوحشية التى مارسها السبط بين رفقائه ، (ع ٨ب و٩) ؛ ثم مجىء الشخص الموعود الذى سيحكم كل الأمم ؛ ويبدو المشهد فردوساً أرضياً ، أشبه بما أنبأ عنه الأنبياء

(١) ولكن « ثور » يمكن أن يعنى « مواطنا قياديا » كما يبين ب . فاوتر .

فى قصائدهم عن المسيح . هنا مثال مصغر للتخطيط الكتابى للتاريخ .

عدد ٨ : « محمود » ــ هنا جناس مع اسم يهوذا ذاته : انظر ٢٩ : ٣٥ .

عدد ٩ : بالنسبة لتشبيه يهوذا بالأسد انظر نبوة بلعام عن إسرائيل (عد ٢٤ : ٩) والكلمة المترجمة « لبوة » ببساطة هى مرادف لكلمة أسد . وإن كان يهوذا هو « أسد الأسباط » كما يعلن هـ . ب . سويت على رؤ ٥ : ٥ ؛ فإن « أنبل ابن فى سبط يهوذا ، يحق له أن يلقب بأسد ذلك السبط » ، ولكن العهد الجديد يراه مظهراً قوة أروع من قوة الأسد . « رأيت فإذا .. خروف قائم كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) .

عدد ١٠ : ينبىء العدد ككل عن زعامة يهوذا (قارن عد ٢ : ٩ ، ١٠ : ١٤ ، قض ١ : ١ و ٢) حتى ذلك الوقت المعبر عنه بجملة « حتى » (وتعنى من ذلك الوقت إلى ما بعد ذلك) (قارن مثلا « حتى » فى ٢٨ : ١٥) .

« شيلون » [ع « شيلوه »] لا تستعمل هذه الكلمة كلقب للمسيح في غير هذا المكان وليس لها معنى واضح ككلمة . وقد اقترح البعض أن تكون الترجمة « حتى يأتى إلى شيلوه » ـــوهنا لا تكون نبوة عن المسيح . وحاول آخرون أن يقرأوها بحركات أخرى كأن تكون [شِلُّوه] تعنى « حتى يأتى مؤتاه » (أى حتى يأتى ميراث يهوذا) أو « حتى يأتى إلى من ينسب إليه » . والمعنى الأخير رغم أنه مضمر لكن لو فسرناه فى ضوء كلمات حزقيال التى بها يخاطب ملك يهوذا فى (حز ٢١ : ٢٦ و٢٧) « انزع العمامة . ارفع التاج ... حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه إياه » فهنا أفضل إثبات لاحتواء الكلمات على نبوة عن المسيح ــ الأمر الذى أجمع عليه المفسرون المسيحيون واليهود (أى احتواء الجملة على نبوة عن المسيح) من أقدم العصور[1]

العددان ١١ و ١٢ : يتحدث كل سطر من هذه الآيات عن وفرة مفرطة : إنه العصر الذهبى ــ عصر الآتى الذى رأينا قبسا من حكمه فى ع ١٠ ج . ويتعمد هنا النطق بلغة الفيض ، لدرجة أنه يستعمل الكرمة كوتد

---

(١) وإليك بعض التفاسير الأخرى : يوجه سبايزر انتباهنا إلى قراءة يهودية فى المدراش بحركات أخرى مع قسمة الكلمة إلى كلمتين [تى لوه » ويفسرون : « حتى تدفع له الجزية » ويجدون سندا لرأيهم فى إش ١٨ : ٧ .. ثم رأى يقول بأن الكلمة من أصل أكادى [شيلو] = حاكم أو مشير (هكذا قال هاليفى) وكذلك أيضا ج . ر . درايفر .

لربط الجحش ؛ ويستعمل النبيذ لغسل الثياب . هذه كلمات فيها كلمة وداع للحياة القاسية بما فيها من شوك وعرق ، « إلى صيحة الفرحين ، وأغنية المعيدين » .. وقد أعلن يسوع الدهر الآتى فى آيته الأولى فى قانا الجليل .

أعداد ١٣ ــ ١٥ : ذبولون ويساكر : لم تمتد الأرض التى صارت من نصيب زبولون إلى الساحل (يش ١٩ : ١٠ ــ ١٦) مثل أشير (قض ٥ : ١٧) ولا اقتربت من صيدون . لكن كانا كلاهما قريبين جدا من البحر حتى كانت تجارتهما عن طريق البحر (يرتضعان من فيض البحار تث ٣٣ : ١٩) . وعلى أى حال حروف الجر عند ع ١٣ يمكن أن تترجم « تجاه » . وهناك احتمال آخر ، يراه م . نوث[1] هو أنه فى الأزمنة القديمة خضع زبولون ، ودان ، وآشير نظير إقامتهم فى منطقة تحت سيادة صيدون ، للسخرة (الكلمة المترجمة « الجزية » تعنى السخرة) (وهذا ما عمله يساكر لسيد الأرض ع ١٥ ب) فى الموانى الصيدونية .

« بين الحظائر » فى ع ١٤ ــ يفضل المفسرون المحدثون ترجمة الكلمة « تحت حملين » [2] التى توافق المعنى المقصود لسبط ارتضى أن يبيع حريته بأمور الحياة .

أعداد ١٦ ــ ١٨ : دان : بعد البداية الرائعة التى يفتتح بها الكلام عن دان ، يأتى تدنيه فى ع ١٧ ، بحيث يبين البون بين دعوته ، وإنجازه ؛ أشبه بما اتصف به رأوبين فى ع ٣ و ٤ . كانت دعوة دان أن يقضى ، لكى يؤيد الكئيب المظلوم كما أيد الله راحيل (٣٠ : ٦) ؛ ولكنه اختار كسبط القساوة والغدر كما يظهر من قض ١٨ . ولا يجد دان مكاناً فى قائمة الأسباط التى تكون إسرائيل فى سفر الرؤيا (رؤ ٧ : ٥ ــ ٨) .

شعور يعقوب فى ع ١٨ غامض . فيمكن أن ينشأ عن صلاة أب ، مثل صلاة إبراهيم من أجل إسماعيل (١٧ : ١٨) ويمكن أن يكون مرجعه إلى تذكر يعقوب فجأة خدعته التى أقلع عنها منذ زمن بعيد قد ذكره بها فعل وذكر « العقب » (ع١٧ و ١٩) اللذين منهما اشتق اسمه (انظر تفسير

---

(١) تاريخ إسرائيل (أوك . بلاك سنة ١٩٥٨) ص ٧٩ .

(٢) فى المكان الآخر الذى ترد فيه هذه الكلمة ــ تترجم « الحظائر » (قض ٥ : ١٦) . ولكن يبدو أن المعنى الأنسب هنا هو منظر وحش رفض أن يتحرك تحت حمله .

٢٥ : ٢٦) .

عدد ١٩ : جاد : أربعة كلمات من الست العبرية التي يتكون منها هذا العدد عبارة عن الاسم جاد ، ومجانسات أو تورية مرتبطة به — (والجناس اتفاق الكلمتين لفظا ، واختلافهما معنى ؛ والتورية هي كلمة واحدة يقصد بها المعنى البعيد لا القريب ، مثل « مسكينة » هي « عناثوث » [إش ١٠ : ٣٠] حيث الكلمتان العبريتان واحدة) . ففي الحقيقة كان نصيبه غارات عبر الأردن كما يفيد الحجر الموآبي الذى يرجع إلى ق ٩ ق . م . بنموذج منها . كانت بركته عبوسا ، ولكنها كانت منعشة . قارن ما قاله جوليان النوردتشي : لم يقل « لن تجرب ، ولن تتألم .. » بل قال « لن تهزم » .

عدد ٢٠ : أشير : كان من نصيب أشير سهل خصيب ، وطرق تجارية إلى البحر ، وبذا « يغمس فى الزيت رجله » (تث ٣٣ : ٢٤) وينتج نصيباً سنوياً متميزاً للقصر (قارن ١ مل ٤ : ٧) . بمقارنة هذا العدد مع سابقه نرى التنوع الذى يثرى شركة إسرائيل ، بينما يبدو أيضا خطر الانقسام الذى ظهر فى قض ٥ : ١٧ .

عدد ٢١ : نفتالي : هذا السبط ساكن البلاد الجبلية ، صار ذا اسم فى زمان باراق بقيادة إسرائيل للتحرر من العبودية التى أعجزتهم (قض ٤ ، ٥) . « الأقوال الحسنة » تغير مفاجيء . ولولا اشتراك باراق فى نشيد دبورة (قض ٥ : ١) لما عرف شيء عن نفتالي . « أيله مسيبة » أى (غزالة طليقة) . وبكلمات أخرى يعنى أن هذا الشعب الجبلى الحر سيحتفظ بصفاته .

أعداد ٢٢ — ٢٦ : يوسف : رغم الغموض الذى يوجد فى كلمات هذه النبوة ، توجد أيضا الفصاحة الأخاذة . تعود بنا الفكرة من الحاضر ، فى روعة حياة يوسف إلى ضغوط الماضى ، وخلفهما أسماء الله التى تكون مركز النبوة — ثم يسكب يعقوب فيض بركاته على يوسف ، وبذا يسير بالفكرة إلى المستقبل .

عدد ٢٢ : فى صورة بهيجة يشبه يوسف بشجرة فاكهة ممتدة ويستمد ذلك التشبيه صورته من عمق شخصية يوسف وانتشار تأثيره كما يبدو غنى التشبيه من اسم افرايم (٤١ : ٥٢) .

عدد ٢٤ : فى هذا المكان ، وفى كل مكان آخر (إش ١ : ٢٤ ، ٤٩ : ٢٦ ، ٦٠ : ١٦ وكذلك فى مز ١٣٢ : ٢ و٥ ولو بأقل وضوح) تستعمل

عن الله كبطل شئونه ، الكلمة [أبير « عزيز » = العظيم القدرة] . وبالنسبة لاقتران اللقب باسم يعقوب ، انظر الحاشية على ٣١ : ٤٢ .

وتساير العبارة « من اسم (مِشَّام) الراعى » — تساير العبارة السابقة « من يدى ... » ، ولا تسبب أى تغيير فى توافق النص . أما الترجمة الراهنة « من هناك » من الراعى ، فتشكل بترا وتجزيئاً للمعنى وإشارة غير شخصية إلى الله بدون سبب ظاهر(١) .

عدد ٢٥ : « إله أبيك » بالنسبة لأهمية هذا التعبير ليعقوب انظر تفسير ٤٦ : ١ وبالنسبة للفظ [شَدَّاى : « القادر » انظر تفسير ١٧ : ١

عدد ٢٦ : « الآكام الدهرية » قارن تث ٣٣ : ١٥ ، « منية » : الأشياء المرغوب فيها .

توجد فى العهد القديم كلمات رائعة ذات مغزى عظيم عن « الأرض وملؤها » ، وحتى [تهوم : الغمر] ١ : ٢ الذى يصوره مثل وحش قوى (ع ٩) هو ملك له ولخدامه . والمتوقع أن حكم هذه البركة البات سيجعل من نصيب أفرايم ومنسى أفضل أرض كنعان ، بل وضمنا أن أشياء أعظم ستتبع ذلك . وحتى لو حدث أن كان الحصول على هذه غير مضمون أو ناقص فالسبب هو فى كبرياء أفرايم (قض ٨ : ١ ، ١٢ : ١) وارتداده الانتحارى (هو ٤ : ١٧ ، ٥ : ٣ — الخ) .

« نذير إخوته » : المميز بين إخوته وليس المتروك من إخوته . وقد استخدمت الكلمة بعد ذلك للنذير أى المفرز لله .

عدد ٢٧ : **بنيامين** : المدهش أن موسى نطق بالنبوة الرقيقة عن بنيامين (تث ٣٣ : ١٢) بينما ينطق يعقوب المغرم بنيامين بالعنف . يمكن أن نرى بعض مظاهر الاندفاع بل والانقضاض فى روح السبط فى قض ٥ : ١٤ ، مز ٦٨ : ٢٧ ، وشيئا من قساوته فى قض ١٩ — ٢١ .

---

(١) يدافع ديلتش عن كلمة « هناك » باعتبارها « من الله » بمقارنتها بما فى جا ٣ : ١٧ ، ولكن فى جا ٣ : ١٦ نجد المقارنة مع الأرض ، مما يعطى معنى للكلمة .

أعداد ٤٩ : ٢٩ ـــ ٥٠ : ٣ موت يعقوب :

بالنسبة لموقف يعقوب الرائع إزاء موته القريب انظر تفسير ٤٧ : ٢٨ ـــ ٣١ .

عدد ٣١ : يذكر موت ليئة فى كنعان هنا فقط ، مع أنه متضمن فى عدم ذكرها فى قائمة المهاجرين فى ٤٦ : ٨ ـــ الخ .

عدد ٣٣ : « أسلم الروح » ترجمة لكلمة عبرية واحدة مرادفة لكلمة « مات » ولا يوجد فيها شيءٌ مشتركٌ مع اللفظ الذى استعمل عن ربنا بالنسبة لتسليم روحه طوعاً وإرادياً (يو ١٩ : ٣٠) .

الأصحاح الخمسون

عدد ٢ : كان لكل من المحنطين ، والأطباء وظائف متميزة . رأى بعض الكتاب أمراً شاذاً فى استخدام يوسف للأطباء . ومع ذلك رأى ج . فيرجوت أن الأطباء كانوا أكفاء للقيام بهذه المهمة . وربما كان قصد يوسف أن يتجنب طقوس المحنطين الدينية السحرية .

عدد ٣ : نادرا ما كانت فترة التحنيط أقل من شهر ؛ وعندما وصلت المهنة إلى القمة من عصر الأسرة الثانية عشر فصاعدا (أى بدأت بعد موت يعقوب بقرن أو قرنين) كانت العادة أن تستغرق سبعين يوما . وقد كان النوح على يعقوب أمراً ذا مغزى كما يبين فون راد إذ أن هذه الفترة أقل من النوح على فرعون بقليل .

أعداد ٤ ــ ١٣ : دفن يعقوب :

مرة أخرى تظهر مقبرة الآباء كشىء بارز فى القصة باعتبارها رباطاً يربط الشخص بأرض الموعد . وقد رددت أسرة يعقوب مع ملازميها من الأمم فى كل مناسبة ، أن هذا مآل أبنائها ، وأنهم سيعودون إلى ميراثهم يوما ما « من كل الأمم .. على خيل ومركبات » (إش ٦٦ : ٢٠) .

عدد ٥ : الكلمة « حفرت » لها معنى آخر من أصل وارد فى تث ٢ : ٦ ، هو ٣ : ٢ ؛ هو « اشتريت » .. وهذا أفضل كترجمة هنا .

عدد ١٠ : الموضع المذكور هنا غير معروف ، ولكن موقعه يتطلب دورة حول البحر الميت ، لكى تصل إلى حبرون من الشمال الشرقى بدلا من الجنوب الغربى . ويظن أنه كانت هناك مشكلات سياسية عند نقطة معينة ، مما يجعل وصول الفرسان محرجا للغاية . وفى الخروج سيكون الطريق المباشر أيضا غير مطروق (خر ١٣ : ١٧) . ولكن ذكر الكنعانيين (ع ١١) يبين أن المناحة حدثت فى الجانب الغربى من الأردن : بجانب النهر وليس عبر النهر[١] . أى

---

(١) يبين ب . جيمسر أن [بِبر هَيَّردن] فى معناها الأصلى تعنى « فى دائرة الأردن » وليس « عبره » . كذلك يبين أن جيروم حدد مكان أطاد جنوبى أريحا بقليل (عند بيت حجلة : هذه هى حدود بنيامين .

أن جماعتهم عبروا إلى كنعان ، وكانت هذه لحظة مناسبة للوقوف .

[آبل مصرايم] فيها تورية ، إذ أن [آبل] (قارن ٣٧ : ٣٥) يمكن أن تعنى مناحة مثل الكلمة ــ الشبيه ــ المستعملة أكثر منها وهى [إبل] ولكن يمكن أيضا أن تعنى « مجرى ماء » . ومصرايم هى مصر .

أعداد ١٤ ــ ٢١ : يوسف يؤمن إخوته :

يرى فون راد أن طريقة التأكيد الذى تروى به القصة ، أن الرسالة التى نسبت ليعقوب غير صحيحة (ع ١٦) وتشهد على نفسها أن مرجعها الخوف وعدم الثقة مما أبكى يوسف .

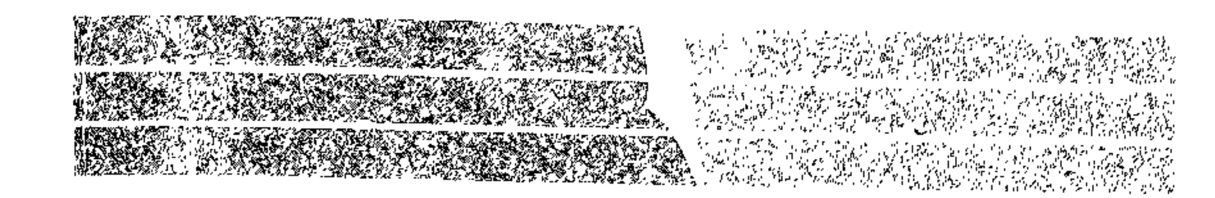
كل جملة فى جواب يوسف الثلاثى أحد أبراج الإيمان فى العهد القديم (بل وفى الجديد) . إن ترك كل تقويم لأخطاء الفرد إلى الله (ع ١٩ قارن رو ١٢ : ١٩ ، ١ تس ٥ : ١٥ ، ١ بط ٤ : ١٩) ــ إن رؤية عناية الله تحول حقد الإنسان (ع ٢٠ قارن تفسير ٤٥ : ٥) ــ وأن تعامل الشر ليس فقط بالغفران ، بل أيضا بالمحبة العملية (ع ٢١ قارن لو ٦ : ٢٧ ــ الخ) ــ فهذه مواقف مسيحية ، بل مواقف متمثلة بالمسيح . لاحظ أنه فى (ع ٢١) كلمة أنا مؤكدة ، فإن يوسف قدم وعدا شخصيا أكثر منه تقديم إحسان .

أعداد ٢٢ ــ ٢٦ : موت يوسف :

كان طول عمر يوسف نوعا من تتويج حياته تتويجا مشرفا وهو أمر مرغوب فيه بل ومثالى ، ثم أن رؤية المرء لأحفاده ، تعتبر بركة يضرب بها المثل (قارن مز ١٢٨ : ٦ ، أم ١٧ : ٦) . وقد صار ماكير عشيرة كبيرة فى منسى (يش ١٧ : ١٠ ، قض ٥ : ١٤) . ولتفسير التعبير « على ركبتى يوسف » (ع ٢٣) انظر تفسير ٣٠ : ٣ .

كما هو حال العهد القديم فى عالمه الصغير ، فإن سفر التكوين ينتهى بالإشارة إلى ما بعد قصته . فقد ارتحل الإنسان من عدن إلى كفن ، وارتحلت الأسرة المختارة من كنعان إلى « مصر » ، ولكن وصية يوسف بالنسبة « لعظامه » ، كانت إشارة إيمان (عب ١١ : ٢٢) لا يفشل (خر ١٣ : ١٩ ، يش ٢٤ : ٣٢) . لم تعمل له مسيرة جنائزية مثل ما عمل ليعقوب ، عند خروجه إلى كنعان ، إذ يمكن أن ينتظر الأمر وقت الله ، وخروجا أفضل . فقد كان الوعد

مقصودا كما كان متحدثا به ، وسينبت يوما ما فى ذهن موسى (قا أع ٧ : ٢٣ و ٢٥) لكى يحركه لتحقيق مهمته . وقد أجملت كلمات يوسف ، الرجاء الذى يتوقعه فى صمت أناس العهد القديم ، بل والعهد الجديد أيضا : « الله سيفتقدكم » .



هذا الكتـاب :

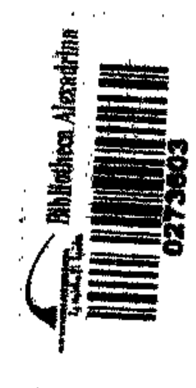
الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .



١٠١٠٩١٧٠